الدكتور/ عيد محمد شبايك

الفاصلة القرآنيـة

بين المبنى والمعنى

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مركز معالجة الوثائق
DHC
Document Handling Center

شبين الكوم - البر الشرقي شارع سعد زغلول ☏ ٢٢٠٦٢٢

استهلال

﴿ونزّلنا عليك الكتابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شيء وهدًى ورحمة وبُشْرَى للمسلمين﴾
(النحل ٨٩)

"من أراد علمَ الأولين والآخرين فلْيُثَوِّرِ القرآن" (حديث شريف)

الإهــداء

إلى والدىّ الكريمين أهدى هـذا الكتـاب بـرّاً وتقديراً فلزامـا علـىّ أن أردّ الفضل إلى أهله، والفيض إلى نبعه.

كالبحر يمطره السحاب وماله   فضل عليه لأنـه من مائـه

د./عيد شبايك

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل كتابا أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذى حمل الكتاب منهجا ومعجزة ففاق كل رسول. وبعد

إن من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة العلماء والدارسين جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبد الدهر رحب المدى سخى المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغا امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح وفوق كل طاقة، فسبحان من سلكه ينابيع فى القلوب وصرّفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب.

ومع إدراكى أن الإعجاز البيانى للقرآن يفوق كل محاولة وجهد أتقدم – على استحياء – إلى ذلك الميدان الرحيب لأقدم محاولة إلى جانب محاولات السلف وهى ثمرة هدانى إليها عكوفى طويلا على مدارسة القرآن الكريم وتأمل مبانيه وتدبر معانيه، لاسيما أنى حفظته وجوّدته منذ نشأتى الأولى فى أسرة تقدّس القرآن وتهتم بحفظه.

وهذا البحث يعالج طرفا من نظم القرآن فى إعجازه البيانى وهو "**الفاصلة**" ولعل سائلا يسأل: هل جزئية صغيرة من القرآن – كالفاصلة – تستدعى مثل هذا البحث؟

والجواب: نعم.

أولا: لأن البحث لم يجرد الفاصلة من علاقاتها مما استدعى الإلمام بمتعلقاتها ودراستها **مبنى ومعنى**.

ثانيا: رغم اهتمام العلماء قديما وحديثا بدراسة القرآن وعلومه وأوجه إعجازه ونظمه لاسيما **الفاصلة** التى تناولها المتكلمون واللغويون والمفسرون والبلاغيون وقدموا لنا مادة لا بأس بها إلا أنهم لم يوفوها حقها من الدرس فلم يتعرضوا لدراسة مبانى الفواصل ولا أنواعها و لم يهتموا بربط

ذلك بنتائج علم اللغة فى الصوتيات ورغم تمكنهم من علوم القرآن والقراءات والتجويد لم يذكروا صلة ذلك بالفواصل القرآنية لهذه الأسباب مجتمعة كان اختيارى لموضوع "**الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى**".

وبدهى إننى لم أبدأ من فراغ فقد استفدت كثيرا من كتابات السابقين قدماء ومحدثين فى كتب مفردة أو كتابات متفرقة فى كتب ذات موضوعات أشمل وأعم.

أولاً: الكتب المفردة:

فمن الكتب القديمة التى أفردت للفاصلة كتاب "**بغية الواصل إلى معرفة الفواصل" للطوفى** (ت ٧١٦هـ) ذكره السيوطى فى جملة مصادره فى مقدمة كتابه "الإتقان" ولكن للأسف لم نقف عليه ولا على بعض نقول منه عند السيوطى أو غيره، مما يوحى بأن الطوفى لم يزد شيئا عما جاء به سابقوه.

ومن الكتب الحديثة التى أفردت لهذا الموضوع

١ - كتاب "**الفاصلة فى القرآن**" للدكتور محمد الحسناوى، تناول فيه جوانب عديدة من أبنية الفاصلة، وتحدث عن مجاليها الجمالية، مهتديا بنظريات علم الجمال وقوانينه فى الإيقاع والعلاقات، وعقد بابا لمعطيات الفاصلة قديما وحديثا فى علوم اللغة والموشحات والشعر الجديد وفن الخط، كما أضاف نقطتين أخريين أولاهما مبنية على الإحصاء، والثانية مبنية على أسماء الله الحسنى التى وردت فى الفواصل.

٢ - كتاب "**الفاصلة القرآنية**" للدكتور عبدالفتاح لاشين، ركّز فيه القول على بيان صلة الفاصلة بما قبلها من الآية، ودار حديثه حول تقسيم العلماء الفواصل على أساس ارتباطها بما قبلها إلى تمكين وتوشيح وتصدير وإيغال اعتمد فيه بشكل واضح على برهان الزركشى وإتقان السيوطى ومعترك ودرة التنزيل للاسكافى.

٣ – وأخيرا – فى أثناء الطبع – وقفت على بحث للدكتور عبدالجواد طبق **"دراسة بلاغية فى السجع والفاصلة القرآنية"** وقد قسم هذه الدراسة قسمين (نظرى وتطبيقى) تناول فى القسم النظرى تحقيق ماهية السجع وعلاقته بالموازنة والمماثلة وموقف النقاد من السجع ومعايير حسنه، والسجع فى القرآن بين الإثبات والنفى، وموقف العلماء من السجع ورعاية الفاصلة، ودار القسم الثانى (التطبيقى) حول الفاصلة بين علمى المعانى والبديع تكلم فيه عن كثير من صور التقديم والتأخير، وعلاقة الفاصلة بذلك، ثم تكلم عن قضية الخروج عن الأصل وسمى ذلك (صور من شجاعة العربيه فى الفاصلة القرآنية) ومن ذلك إيثار الاسمية على الفعلية أو المضارع على الماضى أو إيثار صيغة على أخرى وأكد أن مرد ذلك يرجع أولا إلى المعنى قبل مراعاة الفاصلة.

ومن المصادر القديمة التى عقدت للفاصلة بعض المباحث فى أثناء موضوعات أعم وأشمل:

٥ – **معترك الأقران** للسيوطى.

ومن مصادر المحدثين التى تناولت كتابات أو مباحث قصيرة عن الفاصلة:

١ – **الإعجاز البيانى** للدكتورة عائشة عبدالرحمن.

٢ – **صور من البديع فن الاسجاع** للدكتور على الجندى.

٣ – **البيان فى روائع القرآن** للدكتور تمام حسان.

٤ – **التعبير القرآنى** للدكتور فاضل السامرائى.

هذا فضلا عن الاهتداء بدراسات القدماء من المفسرين واللغويين والبلاغيين وبدراسات المحدثين من علماء اللغة.

ولعل من أبرز ما يهتم به هذا البحث.

١ – الاعتماد على القرآن نفسه فى إحصاء ما أمكن إحصاؤه وفى استنتاج ما أمكن استنتاجه، بالنظر فى طرق الصياغة ودقة النظم وجمال الايقاع،

وبالرجوع إلى أسباب النزول – أحيانا – وبالنظر فى قرائن الأحوال ومقضتيات المقامات – دائما – ثم بالرجوع إلى الدلالات اللغوية للألفاظ من حيث اللغة فى نفسها ومن حيث وجودها فى سياق معين.

٢ – بيان جمال الإيقاع فى الفاصلة بما توفر لها من عناصر التوافق الصوتى كتناسب المقاطع والتوازى والتوازن والتكرير بأقسامه والمشاكلة والتجنيس وختم المقاطع بحروف المد واللين وغلبة النون رويا لمعظم فواصل القرآن وغيرذلك.

٣ – محاولة الربط بين موسيقى الفواصل ونتائج علم اللغة فى الصوتيات عن طريق دراسة الفاصلة دراسة مقطعية.

٤ – بيان أثر السياق فى المعنى والايقاع، ودور التجويد فى إبراز إيقاع الفاصلة، ومن ثم التأثير فى المستمع.

٥ – دراسة قضية العدول عن الأصل وموقف العلماء منها قديما وحديثا، وأظن أنى حسمت القول فيها.

٦ – إفراد مبحث خاص عن (**ابن الصائغ ورعاية المناسبة**) تتبعت فيه الأحكام الأربعين التى ذكرها فى كتابه "**إحكام الراى فى أحكام الآى**" قائلا بأن القرآن خالف الأصل رعاية للمناسبة وكتاب "ابن الصائغ" هذا لم نقف عليه وإنما وقفنا على هذه الأحكام فى كتاب "الاتقان" للسيوطى وكذلك فى "معترك الأقران" له وبعضها أيضا فى كتاب "البرهان" للزركشى.

وقد تتبعت هذه الأحكام الأربعين – وربما كان بعضها يشمل أكثر من شاهد – فبينت المغزى المعنوى أو النكتة البلاغية التى اقتضاها المعنى وشفّ عنها السياق. فإن كنت قد وفقت فلله الفضل وإن كانت الأخرى فحسبى أن لم آل جهداً فى هذا العمل. والله المستعان دائما وإن كان لصاحب هذا البحث فى عمل شيء فما هو إلا أن ترك علماء العربية يظهرون أفكارهم من خلال استبطان خاص ومكث وئيد أمام رؤيتهم الساطعة ومن ثم كانت أفكار هذا العمل نتاجا مخلصا لعطاء هؤلاء العظماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور/ **عيد شبايك**

الفصل الأول

السجع والفاصلة

- مصطلح السجع والفاصلة.
- الفواصل ورءوس الآي.
- تعريف الفاصلة.
- طرق معرفة الفواصل (ضابط الفواصل).
- ما تمتاز به الفاصلة من السجع.
- ما تمتاز به الفاصلة من القافية.

مصطلح السجع والفاصلة

لا شك أن هناك نوعا من الشبه الظاهرى أو الصوتى بين كل من الفاصلة، والسجع والقافية؛ مما أدى إلى تطاول المشركين واتهامهم لرسول الله ﷺ تارة بأنه شاعر، وتارة بأنه ساحر، أو كاهن، أو مجنون، لكن أئمة الفصاحة والبلاغة آنذاك دانوا بإعجاز القرآن وتميزه حين أسلموا، وحين أعرضوا.(١)

ولا شك أن مصطلح "السجع" أقدم من مصطلح "الفاصلة" بدليل الحديث الشريف: "أسجعا كسجع الكهان"(٢)

---

(١) قال تعالى: "﴿**بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر**﴾ (الأنبياء:٥)، ﴿**ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**﴾ (الصافات: ٣٦) ﴿**ويقولون إنه لمجنون**﴾ (ن: ٥١) ﴿**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**﴾ (الطور: ٢٩) ﴿**وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين**﴾ (الحاقة: ٤١ – ٤٣) ﴿**أم يقولون افتراه، بل هو الحق من ربك**﴾ من الآية ٣ سورة السجدة.

جاء فى سيرة ابن هشام حوار بين الوليد بن المغيرة ونفر من قومه بشأن محمد ﷺ ودعوته نجتزئ منه قول المغيرة لهم "قال: بل أنتم قولوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن، قال لا والله ما هو بكاهن، ولقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عَقْدهم: قالوا: فما نقول يا أبا عبدشمس قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرِف أنه باطل". (راجع السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٧٠ بتحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(٢) انظر قصة الحديث فى مقدمة محقق إعجاز القرآن للباقلانى ص ٧٤ وللمحقق ردود قاطعة على الباقلانى فى نفيه السجع من القرآن.

لقد أدى اختلاف تخريج العلماء لهذا الحديث إلى اختلاف فى موقفهم من السجع والفواصل .. هل السجع هو الفواصل .. هل هما شيئان مختلفان؟ .. هل فى القرآن سجع؟ .. أم أن ما به فواصل منتهية بحروف متماثلة؟ ..

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) فى مادة (سجع):

"سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافى الشعر من غير وزن، كما قيل: لِصُّها بَطَل، وتمرها دقل، إن كثر الجند بها جاعوا، وإن قلوا ضاعوا"(١)

ونجد إشارة أخرى لهذا المصطلح عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) تلميذ الخليل فى باب (ما يحذف من أواخر الأسماء فى الوقف وهن الياءات) يقول: "وجميع ما لا يحذف فى الكلام وما يختار فيه ألا يحذف، يحذف فى الفواصل والقوافى، فالفواصل: قول الله **عزّ وجلّ**: ﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر: ٤)، و﴿**ما كنا نبغ**﴾ (الكهف: ٦٤)، و﴿**يوم التناد**﴾ (غافر: ٣٢)، و﴿**الكبير المتعال**﴾ (الرعد: ٩)، والأسماء أجدر أن تحذف إذا كان الحذف فيها فى غير الفواصل والقوافى"(٢)

ويتضح لنا من نص سيبويه دلالة مصطلح "الفواصل" على أواخر الآيات القرآنية، ثم إن استخدامه لهذا المصطلح بهذا الشكل يدل على أنه مألوف فى عصره، وليس هو أول من تكلم به. وهذا يؤكد أن المصطلح "الفواصل" أبعد فى نشأته من عصر سيبويه.

والفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) يسمى نهايات الآيات "فصول"(٣) "ورءوس آيات"(٤)

---

(١) العين ص ٢٤٤ تحقيق د/عبدا لله درويش. مطبعة العانى بغداد/ وانظر الشاهد فى البيان والتبيين ١/٢٨٥

(٢) كتاب سيبويه ٤/١٨٤ "ما كنا نبغ" ليس رأس آية.

(٣) انظر المواضع الآتية من معانى القرآن ١/٤٣، ٤٤

(٤) معانى القرآن ٢/١٧٦، ٣/١١٨، ٢٣١

و"آخر الآية"(١) و"أواخر الحروف"(٢) ويلفت إلى جانب الإيقاع الموسيقى فى الفاصلة فى أكثر من موضع من كتابه "معانى القرآن"

ونجد هذا المصطلح عند الجاحظ (ت٢٥٥هـ) فقد نقل **السيوطى** فى "إتقانه" قول الجاحظ "سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى جملته قرآنا، كما سموا ديوانا، وبعضه سورة، كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة، كقافية(٣) ثم يضيف فى "البيان" إن للكلام المسجوع ميزة سرعة الحفظ، ونشاط الآذان لسماعه، وصعوبة ضياعه لما له من إيقاع متوازن يجعل النفس أكثر قبولا له وتعلقا به وذلك فيما أورد عن عبدالصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى: "قيل له: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافى، وإقامة الوزن؟"(٤) ، أجاب الرقاشى: "إن كلامى لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد، لقلَّ خِلا فِى عليك، ولكنى أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقدير، وبقِلة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره".(٥)

لم يكتف عبدالصمد الرقاشى بالاشارة إلى هذه الظاهرة فحسب وإنما التمس الدليل على صحتها فوضع أمامنا حقيقة واقعة هى أن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، ومع ذلك "فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره" فهذه إشارة جيدة

---

(١) نفسه ١٦/١

(٢) نفسه ٢٠٠/١، ٢٠١

(٣) الإتقان ١٨٧/١

(٤) نلاحظ هنا، أن السجع صار مقابلا للنثر، أى صار بمعنى الكلام الموزون المقفى.

(٥) البيان – ٢٨٧/١ تحقيق عبدالسلام هارون – الرابعة.

تلفت إلى ظاهرة نفسية تكشف عما للإيقاع والوزن فى الفن القولى من دور فعال فى شد النفس وجذبها إلى النص وتيسير حفظها إياه.

أما كره الأسجاع، فكان لسبب "أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم.. كانوا يتكهنون، ويحكمون بالأسجاع.. ، فوقع النهى فى ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية، ولبقيتها فيهم، وفى صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم(١) كما يقول الجاحظ.

وبالرغم من ذلك ، فإن لحديث "أسجع كسجع الكهان؟" تعليلا آخر عند الرقاشى، يقول: "لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن، لما كان عليه بأس، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق فتشادق فى الكلام"(٢) ويفهم من ذلك أن الرسول ﷺ ذم تدخله لإبطال حق - هو اسلوب الكهان - وليس من **أجل** سجعه.

ويقرر **الزجّاج** (ت ٣١١هـ) أن أهل اللغة يسمون أواخر الآى "فواصل"، ويسميها "رأس آية" متابعا **الفرّاء** والأخفش - وأنهم يجيزون حذف الياءات من الفواصل، كما يجيزونه في قوافى الشعر"(٣)

وقد أطلق أبو الحسن على بن عيسى **الرّمانى** (ت ٣٨٤هـ)، مصطلح "الفواصل"، ورفض مصطلح "السجع" ؛ لأنه يرى أن "الفواصل بلاغة، والأسجاع عيب"، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى، أما الأسجاع فالمعانى تابعة لها...، وقبح ذلك وعيبه بيِّنٌ لمن له أدنى فهم، فمن ذلكم ما يحكى عن بعض الكهان: "الأرض والسماء، والغراب الواقعة بنقعاء، لقد نفر المجد إلى العشراء... فهذا أغث كلام يكون وأسخفه، وقد بينا علته، وهو تكلف

---

(١) البيان والتبيين ٢٨٩/١

(٢) نفسه ٢٨٧/١

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٣٩١/١ تحقيق د. عبدالجليل عبده شلبى ط بيروت وانظر ١٣٧/٢ منه.

المعانى من **أجله**، وجعلها تابعة له من غير أن يبالى المتكلم بها، ما كانت"(١) "والفرق بين الفواصل والأسجاع، أن الفواصل: حروف متشاكلة فى المقاطع، توجب حسن إفهام المعانى، بينما السجع: ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة، كما ليس فى سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة".(٢)

وعبارة **الرّمانى** هذه تؤكد أن الفاصلة تضفى على المعنى حسنا وبهاء ولعلنا نشعر من كلمة "حسن" ما نتذوقه من جمال وقع الفاصلة الذى يضفى على المعنى **جلالا** وروعة فتقرأ الآية الكريمة وتعيش معناها وتسير فى ركب مدلولها حتى تصل إلى الفاصلة فتجد ما يكمل بناء المعنى وفى الوقت ذاته ما يجمله بالوقع الرتيب والنظم المحكم، ومن هنا تأتى الفاصلة حاملة شحنتين فى آنٍ واحد، شحنة من الوقع الموسيقى وشحنة من المعنى المتمم للآية"(٣)

وقول **الرّمانى** "حروف متشاكلة فى المقاطع" يشعرنا أن **الرّمانى** يعطى الجانب الإيقاعى حقه من الدرس لذلك نجده يقسم الفواصل إلى قسمين "فواصل متجانسة الحرف الأخير" و"فواصل متقاربة الحرف الأخير".

ومن الفواصل المتجانسة فى الحرف الأخير، قوله تعالى: ﴿**طه، ما أنزلنا عليك القرآنَ لتشقَى، إلا تَذْكِرَةً لمن يَخْشَى**﴾ (طه١، ٢) وكقوله: ﴿**والطُّور، وكتابٍ مسطور**﴾ (الطور ١، ٢)، أما الفواصل ذات تقارب المخارج فى الحرف الأخير، كالميم والنون، فى قوله تعالى: ﴿**الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين**﴾ (الفاتحة ٢، ٣) وكالدال والباء، نحو قوله تعالى: ﴿**ق، والقرآن المجيد، بل عَجِبُوا أن جاءَهم مُنذِر منهم فقال الكافرون هذا شىءٌ عجيب**﴾ (ق ١، ٢) ويضيف **الرّمانى**: "وانما حسن فى الفواصل الحروف

---

(١) الرمانى – النكت فى إعجاز القرآن – ضمن ثلاث رسائل فى الإعحاز، تحقيق د.محمد زغلول سلام، ومحمد خلف الله ط دار المعارف، والعشراء من النوق ونحوها: ما مضى على حملها عشرة أشهر

(٢) نفسه والصفحة

(٣) التعبير الفنى – بكرى شيخ أمين ص ٢٠٣

المتقاربة؛ لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة"(١) ثم يبرز فائدة الفواصل فى أنها تفيد بجوار المعنى وحسن الإيقاع "دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها فى الآى بالنظائر".(٢)

ويردد **ابن جنى** (ت ٣٩٢هـ) فكرة عبدالصمد الرقاشى السابقة، عن أثر السجع فى النفس، وقدرته على اللصوق السريع يقول: "لو لم يكن المثل مسجوعا لم تأنس النفس إليه، ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجيء به من أجله".(٣)

ثم نلتقى بأبى هلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) وحديثه عن السجع والازدواج حيث يقول: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ... ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن، لأنه فى نظمه خارج عن كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أواسط الآيات فضلا عن تزاوج الفواصل منه" ومثل للنوع الأول بأمثلة منها قوله تعالى: ﴿**ولستم بآخِذِيهِ إلاّ أن تُغْمِضُوا فيه**﴾ وللنوع الثانى بأمثلة منها قوله تعالى: ﴿**فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب**﴾ ثم بين أن ما فى القرآن من ذلك

---

(١) النكت فى إعجاز القرآن ص ٩١

(٢) نفسه ص ٩١

(٣) ابن جنى — الخصائص — ٢١٦/١ تحقيق محمد على النجار، الطبعة الثالثة ... والسجع جزءً من الفطرة الإنسانية يستجيب لمطابها فالنفس تحب التنغيم، وتهش إلى الإيقاع المطرب، والأصوات الملحنه والمتآلفة – جاء فى لسان العرب مادة (نسق) النسق ما جاء من الكلام على نظام واحد، والكلام إذا كان مسجعا قيل له نسق حسن، وأنسق الرجل إذا تكلم سجعا، لذلك ربما يسجع بعض الناس فى أثناء كلامهم دون تعمد وربما يعمدون إلى ذلك التوازن فى النكت والقفشات، بل إن المتتبع للحكم والأمثال المتداولة – سواء الفصيح منها والعامى – يجد الناس فى بعض المواقف يحرصون على أن تكون مسجوعة. (راجع د/ محمد يونس قضية السجع بين القدماء والمحدثين ص ٣٥)

يفوق ما يشبهه من كلام البشر قائلا: " وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف فى تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق"(١)

وكأنما رأى **ابن سنان الخفاجى** (ت ٤٦٦هـ) فيما قاله **الباقلانى** صورة **الرّمانى** فعوّل على الردّ عليه دون صاحبه، إذ هو الأصل، فقال مفندا رأيه لما فيه من التعميم: "فأما قول **الرّمانى**: إن السجع عيب، والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعانى تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب، والفواصل مثله".(٢)

ولعل "**الخفاجى**" أراد بالفواصل ما تقاربت حروفه فى المقاطع و لم تتماثل و لم يرد فواصل القرآن لأنه يعالج قضية السجع فى كلام البشر.. على أننا ونحن نتابع "**الباقلانى**" فى نفيه للسجع عن القرآن نجده يقول: "وأما الأمور التى يستريح إليها الكلام فإنها تختلف، فربما كان ذلك يسمى قافية، وذلك إنما يكون فى الشعر، وربما كان ما ينفصل عنه الكلامان يسمى مقاطع السجع، وربما سمى ذلك فواصل، وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب"(٣)
وهذا قول يثير الانتباه إذ هو يعترف بأن هناك ثلاثة أمور يستريح إليها الكلام: اثنان منها فى كلام البشر، أحدهما يسمى قافية ويكون فى الشعر، والثانى يسمى سجعا أو فواصل ويكون فى النثر، والثالث لا يسمى إلا بالفواصل والقرآن مختص بها. وهذا القول لا يعدو أن يكون اصطلاحا ربما كان الدافع إليه تنزيه كلام الله أن يوسم بميسم بشرى ونحن لا نغض عنه النظر، فقداسة الكتاب **العزيز** تلزمنا كل أدب معه بيد أنه اصطلاح تأدب لا

---

(١) كتاب الصناعتين ٢٨٥

(٢) سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجى ١٧٣، ١٧٤

(٣) اعجاز القرآن ص ٦١

تحقيق حقائق(١) وإلا فلماذا يسمى كلام البشر سجعا أو فواصل ولا يسمى ما هو على شاكلته من القرآن إلا فواصل؟

ورحم الله **ابن سنان** حيث كشف عن هذه الغاية بقوله: "وأظن أن الذى دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض فى التسمية قريب، فأما الحقيقة فما ذكرناه، لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا وبين مشاركة جميعه فى كونه عرضا وصوتا وحروفا وكلاما غربيا ومؤلفا، وهذا مما لا يخفى فيحتاج إلى زيادة بيان ولا فرق فى الفواصل التى تتماثل حروفها فى المقاطع وبين السجع"(٢)

وإذا استشرفت نفوسنا لما ذكره فلنبين: أن **الرجل** قد عرض للسجع فى سياق حديثه عن المناسبة بين الألفاظ فى الصيغ فعرَّفه ثم ذكر رأى نقدة الكلام فيه، والبرهان الذى يستند إليه كل منهم، ثم أفصح عن رأيه هو فقال: "والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة"(٣) ومضى إلى القول بأن ما ارتآه من شرط يجعل السجع محمودا، ويحيل الخلاف بين النقاد صوريا لا حقيقة له فقال: "فإنا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه وعملنا بموجبه، لأنه إنما دل على قبح ما يقع من السجع بتعمل وتكلف، ونحن لم نستحسن ذلك النوع، ووافقنا أيضا دليل من اختاره، لأنه إنما دلَّ به على حسن ما ورد منه فى كتاب الله تعالى، وكلام النبى – ﷺ – والفصحاء من العرب، وكان يحسن

(١) مجلة كلية اللغة العربية ع ١٢. حول موسيقى النثر ص ٨٥

(٢) سر الفصاحة ص ١٧٤

(٣) سر الفصاحة ص ١٧١

الكلام، ويبين آثار الصناعة، ويجرى مجرى القوافى المحمودة، والذى يكون بهذه الصفات هو الذى حمدناه واخترناه"(١)

ومن هذا النص ندرك أن **ابن سنان** أدلى برأيه فى قضية وجود السجع فى القرآن فأثبته فيه، وسماه باسمه غير متحرج.

وحينما رأى بعضهم أن يسمى ما فى القرآن منه فواصل أعاد تعريفه وبين أن من الفواصل ما يدخل فى إطاره، ومنها ما لا يدخل، فقال: "والذى يجب أن يحرر فى ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعا، وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع، وضرب لا يكون سجعا، وهو ما تقاربت حروفه فى المقاطع و لم تتماثل(٢) ، ولا يخلو كل واحد من القسمين – أعنى المتماثل والمتقارب – من أن يكون يأتى طوعا سهلا.... وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفا. فإن كان من القسم الأول فهو المحمود ... وإن كان من الثانى فهو مذموم مرفوض فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود، لعلوه فى الفصاحة"(٣)

ويرى **عبدالقاهر** (ت ٤٧١هـ) أن جمال السجع وحسنه فى عدم تكلفه وإصابة موضه فيقول: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغى به بدلا، ولا تجد عنه حِوَلا"(٤)

ويقول فى موضع آخر: "فقد تبين من هذه الجملة – يعنى بعض الأمثلة التى ذكرها – أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول هو أن

---

(١) سر الفصاحة – ابن سنان – ص ١٧١

(٢) ابن سنان يأخذ هنا تقسيم الفواصل عن الرمانى، غير أنه لا يجعلها خاصة بالقرآن مثله.

(٣) سر الفصاحة ١٧٢

(٤) أسرار البلاغة ص ٧ تحقيق رشيد رضا.

المتكلم لم يَقُد المعنى نحو التجنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، وعبر به الفَرَقَ عليهما حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع لدخل من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه فى شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكره والسجع النافر"(١)

وعلى هذه الوتيرة جرى **ابن الأثير** (ت ٦٣٧هـ) فقد احتج لحسن السجع بقوله: "فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما، وبالجملة فلم تخلُ منه سورة من السور"(٢)

ثم ذكر أمثلة كثيرة من القرآن الكريم ومن أحاديث رسول الله - ﷺ - وبين أن نهى الرسول - ﷺ - عن السجع فى الحديث السابق الذكر لم يكن عن السجع نفسه، وإنما النهى فى حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع فالسجع إذاً ليس بمنهي عنه وإنما المنهى عنه هو الحكم المتبوع فى قول الكاهن(٣) ، فهل نحن بحاجة إلى دليل على نصاعة السجع وحلاوة إيقاعه أقوى من سريانه فى كل سورة من القرآن كما قرر **ابن الأثير**؟.

لقد أصبحت ظاهرة النثر المنغم نَسَقاً قاراًّ بين أنساق التعبير الأدبى، وصارت موسيقاه سائغة مستعذبة، وهيأ لها هذا القرار أولئك البصراء بمحاسن القول، الخبراء بأصناف مذاقه، وأفانين طعومه، لكنهم شرطوا - لكى تقر قرارها - أن تكون فيضا لخاطر جيّاش، ودفقا لشعور متوهج، فإذا سكن الخاطر، وخبا الشعور، وتكلف المتكلم اجتلابها من غور بعيد صارت نشازا يأباه السامع، ولا يطرب له الوجدان، وكانت حرية بالإقصاء عن ساحة القول البليغ.

---

(١) نفسه ص ١٠
(٢) المثل السائر ٢١٠/١ تحقيق الدكتور بدوى طبانة والدكتور أحمد الحوفى
(٣) السابق نفسه ٢١٠/١ - ٢١١

وإذا كان للسجع المطبوع هذه المنزلة لم يكن غريبا أن يقرر **العلوى** (ت ٧٤٩هـ) أنه لهذا الاعتبار يعد نسقا من أنساق التعبير القرآنى، بل هو النسق المعوَّل عليه أكثر من سواه... وفى بيان السجع البليغ المقبول اشترط فيه ما اشترط **ابن الأثير** وهو من القائلين بوجوده فى القرآن:

يقول: "والمختار قبوله. ولو لم يكن جائزا فى البلاغة لما أتى فى أفصح كلام وهو التنزيل، ولما جاء فى كلام سيد البشر وكلام أمير المؤمنين ..."(١) وقد قسمه إلى قصير وطويل ومتوسط(٢) وساق من القرآن أمثلة لكل منها توضحه ثم عقب قائلا: "فأما ما ورد من القرآن غير مسجوع فهو كثير، لكنه بالإضافة إلى ما هو مسجوع منه قليل"(٣)

وبعد فالمسألة فى رأى الإنصاف بين نفاة السجع ومجوِّزيه لا يعدو أن تكون خلافا لفظيا أى خلافا فى الاصطلاح – ولا مشاحة فى الاصطلاح – وما دام الفريقان متفقين على تنزيه القرآن عن التكلف والتوعر فلا ننكر على القائلين بالسجع قولهم ماداموا قد احترزوا من توهم الاطلاق والتعميم مقرين بأن السجع فى القرآن سجع معجز فصيح غير متكلف تأتى الألفاظ فيه تابعة للمعانى كما أن "السجع فيه لا يطرد ولا يلتزم وكذلك فى الحديث الشريف سجع لكنه لا يطرد ولا يلتزم لما فى الالتزام من قهر المعانى على متابعة الألفاظ"(٤) وعلى كل حال إن القول بالفاصلة – تمييزاً لرءوس الآى – ردّ الأمور إلى نصابها(٥) ونظرة استحياء إلى ظاهرة قرآنية متميزة مطردة فى

---

(١) الطراز ٢١/٣

(٢) الطراز ٢٠/٣

(٣) نفسه ٢٣/٣

(٤) النثر الفنى فى القرن الرابع ٧٩/١

(٥) ان كنا نؤثر مصطلح "الفواصل" على "السجع" وبخاصة فى القرآن – مع اعترافنا بوجوده فيه مع عدم الالتزام به – لأن مصطلح السجع حمل عبر تاريخه الطويل ظلالا من المعانى وسمته بالتكلف والنفرة منه، ولأنه كان سمة مميزة لحديث =

القرآن كله – قل هاتوا آية بلا فاصلة – وفى ذلك مجاراة لأصحاب الرأى الآخر فى تسمية ما فى القرآن فواصل رعاية لمقام الأدب لا استجابة لمقتضيات الفن، وفى ذلك ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر أو الكهان، كما أن فيه انسجاما مع إشارات القرآن ﴿**كتاب فصلت آياته**﴾ (فصلت ٣) ﴿**كتابٌ أُحْكِمت آياتُه ثم فُصِّلت**﴾ (هود ١) فضلا عما فيها من حفز الهمم إلى تجديد النقد الأدبى عند العرب بالعودة إلى منابعه الأولى الصافية بالانطلاق من المدرسة القرآنية **أولاً** ومن النظر إلى النص نظرة متكاملة **ثانياً**.

وخلاصة القول: إن السجع مَعْلم من معالم البلاغة ونسق أسلوبى يستهدف مخاطبة الشعور الإنسانى ويرفع قيمة الكلام ويجعله أكثر حسنا وأقوى تأثيرا فى النفس، أما كراهته عند البعض فليست لذاته، وإنما لما يلابسه أحيانا من التكلف والتعسف لذلك تحرج بعضهم من إطلاق على ما فى القرآن سجعا لأن القرآن كلام الله وهو برىء من التكلف، وما ورد فى القرآن مسجوعا أو غير مسجوع يدخل فى نطاق الإعجاز، بل إن دلالة غير المسجوع – فى نظمه – على الإعجاز أوضح وأقوى، ولكل مقامه.

الفواصل ورءوس الآى:

ذكرنا فى الفصل السابق أن **الفرَّاء** (ت ٢٠٧هـ) يطلق على الكلمة التى تنتهى بها الجملة "رءوس آيات"(١) وهى "آخر الآية"(٢) و"أواخر

= الكهان قبل الإسلام فالعدول عنه فى بحث قرآنى يجنبنا اللجج فى الجدل واللدد فى الخصومة اللذين شهدهما الفكر الإسلامى والعربى على اختلاف بيئاته حول إطلاق أحد المصطلحين على هذه الظاهرة البديعية الصوتية فى القرآن الكريم.

(١) معانى القرآن ٢٢٤/٣، وانظر مواضع أخرى ١٧٦/٢، ١١٨/٣، ٢٣١

(٢) نفسه ١٦/١

الحروف"(١) و"فصول"(٢) وأنه يلتفت إلى جانب الايقاع الموسيقى فى تشاكل رءوس الآيات، وذلك فى أكثر من موضع من كتابه "معانى القرآن". يقول **الفرّاء** فى قوله تعالى: "إنها ترمى بشرر كالقصر" (المرسلات ٣٢) كالقصر يريد القصر من قصور مياه العرب، وتوحيده وجمعه عربيان قال تعالى: ﴿**سيهزمُ الجمعُ ويولُّون الدُّبر**﴾ (القمر ٤٥) معناه الأدبار، وكأن القرآن نزل على ما يستحب العرب من موافقته المقاطع، ألا ترى أنه قال: ﴿**إلى شىء نُكُر**﴾ (القمر ٦) فثقّل فى اقتربت لأن آياتها مثقّلة، قال: ﴿**فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نُكْرا**﴾ (الطلاق ٨) فاجتمع القراء على تثقيل الأول وتخفيف هذا". ومثله: ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ (الرحمن ٥) وقال: ﴿**جزاءً من ربِّك عطاءً حِسابا**﴾ (النبأ ٣٦) فأجريت رءوس الآيات على هذه المجارى وهو أكثر من أن يضبط ولكنك تكتفى بهذا منه إن شاء الله" ثم يقول "ويقال كالقصر كأصول النخل ولست اشتهى ذلك لأنها رءوس الآيات مع آيات مخففة"(٣)

ويرى **الفرّاء** أن النظم القرآنى يجيز حذف الياء من أواخر بعض الكلمات موافقة لرءوس الآيات مع موافقة ذلك كلام العرب فيقول فى قوله تعالى: ﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر ٤) ذكروا أنها ليلة المزدلفة، وقد قرأ القراء "يسرى" - بإثبات الياء و"يسر" - بحذفها - وحذفها أحب إلىّ لمشاكلتها لرءوس الآيات، ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفى بالكسرة قبلها منها..."(٤)

ويقول فى موضع آخر فى قوله تعالى ﴿**من ماءٍ دافق**﴾ (الطارق ٦) "أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول به فاعلا إذا كان فى مذهب

---

(١) نفسه ١/٢٠٠، ٢٠١

(٢) نفسه ١/٤٣، ٤٤

(٣) معانى القرآن ٣/٢٢٤، وانظر مواضع أخرى ٢/١٧٦، ٣/١١٨، ٢٣١

(٤) معانى القرآن ٣/٢٦٠، وانظر موضع مثله ١/١٦، ٢٠٠، ٢٠١

نعت كقول العرب: هذا سر كاتم وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية، وأعان على ذلك أنها توافق رءوس الآيات التى هن معهن"(١)

نلحظ من خلال الشواهد السابقة أن **الفرَّاء** معنىّ بإبراز الجانب الموسيقى فى النظم القرآنى بالإشارة إلى التوافق الصوتى أو المشاكلة بين رءوس الآيات، فربما يعدل الأسلوب القرآنى عن لفظ إلى آخر أو عن صيغة إلى أخرى أو حذف أو زيادة مستندا فى ذلك ومدعما رأيه بما ورد عن العرب فى شعرهم – والشعر ديوان العرب – فيقول: "والعرب تفعل ذلك فى الشعر" "والشعر له قواف يقيمها الوزن والزيادة والنقصان فيحتمل ما لا يحتمله الكلام"(٢)
وقول **الفرَّاء** – فى أثناء توجيه الآيات أو الترجيح بين القراءات – "وهذا أحب إلى أو قوله: "لا أشتهى ذلك" يدل على ما يتمتع به **الفرَّاء** من ذوق أدبى وحس مرهف وأذن موسيقية فضلا عن علمه بأقوال العرب.

وقد ذكرت الدكتورة عائشة عبدالرحمن أن **الفرَّاء** على كثرة ما تعرض للفواصل القرآنية وبخاصة فى السور المكية لم يذكرها باسم "الفواصل" وإنما هى عنده رءوس آيات، وقد تحاشا القول بالسجع فيها وإن ثبت على مذهبه فى أن النظم القرآنى يرعاها قصدا إلى الجرس الصوتى ومشاكلة المقاطع"(٣)
ولكننا وقفنا على قول للفراء يدل على أنه لا يجهل مصطلح "الفاصلة" وقد كرره فى موضعين متقاربين فقد قال وهو بصدد قوله تعالى: ﴿**أتتخذنا هُزُوًا**﴾ (البقرة ٦٧) ما نصه: "وهذا فى القرآن كثير بغير الفاء، وذلك لأنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا، فكأن حسن السكوت يجوز به طرح الفاء، وأنت تراه

---

(١) معانى القرآن ٢٥٥/٣
(٢) معانى القرآن ١١٨/٣
(٣) الإعجاز البيانى ٢٥٤

فى رءوس الآيات —— لأنها فصول – حسنا .. فإنه لا يأتى إلا على الذى أنبأتك به من الفصول أو الكلام المكتفى يأتى له جواب"(١)

وقد نقل **الزركشى** فى برهانه قول **الفرَّاء** حول قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ (الرحمن ٤٦): "وإنما ثناهما **لأجل** الفاصلة رعاية للتى قبلها والتى بعدها على هذا الوزن والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام"(٢) ونقل **السيوطى** فى "الاتقان" و"معترك الأقران" قول **الفرَّاء** حول قوله تعالى: ﴿**إذِ ٱنبعث أشقاها**﴾ (الشمس ١٢): "فإنهما **رجلان** قدار وآخر معه و لم يقل أشقياها للفاصلة"(٣)

هذان النصان يدلان على أن **الفرَّاء** لم يجهل مصطلح الفاصلة، ولكن بالرجوع إلى كتاب "معانى القرآن" للفراء فى هذين الموضعين لما أجد تصريحا من **الفرَّاء** بأى مصطلح من المصطلحات التى ذكرها فى مواضع أخرى، فلست أدرى هل **الزركشى** ذكر ذلك من عنده على اعتبار أن مصطلح الفاصلة قد غدا شائعا أو مرادفا لما عرف عن **الفرَّاء** بمشاكلة رءوس الآى أو وقع عليه فى كتاب آخر للفراء غير معانى القرآن – على كل حال لقد ذكر **الفرَّاء** للفاصلة مصطلحات عديدة منها (رءوس آيات) و(آخر الآية) و(أواخر الحرف) و(فصول) ولعل هذا المصطلح الأخير هو المرادف لمصطلح الفاصلة ومساوٍ فى معناه للمصطلحات الأخرى.

تعريف الفاصلة:

ذكر العلماء عدة تعريفات للفاصلة، ولكنهم اختلفوا فى تعريفها بعض الاختلاف، فمن تعريفاتهم: قول **الرّمانى** (ت ٣٨٤هـ) "الفواصل

---

(١) معانى القرآن ٤٣/١، ٤٤

(٢) البرهان ٦٥/١ وانظر معانى القرآن للفراء ١١٨/٣

(٣) الاتقان ٣٤٣/٣ ومعترك الأقران ٣٦/١ وانظر معانى القرآن ٢٦٨/٣

حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعانى"(١) وقول **الباقلانى** (ت ٤٠٣هـ): "الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع، يقع بها إفهام المعانى"(٢) وقول الدانى (ت ٤٤٤هـ): كلمة آخر الجملة.

وعلى هذا الاعتبار فرّق بين الفواصل ورءوس الآى فقال: "الفاصلة هى الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آية، وكذلك الفواصل يكنّ رأس آية وغيرها، فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، ولأجل معنى الفاصلة هذا، ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى ﴿**يوم يأتِ**﴾ (هود ١٠٥)و﴿ **ما كنا نبغ**﴾ (الكهف ٦٤) وليسا رأس آية بإجماع، مع ﴿**إذا يسر**﴾ وهو رأس آية باتفاق"(٣)

وقد ردَّ **الجَعبرى** على ذلك بأنه خلاف المصطلح، ولا دليل عليه فى تمثيل سيبويه بـ ﴿**يوم يأت**﴾ و﴿**ما كنا نبغ**﴾ – وليسا رأس آية – لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية(٤)

وليست الفواصل أعم من رءوس الآى كما ذهب إلى ذلك **أبو عمرو الدانى**، لأن الفواصل – فى الاصطلاح – هى رءوس الآى، ولا عبرة بما يقع فى داخل الآيات من وقفات يسمونها فواصل داخلية أو لغوية كما سماها **الجَعبرى**، فالفاصلة لا تكون فى سائر الآية كما أن القافية لا تكون فى سائر البيت الشعرى ولكن كلاهما فى النهاية أو الختام.

---

(١) النكت (ضمن ثلاث رسائل فى الآعجاز) ص ٨٩

(٢) إعجاز القرآن ص ٢٧٠

(٣) البرهان ١/٥٤

(٤) السابق ١/٥٣، ١/٥٤ ولعله يقصد بالفواصل اللغوية الكلمة التى تنتهى بها الجملة فيدخل فى ذلك الفواصل الداخلية والتى ليست رءوس آى.

ويؤيد هذا قول معاصره **ابن منظور** (ت ٧١١هـ) "أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر - **جلّ** كتاب الله **عزّ وجلّ** - واحدتها فاصلة"(١)

وقول **الزركشي** (ت ٧٩٤هـ) في البرهان - ونقله عنه **السيوطي** (ت ٩١١هـ) في الاتقان والمعترك -: "هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع"(٢)

ويضيف **الزركشي** قوله: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلام، وذلك أن آخر الآية فَصْلٌ بينها وبين ما بعدها أخذا من قوله تعالى: **﴿كتاب فصلت آياته﴾** (فصلت ٣) ولم يسموها أسجاعا ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا"(٣)

ويفهم من هذا النص أن الفاصلة تقع في آخر الآية.ويوقف عليها إذ بها يتم الايقاع ويكتمل المعنى، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا؛ لأن الله تعالى، لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية أيضا لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح وهذا ثابت بالنص الصريح، ومتى انتفى عنه الشعر انتفت القافية تبعا لذلك.

ومن تعريفات المحدثين قول الدكتور أحمد بدوي: "تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن"(٤)

وقول الطاهر بن عاشور: "هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب ... والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون وهي

---

(١) لسان العرب مادة (فصل).

(٢) البرهان ٥٣/١ والاتقان ٣٣٢/٢ والمعترك ٢٩/١

(٣) البرهان ٥٤/١

(٤) من بلاغة القرآن ٧٥

أكثر شبها بالتزام ما لا يلزم فى القوافى، وأكثرها جار على أسلوب الأسجاع ... وكلها منتهى آيات.."(١)

ونلاحظ فى جملة التعريفات السابقة أنها تتفق فى الخصائص الآتية:

١ – موقع الفاصلة فى آخر الآية.

٢ – وجود التشاكل بين حروفها ومقاطعها

٣ – دورها فى تحسين المعنى.

٤ – دورها فى الاستراحة فى الخطاب.

ونستطيع أن نستخلص من جملة التعريفات السابقة تعريفا للفاصلة: الفواصل هى الكلمات التى تقع فى نهاية الآيات وقد تتماثل فى أواخر حروفها أو تتقارب ويحسن الوقف عندها حيث يستدعيها السياق مبنى ومعنى لأن وجودها به ومن أجله وهى تفصل بين معنيين إما فصلا تاما أو غير تام بمعنى أنه قد ينتهى المعنى عندها أو لا ينتهى.

طرق معرفة الفواصل (ضابط الفواصل):

نقل **السيوطى** عن **الجعبرى** فى معرفة فواصل الآى قوله: "لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفى وقياسى...

أما التوقيفى: فما ثبت أنه ﷺ وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة(٢) ، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة، ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١/٧٥ – ٧٦

(٢) روى أبو داود عن أم سلمة لما سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ قالت: "كان يقطع قراءته آية آية". وقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم إلى "الدين" تقف على كل آية. (سنن أبى داود: ١/ ١١٠)

وأما القياسى: فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب. ولا محذور فى ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياسى إلى طريق تعرفه؛ فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة فى النثر، وقافية البيت فى الشعر؛ وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو والإشباع والتوجيه(١) ، فليس بعيب فى الفاصلة، وجاز الانتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة؛ من نوع إلى آخر؛ بخلاف قافية القصيد.(٢)

ومن ثم ترى "يرجعون" مع "عليم" (آل عمران ٧٢، ٧٣)(٣) و"الميعاد" مع الثواب" (آل عمران ١٩٤ – ١٩٥)(٤) و"الطارق" مع "الثاقب" (الطارق ١ – ٣)(٥)

والأصل فى الفاصلة والقرينة المتجردة فى الآية والسجعة المساواة؛ ومن ثم أجمع العادون على ترك عد ﴿**ويأتِ بآخرين**﴾ و ﴿**ولا الملائكةُ المقربون**﴾ (النساء ١٣٣، ١٧٢) و﴿**كَذَّبَ بها الأوَّلُون**﴾ (الإسراء

---

(١) الحذو والإشباع والتوجيه من عيوب القافية، التى تندرج تحت ما اصطلحوا على تسميته بالسناد، مثل كسرة الهاء وفتحة العين فى قولك "مجاهد وتباعد". وسناد الحذو: اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق، مثل فتحة النون وكسرة الكاف فى قولك: "سنَد وكِد". وسناد التوجيه. اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المقيد، كفتحة اللام وضمها فى قولك: "حلَم وحلُم" (انظر ميزان الذهب ص ١٢٦ – لاحظ أن استخدام بعض المصطلحات العروضية هنا من باب التوسع)

(٢) يقصد فى الشعر القديم، أما الشعر الحديث، أو شعر التفعيلة اليوم لم يعد يتقيد بهذا القيد "قضايا الشعر المعاصر" ١٦٢، و"الشعر العربى المعاصر – قضاياه وظواهره...." ٦٥

(٣) من قوله تعالى: ﴿**.... آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**" مع قوله تعالى: ﴿**قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**﴾.

(٤) من قوله تعالى: ﴿**ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد**﴾ مع قوله تعالى: ﴿**والله عنده حسن الثواب**﴾

(٥) من قوله تعالى: ﴿**والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب**﴾.

٥٩) و﴿لِتُبَشِّرَ به المتقين﴾ (مريم ٩٧) و﴿لعلّهم يَتَّقُون﴾ (طه ١١٣) و﴿من الظلماتِ إلى النور﴾ و﴿أنَّ اللهَ على كل شيء قدير﴾ (الطلاق ١١،١٢)

وعلى ترك عد ﴿أفغيرَ دينَ اللهِ يبغون﴾ (آل عمران ٨٣) ﴿أفحُكْمَ الجاهليةِ يَبْغُون﴾ (المائدة ٥٠)

وعدوا نظائرها للمناسبة نحو: ﴿لأولى الألباب﴾ (آل عمران ١٩٠) و﴿على الله كَذِبًا﴾ (الكهف ١٥) و﴿السلوى﴾ (طه ٨٠)

وقد يتوجه الأمران فى كلمة فيختلف فيها، فمنها البسملة وقد نزلت بعض آية فى **النمل** (الآية ٣٠)، وبعضها فى أثناء الفاتحة فى بعض الأحرف السبعة... ، ومنها حروف الفواتح؛ فوجه عدها استقلالها على الرفع والنصب ومناسبة الروى(١) ، والردف(٢) . ووجه عدمه الاختلاف فى الكمية والتعلق بالجزاء.

ومنها بالبقرة ﴿عذاب أليم﴾ (الآية ١٠)(٣) و﴿ إنما نحن مُصْلِحُون﴾ (الآية ١١)

فوجه عده مناسبة الروى، ووجه عدمه تعلقه بتاليه.

ومنها ﴿إلى بنى إسرائيل﴾ (آل عمران ٤٩)(٤) ؛ حملا على ما فى الأعراف (الآية ١٠٥)، والشعراء (الآية ١٧) ، والسجدة (الآية ٢٣)، والزخرف (الآية ٥٩).

ومنها ﴿فبشِّر عِبَاد﴾ (الزمر ١٧)؛ لتقدير تاليه مفعولا ومبتدأ.

---

(١) **الروى**: هو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة، فتنسب إليه، فيقال قصيدة لامية إن كان حرفها لاما. "ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب" ص ١١٤

(٢) **الردف**: هو حرف لين ساكن أو حرف مد قبل الروى يتصلان به كالياء فى "العين" و"السبيل" . المرجع السابق ص ١١٥

(٣) من قوله تعالى: ﴿**فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**﴾

(٤) من قوله تعالى: ﴿**ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم....**﴾

ومنها ﴿والطور﴾، و﴿الرحمن﴾، و﴿الحاقة﴾، و﴿القارعة﴾، و﴿والعصر﴾ حملا على ﴿والفجر﴾، و﴿والضحى﴾ للمناسبة، لكن تفاوتت الكمية."(١)

ما تمتاز به الفاصلة من السجع:

تمتاز الفاصلة من السجع بما يلي:

أولاً: الأسجاع مبنية على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها؛ لأن الغرض المجانسة بين القرائن والمزواجة ولا يتم ذلك إلا بالوقف والسكون ولو وصلت لم يكن بد من إجراء كل القرائن على ما يقتضيه حكم الإعراب فيتعطل عمل الساجع ويفوت غرضه؛ لذلك نراهم يخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الازدواج فيقولون: "آتيك بالغدايا والعشايا"(٢) مع أن فيه ارتكابا لما يخالف اللغة(٣) .

أما الفواصل يكون منها ما هو ساكن الأعجاز مقيد وما هو متحركها مطلق فمن أمثلة ساكن الأعجاز المقيد قوله تعالى: **﴿إذا الشمس كُوِّرت. وإذا النُّجُومُ انكدرت. وإذا الجبالُ سُيِّرت. وإذا العِشَارُ عُطلت..... علمت نفس ما أحضرت﴾** (التكوير ١ – ١٤)

ومن أمثلة المتحرك المطلق:

﴿والمرسلاتِ عُرْفا. فالعاصفاتِ عَصْفًا. والناشراتِ نَشْرا. فالفارقاتِ فَرْقا. فالملقياتِ ذِكْرا. عُذْرًا أو نُذْرًا﴾ (المرسلات ١ – ٦) وليس فيها ما يخالف اللغة **﴿تنزيل من حكيم حميد﴾** (فصلت ٤٢)

---

(١) البرهان ٩٨/١ – ١٠١ ومعترك الأقران ٢٩/١ – ٣٠ والإتقان ٣٣٢/٣ – ٣٣٣

(٢) الغداة لا تجمع على الغدايا ولكنهم كسروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا فإذا أفردوه لم يكسروه. انظر لسان العرب مادة **غدا** (أصلها: الغدوات).

(٣) البرهان ٧١/١

ثانياً: السجع مبنى على التغيير، فيجوز تغيير الفاصلة لتوافق أختها فى حال الازدواج بخلافها فى حال الانفراد.(١)

أما الفواصل فمبنية – فى معظمها – على التماثل والتقارب.

فالمتماثلة نحو قوله تعالى: ﴿**والطُّورِ. وكتابٍ مَّسْطُور. فى رَقٍّ مَّنْشُور. والبيت المعمور**﴾ (الطور ١ – ٤)

وقوله: ﴿**والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلّى. وما خَلَق الذكرَ والأُنثى. إن سعيكم لشتّى**﴾ (الليل ١ – ٤)

وقوله: ﴿**فلا أُقْسِمُ بالخنس. الجوارِ الكُنَّسِ. والليلِ إذا عَسْعَسَ. والصبحِ إذا تنفّس**﴾ (التكوير ١٥ – ١٨).

والمتقاربة مثل: ﴿**الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين**﴾ (الفاتحة ٣ ، ٤)

ومثل: ﴿**ق والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب**﴾(٢) (ق ١ ، ٢)

يقول **الزركشي**: "إذا علمت هذا فاعلم أن فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين، بل تنحصر فى المتماثلة والمتقاربة"(٣)

وليس صحيحا ما ذهب إليه **الزركشي** من قصر الفواصل على هذين القسمين؛ لأنه قد تنتهى فواصل السورة بفاصلة منفردة كما فى ختام سورة الضحى ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ الفاصلة منتهية بحرف "الثاء" على خلاف فواصل السورة كلها. وهذا النوع من الفواصل قليل، ولعل هذا ما جعل **الزركشي** يقصر الفواصل على (المتقاربة والمتماثلة) أو ربما قال ذلك من باب التغليب، لأن الفاصلة المنفردة قليلة وسوف يأتى الحديث عنها – إن شاء الله – فى موضعه.

---

(١) صور البديع ١/١٩٧

(٢) البرهان ١/٧٤، ٧٥ – ولا يتم التسجيع إلا إذا زيدت الآية التالية: ﴿**أإذا مِتْنَا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**﴾ سورة ق ٣

(٣) البرهان ١/٧٥

ثالثاً: تمتاز الفاصلة القرآنية بموسيقاها الشاجية فلا يمكن أن ننكر أن من المقاصد فى فواصل القرآن الكريم، أن تكون شاجية النغم، حلوة الجرس، عذبة الرنين، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها؛ ليتم لها الحسن من جميع جهاته، ومن هنا كانت تلاوة القرآن بالصوت الندى الرخيم تضاعف من تأثير سامعه وتزيد فى خشوعه؛ لأن الأداء الدقيق الجميل يستطيع أن يبرز هذا الانسجام السارى فى الفواصل على أكمل صورة أريدت له.

وبهذا انفرد الكتاب العزيز دون الكتب السماوية بهذه المزية الفائقة، وهى التغنى به(١) تغنيا لا يفسد نظمه ولا يزرى بمعناه ولهذا لم يكن غريبا أن يكون فى هذه الفواصل بعض الخصائص التى توفر لها هذه الموسيقية المطربة، منها:

- أنها أكثر ما تنتهى بحرف النون مردوفة بحروف المد واللين وحكمة ذلك التمكن من التطريب، وحرف النون حرف نوّاح يتضمن شحنة قوية من النغم لذلك فهو حرف الغُنّة، ومادة الرنين اكتسبت صفتها من هذا الحرف نفسه.
- حروف الفواصل إما متماثلة أو متقاربة وهذا له دوره فى إحداث إيقاع متناسق يكسب الكلام موسيقى بالوزن وتكرار النغم.
- معظم الفواصل متفقة مع آياتها فى قرار الصوت اتفاقا يلائم نوع الصوت والوجه الذى يساق عليه.

ما تمتاز به الفاصلة من القافية:

أولاً: خصت فواصل الشعر باسم القوافى لأن الشاعر يقفوها أى يتبعها فى شعره ولا يخرج عنها وليس فى الفواصل القرآنية هذا القيد. لأن الافتنان

(١) روى البخارى عن أبى هريرة "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" قال الشافعى فى معنى "يتغنى": "يتحزن ويترنم به ويقرؤه حدرا وتحزينا" (انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢/١٣٠) بتحقيق الطناحى والحلو.

فى ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آى القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثلة(١)

ثانياً: من عيوب القافية (الحذو والاشباع والتوجيه)(٢) وليس ذلك بعيب فى الفاصلة وجاز الانتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيد، ومن ثَمَّ ترى "يرجعون" مع "عليم" (آل عمران ٧٢، ٧٣) و"الميعاد" مع "الثواب" (آل عمران ١٩٤، ١٩٥) و"الطارق" مع"الثاقب" (الطارق ١ - ٣)(٣)

ثالثاً: من عيوب الروى فى القافية "الإيطاء" و"التضمين" وقد وقع هذا كثيرا فى الفواصل ومع ذلك لا يعد عيبا بل يعد لازما لتمام المعنى أو لتأكيده كما هو معروف من دور الفاصلة فى جلاء المعنى.

---

(١) البرهان ١/٦٠ (من كلام لحازم القرطاجنى) وانظر أيضا الاتقان ٣/٣٣٨

(٢) هذه المصطلحات تندرج تحت اسم السناد وهو نوع من العيوب الطارئة على القافية قبل رويها. [راجع ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب ص ١٢٤، ١٢٥]

(٣) الإتقان ٣/٣٣٣ ومعترك الأقران ١/٣٠ والبرهان ١/٩٩

وإليك نصوص الآيات المشار إليها فى المتن:

﴿وقالت طائفةٌ من أهلِ الكتابِ آمنوا بالذى أُنزِلَ على الذين آمنوا وَجْهَ النهارِ واكفُروا آخرَهُ لعلهم يرجِعون. ولا تُؤمنوا إلا لمن تَبِعَ دينكم قُلْ إن الهدى هُدى الله أن يُؤتَى أحدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُم أو يحاجُّوكُم عِندَ ربكم قل إن الفضلَ بيدِ الله يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ والله واسعٌ عَليم﴾

﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فَاسْتَجَابَ لهم ربُّهم أَنيِّ لا أُضِيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعضٍ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرنَّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنَّهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ ثوابًا مِن عند الله والله عنده حُسْنُ الثواب﴾

﴿والسماءِ والطارق. وما أدراك ما الطارق. النَّجْمُ الثاقب﴾.

و"الإيطاء" هو إعادة اللفظة ذاتها بلفظها ومعناها(١)" كقوله تعالى: ﴿**كأنهم لا يعلمون**﴾ (البقرة ١٠١) ثم قوله فى آخرين ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾ (البقرة ١٠٢، ١٠٣) ثلاث فواصل متوالية ﴿**يعلمون**﴾ ﴿**يعلمون**﴾ ﴿**يعلمون**﴾ فهذا لا يقبح فى القرآن قولا واحدا"(٢) ولبيان ذلك نعيش مع سياق الآيات حتى نتبين أن كل فاصلة جديرة بمكانها يتطلبها المعنى ويستدعيها السياق فتحسن في مكانها ويحسن بها مكانها قال تعالى: ﴿**ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذَ فريق من الذين أُوتوا الكتابَ كتابَ اللهِ وراءَ ظُهُورِهم كأنهم لا يعلمون. واتّبَعُوا ما تَتْلُوا الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ، وما كفر سليمانُ ولكنّ الشياطينَ كفروا، يُعَلِّمُونَ الناسَ السحرَ وما أُنزِل على الملكين ببَابِلَ هاروتَ وماروتَ وما يُعَلِّمانِ من أحدٍ حتى يَقولا إنما نحن فتنةٌ فلا**

---

(١) ميزان الذهب ١٢٤ – والإيطاء فى الشعر أن يقفى بكلمة ثم يقفى بها فى بيت آخر كتكرار كلمة "لينا" فى قول ابن مقبل:

أو كاهتزاز رديني تداوله ... أيدى التجار فزادوا متنه لينا

ثم قال:

نازع ألبابها لبـي بمعتصر ... من الأحاديث حتى زدنني لينا

ويرى الدكتور أحمد كشك أن اللجوء إلى تكرار كلمة بعينها إذا كان مرتبطا بإحساس الشاعر وموافقا للمقام فليس ذلك عيبا فقد يبدو تكرار كلمة "محمد" اسم الممدوح متفقا مع إعجاب الشاعر فلا بأس عليه أن كرر ذلك قائلا:

محمد ساد الناس كهلا ويافعا ... وساد على الأملاك أيضا محمد

محمد ما أحلى شمائله وما ... ألذ حديثا كان فيه محمد

فلا مانع من حدوث ذلك قربت القوافى أو ابتعدت ما دام التكرار يلائم المقام والمقال (القافية تاج الإيقاع الشعرى ص ٩٣، ٩٤)

فى حد الإيطاء وجعل كراهيته مرتبطة باتفاق القافيتين لفظا ومعنى (انظر العمدة لابن رشيق ١/١٦٩) يبين فيه ما يعد من قبيل الإيطاء معيبا أو غير معيب، ومثل ذلك فى كتاب "القوافى" للقاضى أبى يعلى التنوخى ص ١٤٨

(٢) البرهان ١/٥٩، الإتقان ١/٣٦٠

تكفر، فيتعلمون منهما ما يُفرِّقُون به بين المرءِ وزوجِه، وما هم بِضَارِّين به من أحد إلا بإذن ا لله ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعُهم، ولقد عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ ما له فى الآخرة من خَلَاق، وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا به أنفسَهم لو كانوا يعلمون﴾. ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند ا لله خير لو كانوا يعلمون. (البقرة ١٠١ – ١٠٣)

وإن كان لابد من كلمة – هنا – فإننا نلاحظ:

أولاً: أن "يعلمون" فى الآية الأولى واقعة فى حيز النفى لا من حيث الظاهر، وإلا فالمقام مقام إثبات إذ هم يعلمون، وإنما شبه حالهم لكونهم قد صدر منهم فعل لا يصدر إلا ممن لا يعلم – وهو نبذهم كتاب ا لله وراء ظهورهم – بحال من لا يعلم، وهم عالمون فى الواقع. فنزل علمهم – حيث لم ينتفعوا به – منزلة الجهل.

ثانياً: أن الآية الثانية قد طالت بحيث لا يظهر من طولها تكرار الفاصلة، مع ما قبلها، هذا من جهة – ومن جهة أخرى، إن لفظ "العلم" تكرر فيها مرات لكنه يتردد بين الممدوح والمذموم كتعلم السحر، ثم ذكر لفظ "العلم" قبل الفاصلة ليمهد للحكم عليهم فقال: **﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾**

وكون الفاصلة هنا – كذلك – مسلك اقتضته البلاغة، ودعا إليه المعنى توبيخا لهم وإظهارا لحقارة ما تعلموه من فن السحر والأباطيل.

وجاءت الفاصلة فى الآية الثالثة مماثلة للثانية تماما "لو كانوا يعلمون" لأن الآية الثالثة تأكيد لها لما جاء فى عجز الثانية، لذلك اتحدتا فى الفاصلة.

وهذا – كما سبق – أمر اقتضاه المعنى فى المواضع الثلاثة، وهذا شرط حسنها والحرص على الاتيان بها متماثلة(١).

---

(١) خصائص التعبير القرآنى ٣١٠/١ – ٣١١

ومنه أيضا قوله تعالى ﴿قل سبحان ربى هل كُنْتُ إلا بَشَرا رسولا. وما منع الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهُمُ الهُدَى إلا أنْ قالوا أَبَعَثَ ا اللهُ بشرا رسولا. قل لَوْ كان فى الأرض ملائكةٌ يمشُون مطمئنين لَنزّلْنا عليهم من السماء مَلَكا رسولا﴾ (الإسراء ٩٣ – ٩٥)(١)

ومما تمتاز به الفاصلة من القافية أن القافية إذا كانت متعلقة بما بعدها فلا يحسن الوقوف عليها، وهذا يعد عيبا فى الشعر اصطلح على تسميته "التضمين"(٢) وهو قبيح إذا كان مما يتم الكلام بدونه(٣) ومقبول إذا كان فيه بعض المعنى لكنه يفسر بما بعده.(٤)

---

(١) ومن أمثلة ذلك أيضا: (النور ١٤، ١٥، ١٦) و(غافر ٦٤، ٦٥، ٦٦) و(الرحمن ٧، ٨، ٩) و(مريم ٩١، ٩٢) و(سبأ ٥٠، ٥١ – ٥٢، ٥٣)

(٢) العمدة لابن رشيق ١/١٧١، ١٧٢ بتصرف.

(٣) من التضمين المستهجن قول النابغة فى مديح قوم:

وهم وردوا الجفار على تميم	وهم أصحاب يوم عكاظ إنى
شهدت لهم مواطن صادقات	شهدن لهم بصدق الود منى

فعلق لفظة "إنى" بالبيت الثانى، وهذا مردود من ناحيتين:

الأولى: افتقار معنوى نحوى حيث تمثل البقية التالية تمام فائدة معنوية ونحوية.

الثانية: ضياع موسيقى القافية حيث يذوب ويتلاشى استقلالها النغمى – قال صاحب العيون الغامزة "القافية محل الوقف والاستراحة فإذا كانت مفتقرة لما بعدها لم يصح الوقف عليها [العيون الغامزة ٢٧١] وانظر: القافية تاج الايقاع الشعرى للدكتور أحمد كشك فله رأى فى ذلك ص ٨٧ وما بعدها".

ومن أمثلته قول مجنون ليلى:

فلو تلتقى أرواحنا بعد موتنا	ومن دون رمسينا من الأرض منكب
لظل صدى رمسى وإن كنت رِمَّةً	لصوت صدى ليلى يهشُّ ويطرب

(انظر ديوان مجنون ليلى ص ٤٦)

(٤) ميزان الذهب ص ١٢٤

أما الفاصلة فيحسن الوقوف عليها ولو لم يكن بها تمام المعنى وكانت متعلقة بما بعدها.

ومن أمثلة ذلك فى الفواصل القرآنية تعلق الفاصلة الأخيرة من سورة "الفيل" بأول سورة "قريش" فإن اللام فى ﴿**لِإِيلَافِ قريش**﴾ (قريش ١) قيل إنها متعلقة بـ ﴿**فجعلهم كعصف مأكول**﴾ فى آخر "الفيل" ومع ذلك يحسن الوقف بل يجب لإظهار الفاصلة بالوقوف عليها لإبداء موسيقاها وتحقيق تأثيرها، جاء فى تفسير القرطبى:

"أجمع المسلمون أن الوقف عند قوله: ﴿**كعصفٍ مَّأْكُول**﴾ (الفيل ٥) ليس بقبيح. وكيف يقال إنه قبيح وهذه السورة تقرأ فى الركعة الأولى والتى بعدها فى الركعة الثانية فيتخللها من قطع القراءة أركان؟ ... والقياس ألا يمتنع الوقف عند إعجاز الآيات سواء كان الكلام يتم والغرض ينتهى أو لا يتم ولا ينتهى وأيضا فإن الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور، ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن، فثبت بذلك أن الفواصل من محاسن المنظوم، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه، وترك الوقوف يخفى تلك المحاسن ويشبه المنثور بالمنظوم وذلك إخلال بحق المقروء"(١)

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿**وإنكم لَتَمُرُّونَ عليهم مُصبِحين. وبالليل ج أَفَلَا تعقلون**﴾ (الصافات ١٣٧ ، ١٣٨)

فالفاصلة "مصبحين" متعلقة – من ناحية المعنى – بأول الآية الأخرى "وبالليل" ولذلك نلاحظ فى المصاحف علامة الوقف الجائز على "وبالليل"

ومع ذلك يحسن ويفضل الوقوف على الفاصلة مصبحين لتعطى بإيقاعها كمال الإيقاع وراحة النفس والتزام السنة فى القراءة.

رابعاً: تمتاز الفواصل فى القرآن بأن لها دورا أساسيا فى المعنى فهى شديدة الإرتباط بما قبلها ولا يجوز تغييرها بكلمة أخرى على وزنها أو مرادفة

---

(١) تفسير القرطبى ١٤١/٢٠. ط بيروت ١٩٨٨ دار الكتب العلمية.

لمعناها، لأنها لا تسد مسدها بحال أما القافية فقد تكون كلمة أو بعض كلمة وقد تكون مجلّوبة من أجلّ التقفية والوزن ولا علاقة لها بالمعنى.

ومن عيوب الشعر أن تكون القافية مستدعاة، قد تكلف فى طلبها فاشتغل معنى سائر البيت بها؛ مثل ما قال أبو تمام الطائى:

كالظبية الأدماء صافت فأرتعت ... زهر العرار الغض والجثجاثا

فجميع هذا البيت مبنى لطلب هذه القافية، وإلا فليس فى وصف الظبية بأنها ترتعى الجثجاث كبير فائدة؛ لأنها إنما توصف الظبية إذا قصد لنعتها بأحسن أحوالها؛ بأن يقال بأنها تعطو الشجر، لأنها حينئذ رافعة رأسها وتوصف بأن ذعرا يسيرا قد لحقها(١) ؛ كما قال الطِّرِمَّاح :

مثلُ ما عاينت مخروفة ... نصَّها ذاعرُ روعٍ مُؤامْ(٢)

فأما ان ترتعى الجثجاث فلا أعرف له معنى فى زيادة الظبية من الحسن، لاسيما والجثجاث ليس من المراعى التى توصف(٣)

قال: ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها فى السجع لا لأن لها فائدة فى معنى البيت؛ كما قال على بن محمد البصرى:

وسابغة الأذيال زغف مفاضة ... تكنفها منى نجاد مخطط(٤)

---

(١) نقد الشعر ٢١٠ ، الموشح ٢٩٩ بتحقيق البجاوى والبيت بديوان أبى تمام ص ٥٠ مطبعة حجازى بالقاهرة (بدون).

(٢) نقد الشعر ٢١٠ والموشح ٢٩٩ – مخروفة: أصابها الخريف. روع: خوف مؤام: المقارب اليسير، والبيت فى اللسان (أمم) *مثل ما كافحت مخزوبة * وفيه (خرف) * مثل ما كافحت مخروفة * والبيت فى ديوان الطرماح * مثل ما كافحت مخروفة * والمعنى شبه المرأة التى رآها بين السجفين بظبية مذعورة وهى أحسن ما تكون إذا مدت عنقها – انظر:ديوان الطرماح ص ٣٩٦ بتحقيق د. عزة حسن.

(٣) نقد الشعر ٢١٠، والموشح للمرزبانى ص ٢٩٩

(٤) زغف: الدرع والبيت فى نقد الشعر *تكنفها منى البجاد المخطط*

فى وصف الدرع وتجويد نعتها، وليس يزيد فى جودتها أن يكون نجادها مخططا دون أن يكون أحمر أو أخضر أو غير ذلك من الأصباغ ولكنه أتى به من **أجل** السجع(١) ، لا لفائدة فى **معنى البيت** .

ومن هذا الجنس قول أبى عدى القرشى:

ووقيت الحتوف من وارث وا ... لٍ وأبقاك صالحا ربُّ هود

فليس نسبة هذا الشاعر ا **لله عزّ وجلّ** إلى أنه رب هود بأجودَ فى هذا البيت من نسبته إلى أنه رب نوح ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع، لا لإفادة معنى بما أتى به منه(٢)

قال ابن طباطبا **العلوى**: ينبغى للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه؛ فيلائم بينها لتنتظم معانيها، ويتصل كلامه فيها(٣)

٢ – قد تخضع القافية للضرورة الشعرية والضرائر كثيرة ولا يمكن حصرها أما الفاصلة القرآنية فلا تخضع لضرورة لأنها تنزيل من حكيم حميد ومن أمثلة خضوع القافية للضرورة الشعرية نصب المضارع فى غير موضع نصبه كقول الشاعر:

سأترك منزلى لبنى تميم ... وألحق بالحجاز فأستريحا(٤)

ومن ذلك نصب الاسم وكان مقتضى قواعد الإعراب أن يرفع مثل قول الشاعر:

لن تراها ولو تأملت إلا ... ولها فى مفارق الرأس طيبا(٥)

وقول آخر:

---

(١) نقد الشعر ص٢١٠، ٢١١ والموشح ٢٩٩

(٢) نقد الشعر ٢١١ والموشح ٣٠٠

(٣) عيار الشعر ١٢٤ والموشح ٣٠٠

(٤) شرح السيرافى ٢٥٢/١ نقلا عن الضرورة الشعرية ص ٣٩٤

(٥) الكتاب ١٤٤/١، ١٤٦ وشرح السيرافى ٢٠٤/١

وجدنا الصالحينَ لهم جزاءً   وجناتٍ وعينـــًا سلسبيلا(١)

وهناك ظاهرة أخرى فى الشعر ينكسر فيها قانون الإعراب وتطرح العلامة الإعرابية وتسمى فى اصطلاح العروضيين "الإقواء" وهو اختلاف المجرى.(٢) ومن أمثلته فى الشعر العربى قول النابغة:

زَعَم البوارحُ أن رحلتنا غدا   وبذاك خبَّرنا الغرابُ الأسـودُ

لا مرحبا بغدٍ ولا أهلا بــه   إن كان تفريقُ الأحبةِ فى غدِ(٣)

فنحن نلاحظ رفع كلمة (الأسودُ) فى قافية البيت الأول ثم كسر كلمة (غدِ) فى قافية البيت الثانى. وهذا عيب (الإقواء).

ومن أمثلته أيضا قول حسان بن ثابت:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم   جسم البغال وأحلام العصافيرِ

ثم قال:

كأنهم قصبُ جوف أسافله   مثقب نفخت فيه الأعاصيرُ(٤)

وهناك بيت **الفرزدق** المشهور:

وعض زمان يابن مروان لم يدع   من المال إلا مستحقا أو مجلّفُ

يقول عنه أبو عمر بن العلاء "لا أعرف له وجها، وكان يونس لا يعرف له وجها قلت له: لعل **الفرزدق** قالها على النصب و لم يأبه. قال: لا كان ينشدها على الرفع(٥) .

يقول ابن قتيبة عن **الفرزدق** فى بيته السابق: إنه رفع آخر البيت ضرورة وأتعب أهل الإعراب فى طلب العلة فقالوا وأكثروا و لم يأتوا فيه بشىء

---

(١) السابق نفسه والصفحة.

(٢) المجرى: حركة حرف الروى الذى تبنى عليه القصيدة. (الموشح ٢٢).

(٣) ديوان النابغة ٣٥

(٤) ديوان حسان بن ثابت ٢١٤ وانظر: الموشح ٢٣ وأمثلة أخرى.

(٥) الموشح: ١٤٠ وانظر الشعر والشعراء ٨٩/١

يرضى، ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به احتيال وتمويه(١)

وإذا نظرنا فى نماذج الإقواء التى يمتلىء بها شعرنا العربى وجدنا أنها تقلب نظام الإعراب رأسا على عقب إذ كان الشعراء ينطقون بما يوافق النسق الموسيقى للقافية.

يقول **ابن جنى**: "ألا ترى أن العناية فى الشعر إنما هى بالقوافى لأنها المقاطع ... وكذلك كلما تطرف الحرف فى القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه"(٢) وحكمه الذى يحافظ عليه هنا ليس هو الحكم الإعرابى وإنما هو حكم الموسيقى.(٣)

وقد ظهرت الحركة الإعرابية حيث كان ينبغى أن تقدر ولا تظهر، فمن ذلك قول **الفرزدق**:

فلو كان عبدا لله مولى هجوته ‏ ‏ ‏ ‏ ولكن عبدا لله مولى مواليا

وكان الوجه أن يقول: مولى موال ويلقى الياء لسكونها وسكون التنوين فلما اضطر إلى تحريكها لم يصرف لتمام حركات البناء المانع من الصرف(٤) فالضرورات التى يضطر فيها الوزن الشاعر أن يضع كلامه فى غير مواضعه فهى ضرورات غير لائقة، ولا جائزة لأنها تمثل خروجا عن أنماط الفصحى وتخل بفصاحة الكلام التى تعد شرطا من شروط بلاغته، لذلك يرى البلاغيون أن فصاحة الكلام خلوصه من ضعف التأليف والتعقيد اللفظى والمعنوى.(٥)

---

(١) الشعر والشعراء ٨٩/١

(٢) الخصائص ٨٤/١، ٨٥

(٣) الضرورة الشعرية فى النحو العربى ٣٩٨

(٤) السابق ٣٩٩ - ٤٠٠

(٥) انظر شواهد على ذلك عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٩٨/١ وما بعدها.

وإذا كان النحو قد استنبط من نصوص شعرية ونثرية رفيعة المستوى. فإننا لا نفرض على نظم الكلام قواعد غريبة لا يستطيع الشاعر ان ينظم من خلالها، ومعنى هذا ان تنسيق الكلام ونظمه ليؤدى معنى فى إطار الوزن الشعرى أمر ميسور، والإخلال بالفهم والمعنى طلبا للوزن لا يمثل مستوى شعريا وإنما يمثل خروجا عن النموذج الأمثل وإخلالا بالفصاحة وإذا زاد البعد بين المعنى والمبنى، وبين الوزن والفهم، كان ذلك بمثابة خطأ يقع فيه الشاعر ولا تجد شيئا من ذلك فى القرآن الكريم ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾ (هود ١)

خامسا: إن تقفية الشعر تعنى تطابق خواتيم الأبيات من الناحية الصوتية وقد جعل الالتزام بالقافية جزءا من عمود الشعر الذى لا يكون الشعر شعرا إلا به وفى القرآن من الفواصل ما يتشابه جرسه فى الأذن ولا يتطابق بالضرورة فى الحرف، فالقافية تتطلب التطابق التام بين عدد من الحروف فى آخر كل بيت من القصيدة فإذا قرأت مثلا قصيدة شوقى:

سلوا قلبى غداة سلا وتابا   لعل على الجمال له عتابا(١)

وجدت التقفية تحتم أن تنتهى أواخر أبيات القصيدة بألف بعدها باء بعدها ألف وألفيت ذلك، ملتزما فى نهاية كل بيت من القصيدة بل أن ذلك التزم أيضا فى شطرى مطلع القصيدة على نية "التصريع"(٢)

---

(١) ديوان شوقى ١/ ٦٠٦

(٢) التصريع هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تزيد بزيادته وتنقص بنقصه نحو قول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان   ورسم عفت آياته منذ أزمان

وهى فى سائر القصيدة "مفاعلن" وقال فى النقصان:

لمن طلل أبصرته فشجانى   كخط زبور فى عسيب يمانى =

وكذلك الحال إذا قرأت أية قصيدة جاهلية أو إسلامية جارية على شرط عمود الشعر. بل إن محاولات التجديد في الشعر حين ثارت على الإطراد المطلق للقافية لم تطرحها اطراحا تاما ولو فعلت لخرج ما أتى به هذا التجديد عن حدود الشعر وهكذا منح التجديد التقفية (أو اضطر إلى منحها) اطرادا مقيدا كما في الموشحات الأندلسية ونحوها وحين بالغ أصحاب الحداثة فعمدوا إلى أن يطرحوا القافية افتتانا بما رأوا من تقاليد الآداب الأخرى رمونا بالخنثى المشكل من القول فلم نجد لهم شعرا و لم نجد لهم نثرا وانتهوا بنا إلى بلية الدعوة إلى الغموض فباءوا بالتخليط والهذيان. ذلك أن لكل أمة ذوقها وقد تمسك الذوق العربي بعمود الشعر حتى يومنا هذا وما هو بمزحزحه عن عمود الشعر أن يبتلى بتخليط قوم أو هذيانهم. لم يكن عمود الشعر إذا اجتهادا نظريا من العلماء وإنما كان من قبل ذلك في ضمير كل شاعر عربي سواء فطن الشاعر إلى ذلك أم لم يفطن كان عمود الشعر اكتشافا للعلماء و لم يكن اختراعا أي أنه ينسب إلى التطبيق ولا ينسب إلى النظر.

أما الفاصلة فلا تلتزم شيئا من ذلك إذ تراها تجرى في عدد آيات السورة على نمط ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر وفي خلال جريها على نمط واحد قد يكون ما يقوم عليه النمط مقصورا على حرف مد فقط كما في قوله تعالى: ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوة ولهم عذاب عظيم. ومن الناسِ من يقول آمنا بالله وباليوم الآخرِ وما هم بمؤمنين**﴾ (البقرة ٧، ٨) فلا تصلح إحدى الفاصلتين أن تقفو الأخرى في شعر. وقد يقوم النمط على صفة من صفات حرف في الفاصلة كصفة الضيق مثلا (والمقصود ضيق الفم

= فالضرب "فعولن" والعروض مثله لمكان التصريع وهى فى سائر القصيدة "مفاعلن" كالأولى، وكل ما جرى هذا المجرى وفى سائر الأوزان فهو مصرع. (العمدة ١٧٣/١) – وانظر ديوان شوقى ٦٠٦/١

بتقريب جزء من جسم اللسان من الحنك الأعلى أثناء النطق) وهى الصفة التى يشترك فيها الواو والياء كما فى قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين: ﴿**يُخَادِعُون اللهَ والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسَهم وما يشعرون**﴾ (البقرة٩) فهل يصلح للتقفية أن تقوم على توالى ثلاث كلمات مثل التى انتهت بها الآيات الثلاث (عظيم – مؤمنين – يشعرون)؟!

٢ – فى كثير من سور القرآن لا يلتزم شيء بعد الحرف الضيق (الواو والياء) كما فى سورة الحج فإذا قرأت هذه السورة مثلا وجدت فواصل الآيات لا تحمل شبها أى شبه بالتقفية لأن فواصل الآيات تجرى على النحو التالى: عظيم – شديد – مريد – السعير – بهيج – قدير – القبور – منير – الحريق – للعبيد – المبين – البعيد – العشير – ما يريد – ما يغيظ – من يريد – شهيد – ثم يترك الحرف الضيق إلى الألف فيأتى لفظ "ما يشاء" ثم تعود الفاصلة إلى الحرف الضيق مرة أخرى فتقرأ: الحميم – الجلود – حديد – الحريق – حرير – الحميد – أليم – السجود – عميق – الفقير – العتيق – الزور – سحيق – القلوب – العتيق – المخبتين – ينفقون – تشكرون – المحسنين – كفور –لقدير – عزيز – الأمور – ثمود – لوط – نكير – مشيد – الصدور – تعدون – المصير – مبين – كريم – الجحيم – حكيم – بعيد – مستقيم – عقيم – النعيم – مهين – الرازقين – حليم – غفور – بصير – كبير – خبير – حميد – رحيم – كفور – مستقيم – تعملون – تختلفون – يسير – نصير – المصير – المطلوب – عزيز – بصير – الأمور – تفلحون – النصير.

وهكذا جاءت نهايات الآيات على النحو التاليي:

اء = ١	يد = ١٢	يم = ١٢	يز = ٢
وب = ٢	ور = ٨	ون = ٦	وط = ١
يج = ١	ير = ١٧	**يق** = ٦	
ود = ٣	ين = ٦	يظ = ١	المجموع = ٧٨

وقد جاءت الياء فى سبع وخمسين فاصلة وجاءت الواو فى عشرين، والألف فى فاصلة واحدة، و لم يلتزم حرف من الحروف بعد الياء ولا بعد الواو.

وانظر بعد ذلك – إن شئت – فى فواصل سورة "الرعد" تجد الواو والنون قد ختمت الآيات الخمس الأولى ثم عدلت الفواصل التالية عن ذلك فلم تلتزم إلا ألف المد مع قطع النظم عما يتلوها من الحروف التى تختتم بها الآيات، وهكذا تجد الفواصل تتوالى بعد ذلك على النحو التالى:

العتاب – هاد – مقدار – المتعال – النهار – وال – الثقال – المحال – ضلال – الآصال – القهار – الأمثال – المهاد – الألباب – الميثاق – الحساب – الدار – باب – الدار – متاع – أناب – ثم تأتى الواو فى كلمة "القلوب" ثم تعود الألف مرة أخرى فنجد: مآب – متاب – ميعاد – عقاب – هاد – واق – الناس – مآب – واق – كتاب – الحساب – الحساب – الدار – الكتاب

ويسود هذا التباين بين الفواصل فى سور كثيرة من القرآن منها:

آل عمران – هود – إبراهيم – مريم – النور – لقمان – فاطر – الصافات – ص – الزمر – فصلت – الذاريات – الواقعة – الحشر – المعارج – المدثر – والطارق – الغاشية – الفجر – البلد – الشرح – العلق – وغير ذلك من قصار السور.

ولسنا نجد شيئا مما التزمته الفواصل القرآنية يصلح أن يكون قافية. فالواو والميم فى الشعر لا تقفو الياء والنون وكذلك لا يكفى للقافية أن تعتمد على المد الضيق دون نظر إلى ما بعده من بيت الشعر فكلمة "أمين" مثلا لا تقفو كلمة "إدريس" ولو كانت الياء قبل الآخر فى كل منهما ولا يمكن قبول إحدى هاتين الكلمتين لتقفو كلمة مثل "نوح" على رغم ضيق المد فى هذه وتلك.

وكذلك لا يكفى أن يكون الحرف الأخير ألفا مطلقة إذا اختلفت حركات ما قبلها وسكناته فلا يعد من التقفية أن تتوالى كلمات مثل: عجبا – همسا- تسليما – كثيرا – أصيلا – عزيزا – كما فى سوزة "الأحزاب" ومغزى كل ذلك أن مواضع الفاصلة تختلف اختلافا تاما عن قيود القافية.

ومع ذلك تأتى الفاصلة فى نهاية الآيـة لتحقـق للنـص جانبـا جماليـا لا يخطئـه الذوق السليم لأننا مهما يكن من شيء نحـس أنهـا تضفـى علـى النـص قيمـة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى.وحدات أدائيـة تعـد معـالم للوقـف والابتداء وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهمـا أثـر جمـالى لا يبعـد كثـيرا عما نحسه من وزن الشعر وقافيته ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحريـة مـن كل قيد مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية. ولأمـر مـا كـان الوقـف علـى رؤوس الآى سنة إلا أن يفسد به المعنى ذلك أن الوصول بـالقراءة إلى فاصلـة الآية يتفق فى الأغلب الأعم مع طاقـة النفـس الواحـد لـدى القـارىء فيقـف القارىء عند الفاصلة ليتزود بزاد نَفَس جديد وليحسّ عند الفاصلة بأنه يقـف لدى معلم من معالم السياق المتصل تحف به روائق الايقاع وروائع المعنـى مـن كل جانب.(١)

وهذا ما قاله **الرّمانى** فى فوائد الفواصل "الفائدة مـن الفواصـل دلالتهـا علـى المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل وابداؤها فى الآى بالنظائر".(٢)

ومن هنا فالفواصل غير متكلفة وإنما هى تابعة للمعنـى فهـى تـبرزه مـن جهـة وتحدث إيقاعا من جهة أخرى، وهذا يجرنا إلى القول بأن التمـاثل الصوتـى لا يمكن أن يتولد عنه إيقاع إلا إذا كان مرتبطا بالمعنى.

---

(١) البيان فى روائع القرآن ٢٧٦ – ٢٧٩

(٢) النكت فى إعجاز القرآن ص ٩١

الفصل الثانى

أبنية الفواصل

أولا: بحسب حرف الروى.

ثانيا: بحسب الوزن.

ثالثا: بحسب طول القرينة.

رابعا: بحسب مقدارها من الآية.

- الفاصلة الداخلية.
- الفاصلة الموحدة.
- الفاصلة المنفردة.

أبنية الفاصلة(١)

للفاصلة عدد من الأبنية من حيث حرف الروى أو الوزن أو طول القرينة أو من حيث موقع الفاصلة أو مقدارها من الآية أو مدى التكرار فلنتأمل أبنيتها بحسب كل من الزوايا السالفة.

أولاً: بحسب حرف الروى:

و لم تلتزم فواصل القرآن العزيز حرف الروى دائما التزام الشعر والسجع و لم تهمله إهمال النثر المرسل، بل كانت لها صبغتها المتميزة فى الالتزام والتحرر من الالتزام فهناك الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة.

فالفواصل المتماثلة(٢) – وتسمى كذلك المتجانسة(٣) أو ذات المناسبة التامة– (٤) فهى التى تماثلت حروف رويها، كقوله تعالى:

﴿والطور
وكتاب مسطور
فى رق منشور
والبيت المعمور﴾ (الطور ١ – ٤)

وقد تتفق الفاصلتان فى حرف أو أكثر قبل الروى(٥) ، من غير كلفة، ولا قلق، بل تنساب فى لين وجمال وسلاسة.

---

(١) اعتمدنا فى هذا الفصل على تقسيم الدكتور محمد الحسناوى فى كتابه "الفاصلة فى القرآن" ص ١٤٥ وما بعدها بتصرف يسير.، وزيادات لنا.

(٢) سماها بذلك كل من الخفاجى والزركشى والسيوطى انظر (سر الفصاحة ١٧٢ والبرهان ٧٣/١ والاتقان ٣٥٩/٣) على الترتيب.

(٣) سماها بذلك الرمانى – ثلاث رسائل فى الإعجاز (النكت) ص ٩٠

(٤) سماها بذلك كل من الخفاجى والزركشى والسيوطى انظر (سر الفصاحة ١٧٢ والبرهان ٧٣/١ والاتقان ٣٥٩/٣) على الترتيب.

(٥) أطلق عليه القدماء اسم "الالتزام" أو "لزوم ما لا يلزم". انظر مفتاح السعادة ٤٧٦/٢ وبديع القرآن ٢٢٧ والاتقان ٣٥٧/٣

فمثال التزام حرف. قوله عزّ وجل:

﴿ألم نشرح لك صدرك.

ووضعنا عنك وزرك.

الذى انقض ظهرك

ورفعنا لك ذكرك﴾ (الانشراح ١ - ٤)

ومثال التزام حرفين قبل الروى:

﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون.

وإن لك لأجرا غير ممنون﴾ (القلم ٢، ٣)

ومثال التزام ثلاثة أحرف:

﴿إن الذين اتّقَوْا إذَا مسّهم طائفٌ مِّن الشيطانِ تذكّروا فإذا هم مُبْصِرُون.

وإخوانُهم يَمُدُّونَهم فى الغَىِّ ثم لا يُقْصِرُون﴾ (الأعراف ٢٠١، ٢٠٢)

أما الفواصل المتقاربة: وتسمى ذات المناسبة غير التامة:(١)

فهى التى تقاربت حروف رويها كتقارب الميم من النون: كقوله تعالى:

﴿الرحمن الرحيم

مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة ٢،٣)

أو تقارب الدال من الباء، كقوله تعالى:

﴿ق. والقرآن المجيد.

بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىءٌ عَجيب

أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رَجْعٌ بَعِيد﴾ (ق ١ - ٤)

هذان النوعان غالبان على الفواصل لا يكاد أحدهما يزيد عددا على الآخر

---

(١) سماها الرمانى "المتقاربة" ثلاث رسائل فى الإعجاز ٩٠ وكذلك الخفاجى (سر الفصاحة ١٧٢). والزركشى فى البرهان ٧٥/١ والسيوطى فى الاتقان ٣٥٩/٣ وسماها ابن القيم ذات المناسبة غير التامة (الفوائد المشوق ٨٨).

لكن الملاحظ أن الفواصل المتماثلة تشيع فى الآيـات والسـور المكيـة(١) علـى حين تغلب المتقاربة على الآيات المدنية(٢)

وقد استقلت الفواصل المتماثلة بإحدى عشرة سورة مـن سـور **المفصـل** (السور القصار) – ومعظمها مكى – هى:

١ – سور "القمر" "القدر" "العصر" "الكوثر" التى تماثلت فواصلها فى حرف الراء.

٢ – سـورتا "الأعلـى" "الليـل" اللتـان تمـاثلت فواصلهـا فـى حـرف الألـف المقصورة.

٣ – سورة "الشمس" التى فواصلها على الألف الممدودة بعدها "ها".

٤ – سورة "الاخلاص" على الدال.

٥ – سورة "الناس" على السين.

٦– سورة "المنافقون" على النون.

٧ – سورة "الفيل" على اللام.

أما الفاصلة المنفـردة – وهـى نـادرة – فهـى التـى لم تتمـاثل حـروف رويها و لم تتقارب، كالفاصلة التى ختمت بها سورة "الضحى" (المكية)

﴿... **فأما اليتيم فلا تَقْهَرْ.**

واما السائل فلا تَنْهَرْ

واما بنعمة ربك فحدِّثْ﴾ (الضحى ٩ – ١١)

<u>ثانيا : بحسب الوزن:</u>

الفاصلة أقسام من حيـث توافـر الـوزن وعدمـه ومـن حيـث اجتمـاع الوزن مع عنصر آخر او انفراده.

---

(١) كسور "النازعات" و"عبس" و"الانفطار" و"الأعلى"

(٢) كسور "البقرة" و"آل عمران" و"المائدة".

فهناك "**المطرف**" أو "**المعطوف**"(١) وهو ما اتفق فى حروف الروى لا فى الوزن نحو قوله عزّ وجل:

﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا.

وقد خلقكم أطوارا﴾ (نوح ١٣، ١٤)

وهناك "**المتوازى**"(٢) وهو رعاية الكلمتين الأخيرتين فى الوزن والروى واشترط بعض العلماء الا يقابل ما فى الفقرة الأولى لما فى الثانية فى الوزن والتقفية(٣) ومثاله قوله عزّ من قائل:

﴿فيها سُرُرٌ مَّرْفُوعة.

وأكوابٌ مَّوْضُوعَة﴾ (الغاشية ١٣، ١٤)

وهنالك "**المتوازن**"(٤) وهو ما راعى فى مقاطع الكلام الوزن دون التقفية كقوله تعالى:

﴿ونمارق مصفوفة.

وزرابى مبثوثة﴾ الغاشية (١٥ ، ١٦).

وكقوله تعالى:

﴿والسماء والطارق.

وما أدراك ما الطارق

النجم الثاقب

إنْ كل نفس لَـمَّا عليها حافظ﴾ (الطارق ١ - ٤)

---

(١) سماه ابن القيم "المتطرف" فى الفوائد ٢٢٦ - ٢٢٧) وسماه "المطرف" كل من الزركشى (البرهان ٧٦/١) والحموى (خزانة الأدب ٥١٦) والسيوطى فى (الاتقان ٣٥٦/٣) بينما ذكره صاحب مفتاح السعادة باسم "المعطوف" ٤٧٥/٢

(٢) الفوائد ٢٢٦ - ٢٢٧ والبرهان ٧٥/١ وخزانة الأدب ٥١٦ والاتقان ٣٥٦/٣

(٣) الاتقان ٣٥٦/٣

(٤) الفوائد ٢٢٧ والبرهان ٧٥/١ والخزانة ٥١٦ والاتقان ٣٥٦/٣ وذكره ابن أبى الأصبع فى باب المماثلة (بديع القرآن ص ١٠٧).

فالطارق والثاقب وحافظ متماثلات فى الزنة دون التقفية.(١)

وهناك "**المرصع**"(٢) وهو أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفا من كلمات مختلفة، والثانى مؤلفا من مثلها فى ثلاثة أشياء وهى الوزن والتقفية وتقابل القرائن كقوله تعالى:

﴿**إن الأبرار لفى نعيم.**

وإن الفجار لفى جحيم﴾ (الانفطار ١٣ - ١٤)

وقوله تعالى:

﴿**إن إلينا إيابهم.**

ثم إن علينا حسابهم﴾ (الغاشية ٢٥ - ٢٦).

وهناك أخيرا "**المتماثل**" وهو أن تتساوى الفقرتان فى الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما فى الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازى. كقوله تعالى:

﴿**وآتيناهما الكتاب المستبين.**

وهديناهما الصراط المستقيم﴾ (الصافات ١١٧، ١١٨)

فالكتاب والصراط يتوازنان وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا فى الحرف الأخير.(٣)

ثالثا: بحسب طول القرينة:

المراد بطول القرينة - هنا - مقدار طولها بالنسبة إلى القرينة الثانية والثالثة إذ تنقسم الفواصل بحسب مقادير قرائنها إلى أقسام كما يلى:

---

(١) بديع القرآن ١٠٧

(٢) البرهان ٧٧/١ والاتقان ٣٥٦/٣ والخزانة ٤٢٢

(٣) الاتقان ٣٥٦/٣

أ – أن تكون القرائن متساوية فى عدد الكلمات لا يزيد بعضهـا علـى بعـض ولا تضر الزيادة فى عدد الحروف لأن التسـاوى فيهـا غـير مشـروط فـلا حاجة مثلا إلى جعل المشدد كاللام فى "ظل" بحرفين. وقد جاء هذا كثيرا فى القرآن الكريم كقوله عزّ وجل:

﴿**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين.**

فى سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود﴾ (الواقعة ٢٧ – ٣٠)

وقوله ﴿**فأما اليتيم فلا تقهر. وامـا السـائل فـلا تنهـر**﴾ (الضحى ٩ – ١٠)

ب – أن تختلف القرائن طولا وقصرا، وهو أنواع:

١ – أن تكون الثانية أطول من الأولى، كقوله تعالى:

﴿**بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سـعيرا. إذا رأتهـم مـن مكان بعيد سَمِعُوا لها تَغَيُّظًا وزفيرا. (الفرقان ١١، ١٢)**

فالأولى: ثمانى كلمات، والثانية : تسع

٢ – أن تكون الثانية أقصر من الأولى ، كقوله تعالى:

﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت.**

وإلى السماء كيف رفعت﴾ (الغاشية ١٧، ١٨).

٣ – أن تكون الأولى أقصر، والثانية والثالثة متساويتان، كقوله تعالى:

﴿**بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سـعيرا. إذا رأتهـم مـن مكان بعيد سمعوا لهـا تغيظـا وزفـيرا. وإذا أُلْقُـوا منهـا مكانـا ضَيِّقًـا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**﴾ (الفرقان ١١ – ١٣).

فالأولى: ثمانى كلمات، والثانية تسع، والثالثة تسع.

٤ – أن تكون الأولى والثانية متساويتين، والثالثـة زائـدة عليهمـا، كقولـه تعالى:

﴿**خذوه فَغُلُّوه. ثم الجحيم صلُّوه. ثم فى سلسلة ذرعها سـبعون ذراعـا فَاسْلُكُوه**﴾ (الحاقة ٣٠ – ٣٢)

فالقرينة الأولى تتكون من الفعل (خذوه) وفاء العطف، والفعل (غلوه)

والقرينة الثانية تتكون من "ثـم" حـرف عطـف و "الجحيـم" و"صلـوه" فهمـا متساويتان.

والقرينة الثالثة أطول منهما كما هو واضح.(١)

ويمكن التمثيل لذلك أيضا بقوله تعالى:

﴿كذبت ثمودُ بطغواها. إذ انبعث أشقاها. فقـال لهـم رسـولُ الله ناقـةَ الله وسُقْياها﴾

فالقرينتان (الأولى والثانية) متساويتان والثالثة زائدة عنهما (أطول منهما).

رابعاً: بحسب مقدارها من الآية:

من الفواصل ما هو آية كاملة، وما هو بعض آية، وهذا النـوع الثـانى هو النوع الغالب المطرد.

الفواصل التى تمثل آية ترد فى فواتح بعض السور وهى على شكلين:

الشكل الأول:

المؤلف من مجموعة حروف مثل : "ألـم" (الآية الأولى من السور: البقـرة وآل عمران والنعكبوت والسجدة)

ومثل : "**حـم**" (الآية الأولى من السور: غـافر، فصلـت، الزخـرف، الدخـان، الأحقاف)

ومثل "**طسم**" (الآية الأولى من سورتى الشعراء والقصص)

الشكل الثانى:

المؤلف من كلمة واحدة مثل "الرحمن" "الحاقة" "القارعة" وغيرها.

أما الفواصل التى هى بعض آية، فعلى وجهين:

---

(١) مثّل الدكتور محمد الحسناوى لهذا النوع بالآيتين (٣٠، ٣١) مـن سـورة الحاقـة واعتبر أن (خذوه) قرينة و"غلوه"قرينة على اعتبار الفواصل داخلية وهو بهذا مجانب للصواب لأن (خذوه فغلوه) كلها آية واحدة، ومـا مثلنـا بـه مـن إضافـة الآيـة ٣٢ يقوم بتوضيح المطلوب دون اللجوء إلى الفواصل الداخلية.

أحدهما:

ما كان جزءا من الآية لا تقوم الآية إلا به، ولا تستقل هى بمفهوم فى غير آيتها، وذلك كثير فى القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿**والنجم إذا هوى. ما ضلّ صاحِبُكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إنْ هو إلّا وَحْيٌ يُوحَى. علمه شديد القوى**﴾ (النجم ١ – ٥) وأكثر قصار السور جاءت فواصلها على هذا النحو من الاتصال.(١)

ثانيهما:

ما جاء وكأنه تذييل للآية أو تعقيب عليها أو تلخيص لمضمونها أو توكيد لمعناها.. " وقد تصرف القرآن فى هذا تصرفا عجيبا، فجاء بالفواصل بعد الآيات كأنها رجع الصدى أو إجابة الداعى إذا دعا"(٢) وهذا الوجه سندرسه مفصلا فى موضعه إن شاء الله. ونكتفى هنا بالتمثيل ببعض الآيات قال تعالى: ﴿**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾ **(البقرة ٣٢) تسليم لله.**

﴿**... وما ظلمونا ولكنْ كانوا أنفسَهم يظْلِمُون**﴾ (البقرة ٥٧) **تخويف**

﴿**والذين يؤمنون بما أُنزِل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يُوقنون**﴾ (البقرة ٤) **قصد الاختصاص.**

﴿**ولو يُؤَاخِذُ الله الناسَ بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابةٍ ولكنْ يُؤَخِّرُهُم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلُهم فإنّ الله كان بعبادِه بصيرا**﴾ (فاطر ٤٥) **تحذير حان.**

﴿**الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ (آل عمران ١٣٤) تأكيد لمضمون الآية والترغيب فى الانفاق والعفو والإحسان.

---

(١) إعجاز القرآن –، عبدالكريم الخطيب ٢١٧/٢

(٢) السابق ٢٢١/٢

﴿أولئك الذين ٱشۡتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بالهدى والعذابَ بالمغفرةِ فما أَصۡبَرَهُمۡ على النار﴾ (البقرة ١٧٥) تعجب.

﴿... متى نصرُ ا لله أَلَآ إن نصرَ ا للهِ قريب﴾ (البقرة ٢١٤) بشارة

﴿... ولا تعتدوا إن ا لله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة ١٩٠) حكم بالكف عن الاعتداء.

﴿وكأيِّن مِّنۡ نَّبى قاتلَ معه رِبِّيُّونَ كثيرٌ فَما وهنوا لِمَا أصابهم فى سبيل ا لله وما ضَعُفُواْ وَما ٱسۡتَكَانُوا وَا لله يحب الصابرين﴾ (آل عمران ١٤٦). حض على الصبر.

الفاصلة الداخلية:

ويسمى هذا النوع "**التشريع**"(١) أو "**التوأم**"(٢) وأصله – على حد قولهم – أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فإذا أسقط جزءا أو جزأين صار الباقى بيتا من وزن آخر، ثم زعم قوم اختصاصه بالشعر، وقال آخرون بل يكون فى النثر، بأن يكون مبنيا على سجعتين، لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاما مفيدا، وإن ألحقت به السجعة الثانية كان فى التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ.(٣)

---

(١) يسميه كل من السيوطى وابن حجة "التشريع" راجع الاتقان ٣/٣٥٧ والخزانة ١٤٩

(٢) السابق نفسه.

(٣) على هذا بنى الحريرى قوله فى المقامات (الكامل)

ياخاطب الدنيا الدنيــة إنهـــا شرك الردى وقراءة الأكدار

دار متى ما أضحكت فى يومها أبكت غدا بعدا لها مــن دار

فاقتصاره على قوله "شرك الردى" و"أبكت غدا" يجعل الشعر من الضرب المجزوء السالم من الكامل – انظر خزانة الأدب ١٤٩ وبديع القرآن ٢٣٢

قال ابن أبى الاصبع: "وقد جاء من هذا الباب معظم سورة "الرحمن"(١) ويرى السيوطى أن تمثيل ابن أبى الإصبع هذا غير مطابق، فقال: "الأولى أن يمثل بالآيات التى فى أثنائها ما يصح أن يكون فاصلة كقوله تعالى: ﴿... **لتعلموا أن الله على كل شىء قديرٌ وأنّ الله قد أحاط بكل شىء عِلما**﴾ (الطلاق ١٢) وأشباه ذلك".(٢)

ونضيف إلى ما قاله السيوطى بعض الشواهد زيادة فى الإيضاح: قال تعالى: ﴿**وقضى ربّك ألّا تعبُدوا إلّا إيّاهُ وبالوالدين إحسانا إمّا يَبْلُغَنَّ عندك الكِبَرَ أحدُهما أو كلاهُما فلا تقل لَّهما أفٍ وَّلا تنهَرْهُما وقل لهما قولا كريما**﴾ (الإسراء ٢٣)

قال تعالى : ﴿**لا جرم أنّ الله يعلم ما يُسِرُّون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين**﴾ (النحل ٢٣)

﴿**وما لهم ألا يُعذِّبَهم الله وهم يَصُدُّون عن المسجدِ الحرام وما كانوا أولياءَه إن أولياؤُه إلا المتقون ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون**﴾

٥ – ﴿**استكبارا فى الأرض ومكرَ السَّيِّءِ ولا يحيقُ المكرُ السيِّئُ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنتَ الأولين فلن تجد لسنتِ الله تبديلا ولن تجد لِسُنَّتِ الله تحويلا**﴾ (فاطر ٤٣)

﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياءَمَا نَعبُدُهم إلّا ليقرِّبُونا إلى الله زُلْفَى إن الله يحكم بينهم يوم القيامة فى ما كانوا فيه يختلفون إن الله لا يَهْدِى مَنْ هو كاذب كفّار**﴾ (الزمر ٣).

وإذا تأملنا هذه الفواصل "الفرعية" أو "الداخلية" وجدناها تنقسم انقسام الفواصل الأصلية إلى فواصل متماثلة ومتقاربة وغير متماثلة ولا متقاربة، أو بمعنى آخر "متباعدة".

---

(١) بديع القرآن ٢٣٢

(٢) الاتقان ٣٥٧/٣

وللفواصل الداخلية "المتماثلة" شواهد كثيرة تكاد تغلب عليها التقفية بالواو والنون نتيجة انتشار هذه التقفية الواسعة فى الفواصل الأصلية كقوله تعالى: ﴿**فسبحان الله حين تُمسون وحين تُصبحون**﴾ (الروم ١٧)

ومن هذا القسم ما يتفرع داخلها إلى فرع آخر مثل قوله عز وجل: ﴿**لا جرم أن الله يعلم ما يُسرون وما يُعلنون، إنه لا يُحب المستكبرين**﴾ (النحل ٢٣)

ولعلك لاحظت "يسرون" "يعلنون" "المستكبرين"

وقوله تعالى: ﴿**قد نعلمُ أنَّه لَيَحْزُنُك الذى يقولون فإنهم لا يُكَذِّبُونَك ولكن الظالمين بآياتِ الله يجحدون**﴾ (الأنعام ٣٣)

أما الفواصل "المتقاربة" من هذا النوع فأقل، كقوله تعالى: ﴿**وإنه لعلم للساعة، فلا تَمْتَرُنّ بها واتّبِعُون هذا صراط مستقيم**﴾ (الزخرف ٦١)

وقوله تعالى: ﴿**عسى الله أنْ يجعلَ بينكم وبين الذين عَادَيْتُم منهم مودةً والله قديرٌ والله غفور رحيم**﴾ (الممتحنة ٧)

ومنها يتفرع فرع آخر كالقسم السابق ومثاله كقوله تعالى: ﴿**الذين أُبْلِسُوا بما كَسَبوا لهم شرابٌ مّن حَميم وعذابٌ أليم بما كانوا يكفرون**﴾ (الأنعام ٧٠)

ونلاحظ التقارب فى (حميم) و(أليم) و(يكفرون).

ومن الفواصل "المتباعدة" – وهى أقل القسمين الآخرين – قوله عزّ وجلّ ﴿**اعلموا أن الله شديد العقاب، وأن الله غفور رحيم**﴾ (المائدة ١٠١) وقوله عزّ وجلّ ﴿**وإذ تأذّن ربك لَيَبْعَثَنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومُهم سوءَ العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم**﴾ (الأعراف ١٦٦)

والملحوظ فى هذه الآية تفرع فرع آخر للفاصلة الداخلية "العذاب" "العقاب" على شاكلة ما رأينا فى القسمين السابقين(١)

---

(١) شواهد أخرى (المائدة ٧٢) (فاطر ٣٧، ٤٣) (يوسف ٦٥) (المزمل ١٥).

ومن الجدير بالذكر أن الفاصلة الداخلية ظاهرة من ظواهر القرائن والفقرات الطويلة لأنها تقوم مقام المرتكزات والمحطات النفسية معنى وموسيقى؛ لذلك قد ندهش حين نرى فى سورة "**المدثر**" مثلا الآية الحادية والثلاثين تزيد عن الآيات السابقة لها أو التالية لها أكثر من عشرين مرة، ولا حل لهذا الإشكال إلا ما نلمحه فى الآيات الطوال من (الفواصل الداخلية) أو من الإشارات التى تبيح الوقف القصير، وإليك نص الآية:

﴿**وما جعلنا أصحابَ النار إلا ملائكةً وما جعلنا عِدَّتَهم إلا فتنةً للذين كفروا ليستَيْقِن الذين أُوتوا الكتابَ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنونَ وَلِيَقُولَ الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاۚ كذلك يُضِلُّ الله من يشاء ويهدى من يشاءۚ وما يعلم جنودَ ربك إلا هوۚ وما هى إلا ذِكْرى للبشر**﴾ (المدثر ٣١).

فمن الفواصل الداخلية "**إيمانا**" و"**المؤمنون**" و"**الكافرون**" ومن الوقف الجائز "**مثلا**" و"**يشاء**" و"**هو**" ثم تأتى الفاصلة الرئيسية للآية "**للبشر**" وهى تتفق مع ما قبلها وما بعدها من فواصل هذه الفواصل الداخلية وإشارات الوقف ما هى إلا محطات يستريح عندها النفس مع تمام المعنى ومراعاة الايقاع مما يدل دلالة واضحة على أن "المعنى هو الأساس فى نظم القرآن وأن الإيقاع يقع نافلة فى صياغة الآيات ولكنها نافلة مؤكدة"(١)

الفاصلة الموحدة:

ونقصد بها التى التزمت حرف روى واحد لم يتغير فى السورة كلها.

ويبلغ عدد السور التى فواصلها موحدة فى القرآن إحدى عشرة سورة (القمر والمنافقون والأعلى والشمس والليل والقدر والعصر والفيل والكوثر والاخلاص والناس) وإليك إحدى هذه السور كشاهد نتبين من خلاله عظمة البناء القرآنى فى الفاصلة الموحدة قال تعالى: ﴿**والشمسِ وضُحاها. والقمرِ إذا تَلَاها. والنهار إذا جلّاها. والليلِ إذا يغشاها. والسماء وما بناها. والأرضِ وما طَحَاها. ونفسٍ وَّمَا سَوَّاها. فألهمها فُجُورَها وتقواها. قد أفلح مَن زكاها. وقد خاب مَن دسَّاها. كذَّبت ثمودُ بطغواها. إذ ٱنبعثَ أشقاها. فقال لهم رسولُ الله ناقةَ الله وسُقْياها. فكذَّبوه فعقرُوها فَدَمْدَمَ عليهم ربُّهم بِذَنْبِهم فسوَّاها. ولا يخافُ عُقْبَاهَا**﴾

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع ٤٨/١ (بتصرف).

هذه السورة القصيرة ذات الفاصلة الموحدة والإيقاع الموسيقى الموحد تتضمن عدة لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التى تبدأ بها السورة والتى تظهر كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التى تتضمنها السورة حقيقة النفس الإنسانيةواستعداداتها الفطرية ودور الإنسان فى شأن نفسه وتبعته فى مصيرها، يقسم الله سبحانه بهذه الحقائق والمشاهد الكونية كما يقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها، ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى، وأن يوجه القلوب تتملاها وتتدبر ماذا لها من قيمة وماذا بها من دلالة؟ حتى استحقت أن يتسم بها الجليل سبحانه.

ومشاهد الكون وظواهره إطلاقا بينها وبين القلب الإنسانى لغة سرية، وبينها وبين الروح الإنسانى تجاوب ومناجاة بغير نبرة ولا صوت.. ومِنْ ثَمَّ يُكثِر القرآن من توجيه القلب إلى مشاهد الكون بشتى الأساليب، وفى مواضع عديدة تارة بالتوجيه، وتارة باللمسات الجانبية كهذا القسم بتلك الخلائق والمشاهد الكونية وهنا نجد القسم الموحى (بالشمس وضحاها) بالشمس عامة وحين تضحى وترتفع عن الأفق بصفة خاصة وهى أروق ما تكون فى هذه الفترة .. وبالقمر إذا تلا الشمس بنوره اللطيف الشفيف الرائق الصافى .. وبالنهار إذا جلاها؛ مما يوحى بأن المقصود بالضحى هو الفترة الخاصة لا النهار كله .. والضمير فى جلاها يعود على البسيطة كما نحسه من الإيحاء القرآنى، والنهار يجلى البسيطه ويكشفها وقد ينسى الإنسان بطول التكرار جمال النهار وأثره، فهذه اللمسة السريعة فى مثل هذا السياق توقظه ونبعثه للتأمل فى هذه الظاهرة الكبرى ... ثم تجيء الحقيقة الكبرى عن النفس البشرية فى سياق هذا القسم، مرتبطة بالكون ومشاهده وظواهره وهى إحدى الآيات الكبرى فى هذا الوجود المترابط المتناسق: ﴿**ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها**﴾ هذه الآيات الأربع تمثل قاعدة النظرية النفسية للاسلام وهى مرتبة ومكملة للآيات التى تشير إلى ازدواج طبيعة الإنسان(١) ، فتكوينه (من طين

---

(١) فى ظلال القرآن ٣٩١٥/٦ - ١٩١٩

الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال ... وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكافية قوة واعية مدركة موجهة فى ذات الإنسان هى التى تناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه وتطهيرها فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وأضعفها فقد خاب ... هذه النظرة المجملة تنبثق منها جملة حقائق ذات قيمة فى التوجيه التربوى فهى ترتفع بقيمة هذا الكائن الانسانى حين تجعله أهلا لاحتمال تبعة اتجاهه ومصيره فى إطار المشيئة الإلهية ... وهكذا ترتبط حقيقة النفس البشرية بحقائق الوجود الكبيرة ومشاهده الثابتة كما ترتبط بهذه وتلك سنة الله فى أخذ المكذبين والطغاة فى حدود التقدير الحكيم الذى يجعل لكل شىء أجلا ولكل حادث موعدا ولكل قدر حكمة، وهو رب النفس والكون والقدر جميعا(١)

وبالنظر إلى فواصل السورة نجد الفاصلة بعدها ألف مد وقبلها ألف مد، ظلت على ذلك فى آيات السورة كلها فهى باصطلاح علماء اللغة المحدثين حركة طويلة مفتوحة تخرج من فراغ الفم والحلق والهاء تخرج من أقصى الحلق (من الحنجرة) حالة انفتاح الوترين الصوتيين ومن هنا يحدث الأثر السمعى للهاء بين الحركتين الطويلتين فى وضوح شديد، وهكذا تتابع الآيات كلها دون أن يكون الجرس الصوتى مطلوبا لذاته وإنما تطلبته الدلالة واستدعاه البناء.

هكذا جاء البناء اللغوى لكل آيات السورة وفق مقاطع صوتية رتبت ترتيبا داخل كل بنية وصيغة على حدة، ثم رتبت فيما بينها ترتيبا فى تراكيب لغوية وفق أنظمة العربية عند كل مستوايتها فجاءت قوة فى البناء ووضوحا فى الدلالة تقرأها فتسيل على اللسان سهولة وفى الآذان عذوبة وفى القلب خشية وفى العقل عظة وعبرة فضلا عن جمال الإيقاع الموسيقى المؤثر المنبعث

---

(١) نفسه ٦/٣٩١٦- ٣٩١٩

من المدود والهاءات التى تخللت موسيقى النص تهب النص حياة وصدقا وتأثيرا وبهذا تظهر عظمة المبانى القرآنية فى تصويرها وتعبيرها عن المراد فسبحان من هذا كلامه.

وخلاصة القول فيما سبق أن اطراد الفاصلة فى آيات القرآن – على أى بناء – متماثل أو متقارب أو منفرد – يؤكد أهمية التقفية فى البيان العربى، ونلاحظ أن أغلب سور القرآن – لاسيما الطوال منها – تتغير فواصلها بمعنى تغير حرف الروى فى فواصلها كسور (البقرة وآل عمران والأنفال وإبراهيم والحج ثم الصافات و "ص" والزمر وغافر وفصلت والشورى ثم الانفطار والانشقاق والفجر والعلق) ومنها ما التزمت فاصلة موحدة كسور (الكهف والاسراء (عدا الآية الأولى) ثم الفتح والطلاق ثم الأعلى والكوثر والكافرون).

واتسع مجال تغير حرف الروى فى الفواصل حتى تناول حروف الأبجدية العربية أو معظمها على تفاوت بينها فى النسبة، فحرف النون فاصلة القرآن الأثيرة فقد بلغ ما جاء عليها ساكنة بعد واو أو ياء (٣٠٥٠) خمسين وثلاثة آلاف فاصلة، منها (١٧٥٨) ثمان وخمسون وسبعمائة وألف على الواو والنون و(١٢٩١) إحدى وتسعون ومئتان وألف على الياء والنون، على حين لم ترد حروف **كالغين** إلا مرة واحدة فى قوله تعالى ﴿**أولئك الذين يعلمُ ا لله ما فى قلوبهم، فأعرضْ عنهم وعِظْهُم، وقل لَّهم فى أنفسِهم قولا بليغا**﴾ (النساء ٦٣) والحرف الذى لم يرد فى الفواصل هو "**الخاء**".

وقد يحدث تبادل أو تغيير فى روى فواصل السورة الواحدة ومع هذا التبادل بين حروف الروى فى الفواصل نجد كل فاصلة قائمة ببنائها فى مكانها تخدم المعنى حيث تطلبها السياق شاجية النغم تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها، ومعظم فواصل القرآن مردوفة فحروف المد واللين؛ لأن حرف المد يعطى فرصة للقارىء أن يقف على رأس الآية مستريح النفس لأنه طبيعى فى القرار يصل بالقارىء إلى نهاية الفاصلة موقوفا عليها بالسكون فيستريح القارىء نفسا ويستشعر المستمع شجا.

الفاصلة المنفردة:

ونقصد بها الفاصلة التى يتغير حرف رويها عن روى الفواصل السابقة لها، أو التالية بعدها، وقد وقعت – أعنى الفاصلة المنفردة – فى إحدى وعشرين سورة حسب الإحصاء – منها ما كان فى فواتح السور، ومنها ما كان فى خلال فواصل السورة، ومنها ما كان فى خواتم السور وقد أحصيناها فوجدنا عددها (٢٣) ثلاثا وعشرين فاصلة فى القرآن بينا إحصاءها فى جدول فى نهاية البحث، فليراجع.

هذه الفواصل المنفردة وبخاصة ما كان منها فى خواتم السور القصار أو التى تميل إلى القصر نلحظ فيها – بوضوح – جانب الارتكاز فى الانفراد،

ولو تأملنا الفواصل فى سورة "الانفطار" لعلمنا أن فواصل القرآن لم تقتصر على حروف الروى المتماثلة فقط بل تتجاوزها إلى الحروف المتقاربة ثم إلى الفواصل المنفردة، قال تعالى:

﴿إذا السماء انْفَطرتْ.وإذا الكواكب انتثرتْ.وإذا البحارُ فُجّرتْ.وإذا القبور بُعثرت.علمت نفسٌ مّا قَدّمتْ وأخّرتْ.

ياأيها الإنسانُ ما غرّك بربك الكريم.الذى خلقك فسوّاكَ فعَدَلَكَ.فى أيّ صورةٍ مّا شاءَ ركبك.

كلا بلْ تكذّبون بالدينِ.وإنّ عليكم لحَافِظِين.كِرَامًا كاتبين.يعلمونَ ما تفعلون.

إنّ الأبْرَارَ لفى نعيم.وإن الفُجّارَ لفى جحيم.يَصْلَوْنَهَا يومَ الدين.وما هم عنها بغائبين.وما أدراك ما يومُ الدين.ثم ما أدراك ما يومُ الدين.يومَ لا تَملِك نفسٌ لنفسٍ شيئًا والأمرُ يومئذٍ لله﴾ (الانفطار ١ – ١٩).

ففواصل الياء والنون، والواو والنون تتماثل مع نفسها وتتقارب مع فواصل الياء والميم وهى جميعا تختلف عن فواصل التاء فى **"انفطرت"** و**"انتثرت"** وعن فاصلتى الكاف، فى **"فعدلك"** و**"ركبك"** وإن انتظمت على حد سواء فى الوقوف على السكون.(١)

---

(١) يرى الأستاذ عبدالحميد حسن أن "هذا الانتقال فى الفواصل من النون إلى الميم هو تنويع ومراوحة تؤذن بإثارة اليقظة وتجديد الانتباه (البحوث والمحاضرات) مجلة "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة العدد ص ٣٢٤ من مقال بعنوان "أحرف المد الطويلة والقصيرة" لعبدالحميد حسن ١٩٦٦ – ١٩٦٧

أما الفاصلة الأخيرة " لله" فانفردت بحرف الروى "الهاء" كما انفردت بنوع المد الذى سبق "الهاء" وإن لم تخرج عن الوقف الساكن.

ففاصلة "**الكريم**" مهدت لكسر التوقع الذى حدث عند الانتقال منها إلى الكاف فى "فعدلك" حتى إذا جاءت فواصل "**الدين**" "**الحافظين**" "**كاتبين**" استثمرت هذه المفاجأة خير استثمار، وما كدنا ننسى كسر التوقع حتى فوجئنا به مرة أخرى فى الفاصلة الأخيرة " **لله**" تلك الفاصلة التى تركز الانتباه بانفرادها أولا وتميزها ثانيا وانتهاء النص عندها ثالثا لنكتة بلاغية دينية ترمى إلى رد الأمر كله إلى الله تعالى الذى تضمنت الفاصلة اسمه عزّ وجلّ فى الوقت الذى كان النص بمجموعه ومضمونه يمهد لهذه الخاتمة الشامخة باستقرار القرار على السكون بعد ألف المد ليتسنقر ذلك المعنى الدينى فى النفس بأن مرد الأمور كلها إلى الله.

ونعيش مع شاهد آخر للفاصلة المنفردة فى سورة "الضحى" قال تعالى:

﴿والضحى.
والليل إذا سجى.
ما ودعك ربك وما قلى.
وللآخرة خير لك من الأولى.
ولسوف يعطيك ربك فترضى.
ألم يجدك يتيما فآوى.
ووجدك ضالا فهدى.
ووجدك عائلا فأغنى.
فأما اليتيم فلا تقهر.
وأما السائل فلا تنهر.
وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى ١ – ١١)

وبالتأمل فى فواصل السورة نلاحظ تماثل الفواصل (١ – ٨) ثم تتغير الفاصلة فى الآيتين (٩، ١٠) على روى "الراء" وتنتهى السورة بالفاصلة المنفردة "فحدث" وذلك "لأمر تقتضيه حساسية معنوية بالغة الدقة فى اللطف والإيناس هى أن حديثه بنعمة ربه ينبغى أن يكون خافتا فى نبرته وفى الفرط

بعد الفرط حتى لا يذهب به الحديث مذاهب الغرور أو الرياء، ورسول الله ﷺ وإن كان معصوما من هذا فإن أمته من ورائه فى كل خطاب إلا ما كان مختصا به وهذا ليس واحدا منها، أقول: إن الحديث بالنعمة جاء مخالفا لنسق الفواصل فى السورة لتشير هذه المخالفة إلى أنه ليس على سجية السياق الدافق والناهى نهيا وجدانيا متصلا عن قهر اليتيم ونهر السائل وإنما هو أمر بإذاعة النعمة مشروط بشروط ذكرها علماء الملة، وأساسها أن يكون مقصده بالحديث عن النعمة اللطف، وأن يقتدى به غيره، وأمن على نفسه الفتنة من الغرور والرياء، أما النهى عن قهر اليتيم ونهر السائل فذلك من المعانى التى تستثار لها النفوس حتى تنفعل بها انفعال طاعة وانقياد"(١)

ولم ترد الفواصل المنفردة فى أواخر السور وحسب، بل وردت فى الدرج أو السياق أو فى البداية وعددها فى القرآن بعد الاحصاء ثلاث وعشرون فاصلة تقع فى فواتح السور كما تقع فى سياقها وخواتيمها.

قال تعالى فى أول سورة النصر ﴿**إذا جاء نصرُ الله والفتح**﴾

ومما جاء فى السياق أو الدرج قوله عزّ وجلّ فى ثنايا سورة الرحمن: ﴿**ربُّ المشرقينِ وربُّ المغربين**﴾ (الرحمن ١٧)

وقوله فى سورة التحريم: ﴿**عسى ربُّه إنْ طلّقكنّ أنْ يُبْدِلَه أزواجًا خيرًا مّنكنّ مسلماتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانتاتٍ تَائباتٍ عَابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكارًا**﴾ (التحريم ٥)

وقوله فى سورة نوح: ﴿**والله أنبتكم من الأرضِ نَبَاتا**﴾ (نوح ١٧)

وقوله تعالى فى سورة "النازعات" : ﴿**متاعًا لّكُم ولأنْعَامِكم**﴾ (النازعات ٣٣)

ومثله فى سورة "عبس" (عبس ٣٢).

وقوله فى السورة نفسها ﴿**فإذا جاءت الصَّاخَة**﴾ مباشرة بعد الفاصلة المنفردة.

وقوله تعالى فى سورة "الكافرون" ﴿**ولا أنا عابدٌ مّا عَبَدْتُم**﴾

---

(١) خصائص التراكيب ص ٢٨٩ – ٢٩٠

والملاحظ أن معظم هذه الفواصل المنفردةقد سوغ انفرادها البنية الداخلية للقرينة التى جاءت فيها فمثلا فى قوله تعالى: ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾ (الرحمن ١٧) ارتكزت الفاصلة "المغربين" على فاصلتها الداخلية "المشرقين" كما كان للتقسيم والتقابل دور آخر، فضلا عن أن السياق على حرف النون كذلك وإن كانت نونا مسبوقة بالألف الممدودة وقل مثل ذلك فى الفواصل الأخر: "ولعلك راء فى قوله تعالى: ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ – وقد تكررت فى السورة على أبعاد متجاوبة – صوت هذا المد الطويل يكنفه ثلاثة مدود قصار تؤدى مع التكرار العام للآية تنغيما داخليا فيها له أخذه وأسره ونلاحظ أن المد الطويل قد وقع فى لفظ الارتكاز من مدار المعنى وهو (الآلاء) ليزيد تميزا ووضوحا فى مقام التمنن والإلزام بالحجة".(١)

أما قوله تعالى: ﴿**فإذا جاءت الصاخة**﴾ فإن لها شأنا آخر على الرغم من ورود فواصل بعدها على الهاء أو التاء المربوطة الساكنة؛ لأن حرف الخاء المضعف أوضح فى السمع والحس من الهاء، وهذا قصد فنى رفيع إلى تعظيم القيامة فى النفس والحس عن طريق الصدمة القوية والمفاجأة المتعمدة.

---

(١) التكرير بين المثير والتأثير ص ٦٤

الفصل الثالث

الفاصلة والإيقاع

- تعريف الإيقاع.
- الإيقاع في القرآن.
- الإيقاع في الفواصل.
- دور المدود والروى في إبراز الإيقاع.
- تنوع روى الفواصل في السور المختلفة وفي السورة الواحدة.

الفاصلة والإيقاع

تعريف الإيقاع:

لقد أدرك الباحثون وثوق الصلة بين الإيقاع الموسقى وبين النظام الذى تسير عليه حركة الجسم والطبيعة فقالوا: "... إن الموسيقى أصلا عضويا أو طبيعيا ما دامت الحركة الإيقاعية فيها ترديدا لحركات مناظرة لها داخل الجسم الانسانى أو فى الطبيعة الخارجية مما يؤدى إلى تكوين ما يمكن أن يسمى بالحاسة الإيقاعية لدى الإنسان"(١) لذلك يقول "أدونيس" عن الإيقاع: "الإيقاع فى اللغة الشعرية لا ينمو فى المظاهر الخارجية للنغم: القافية، الجناس، تزاوج الحروف وتنافرها. هذه كلها مظاهر أو حالات خاصة من مبادىء الإيقاع وأصوله العامة، إن الإيقاع يتجاوز هذه المظاهر إلى الأسرار التى تصل بين النفس والكلمة، بين الإنسان والحياة"(٢)

والجميل حقا ما اتفق طبعيا ومشاعرنا وخاطب الحس فينا، لأن هناك انسجاما قائما بين الطبيعة وبيننا، بل إن القوانين التى تنتظم الطبيعة تنتظمنا كذلك، والحواس هى أساس الذوق الفنى لأمة تكونيها العضوى شديد التماثل .. وما أوقع قول حازم: "إن للنفوس فى تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات، وما جرى مجراها تحريكا وإبلاغا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناصر الحسن فى المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها فى شىء واحد"(٣) لذلك "فالكلام الموزون ذو النغم الموسيقى يثير فينا انتباها عجيبا لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع تتكون منها سلسلة الكلام"(٤) وتفسير ذلك أنه إذا استمعنا لكلام عربى متصل أحسسنا تشابه المسافات بين نبر وآخر أو

---

(١) التعبير الموسيقى ٢٠، ٢١

(٢) مقدمة للشعر العربى ص ٩٤ . دار العودة بيروت ط ١٩٨٣

(٣) منهاج البلغاء ٤٦

(٤) موسيقى الشعر – إبراهيم أنيس ص ١٣، ١٤

تقارب الشبه بينهما، وهذا التشابه أو قرب التشابه بين كميات المسافات يمنح الأذن إحساسا بالإيقاع.

إذن فالإيقاع: "فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة، متشابهة، متعادلة"(١)

أى أن الإيقاع هو التوازن الناشيء عن تقارب الشبه بين المسافات الفاصلة بين كل نبر ونبر وهذا التوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب وسبب قوى من أسباب ارتياح النفس له.

الإيقاع فى القرآن:

لأمر ما نزل القرآن بلسان عربى مبين وبلهجة قريش التى هى أحسن اللهجات وأخفها وأفصحها لتجنب المكروه من اللهجات الأخرى ولعل هذا من أسباب تيسير تلقى الاسماع له ورسوخها فيها ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ (القمر ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

إن هذا القرآن فى كل سورة منه وآية، وفى كل مقطع منه وفقرة، وفى كل مشهد منه وقصة وفى كل مطلع منه وختام - يمتاز بأسلوب ايقاعى غنى بالموسيقى، مملوء نغما.. فهو فى جملته لحن متوافق، متآلف يسترعى من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود فى أنغامه وألحانه "والكلام المتلائم هو ما تناسب تأليفه وارتبط بعض أجزائه ببعض ... وخلا عن التعسيف، والاستكراه فى اللفظ والوخامة والفدامة فى المعنى وعلق بالطباع، وخف على القلوب والأسماع، وقلما تجتمع هذه المحاسن فى كلام المخلوقين وإنما اجتمعت فى كتاب الله عز وجل لتخصصه بالمعجز"(٢)

---

(١) المقابسات ٣١٠

(٢) مواد البيان ٢٤٢ الوخامة والفدامة من عيوب المعنى وتعنى الثقل والاستكراه

يقول الدكتور عبدالله دراز: "أول ما يلاقيك ويسترعى انتباهك من أسلوب القرآن خاصية تأليفه الصوتى فى صورته وجوهره.

دع القارىء المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلا بنفسه على هوى القرآن لا نازلا بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ مكانا قصيا لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ومداتها وغناتها، واتصالها، وسكناتها، ثم ألق بسمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريدا وأرسلت ساذجة فى الهواء فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب لا تجده فى كلام آخر، ستجد اتساقا وائتلافا يسترعى من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر غير أنه ليس بأنغام ولا بأوزان... وهذا الجمال التوقيعى فى لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن حتى الذين لا يعرفون لغة العرب(١) لأن الناس جميعا يستهويهم جمال الإيقاع وحسن الأداء.

وإذا كان العرب قد الفوا الموسيقى فى الشعر والنثر فقد جمع القرآن بين موسيقى الشعر والنثر، ولكنه خلا من عيوبهما فليس فيه ضرورة كضرورة الشعر وليس فيه تكلف السجع، بل فيه أوزان من أوزان الشعر(٢) التى تطرب لها الأذن وتهتز لها النفس وهى ليست مقصودة، وفيه موسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذى تحدثه دقة التوزيع البديع بين حروف الكلمة وبين مفردات العبارة وتسجيع الفاصلة، ولكنه السجع المحمود الذى تأتى فيه الألفاظ تابعة للمعانى. إذن فقد حاز نظم القرآن من النثر روعته وجلاله ومن الشعر متعته وجماله "لما اشتمل عليه من نظام صوتى بديع قسمت فيه الحركة والسكون تقسيما منوعا يجدد نشاط السامع لسماعه ووزعت فى تضاعيفه

---

(١) النبأ العظيم ١٠١، ١٠٢

(٢) ففيه من بحر **الطويل** ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ (الكهف ٢٩) ومن بحر **البسيط** ﴿**فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم**﴾ (الأحقاف ٢٥)، ومن بحر **الكامل** ﴿**والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ (النور ٤٦)، ومن بحر **المتقارب** ﴿**وأملى لهم إن كيدى متين**﴾ (الإعراف ١٨٣).

(انظر الاتقان للسيوطى ٢٩٦/٣، ٢٩٧) ففيه مزيد من الشواهد على ذلك.

حروف المد والغنة توزيعا بالقسطاس يساعد على ترجيع الصوت به وتهادى النفس فيه آناً بعدَ آنٍ إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى.(١)

"والإيقاع فى القرآن ايقاع متوازن لا موزون"(٢) وكلما تقاربت أعداد المقاطع بين نبر وآخر أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن ايقاعها والعكس صحيح .. هذا التقارب وذاك الانتظام هو ما نجده ونحسه فى إيقاع الأسلوب القرآنى وبخاصة لو سمعته مرتلا مجودا، فتجويد القرآن يشتمل إلى جانب إعطاء الأصوات حقها على أمور أخرى منها المدُّ بأنواعه، والغُنّة، والسَّكْت، وما إلى ذلك مما يعد من قبيل الانقطاع المؤقت لتوالى الأصوات التى تتكون منها الألفاظ. فالمد كالسكون، والسكون كالسكوت وإنقطاع الكلام، وقُل ذلك عن الغُنّة لأنها "مَدٌّ" مقيد بالنون وقل ذلك أيضا عن السَّكْت وهكذا. فإذا قرأ القارىء مع الترتيل أتى بكل رَتْلٍ وآخر وبينهما فترة انقطاع هى إما مد أو غنة أو سكت الخ(٣).

هذا النوع من الترتيل يضيف إلى ايقاع القرآن الكامن فى نصه إيقاعا آخر طارئا عليه من خلال الأداء والقراءة، فإذا اجتمع الإيقاع الصوتى وذلك الإيقاع الترتيلى لم يكن للأذن إلا أن تستمع وتنصت وتستمتع بالجمال(٤).

وحينما نقول بإيقاع اللفظة وجرسها وتناسب ذلك مع معناها الذهنى ودلالتها الحسية، فإننا نعنى – كذلك – أن اللفظة لم تسق عبثا أو صدفة، إنما أبدعها قائلها الأعظم، فكانت غاية فى الروعة والاتقان من حيث "ترتيب حروفها باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة

---

(١) النبأ العظيم ١٠٣ – دار القلم . الكويت.

(٢) الايقاع الموزون هو إيقاع الشعر (البيان فى روائع القرآن ص ٢٦٩).

(٣) البيان فى روائع القرآن ٢٦٩ وما بعدها.

(٤) البيان فى روائع القرآن ص (٢٦٩ – ٢٧٣) بتصرف.

طبيعية فى الهمس، والجهر، والشدة، والرخاوة والتفخيم والترقيق، والتفشى، والتكرير، وغير ذلك من صفات الحروف"(١)

"فربما كانت الكلمة ثقيلة فى نفسها لأى سبب كان ... فإذا هى استعملت فى القرآن رأيت أن لها شأنا عجيبا ورأيت أصوات الأحرف والحركات التى قبلها قد امتهدت لها طريقا فى اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقى حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شىء وأرقه وجاءت متمكنة فى موضعها وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة: ومن ذلك لفظة (النُذُر) جمع نذير، فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا فضلا عن جسأة هذا الحرف ونبُوه فى اللسان وبخاصة إذا جاء فاصلة للكلام. فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه، ولكنه جاء فى القرآن على العكس وانتفى من طبيعته فى قوله تعالى: ﴿**ولقد أَنْذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بالنُّذُر**﴾ (القمر ٣٦) فتأمل هذا التركيب وأنعم ثم أنعم على تأمله وتذوق مواقع الحروف وأجْرِ حركاتها فى حس السمع وتأمل مواضع القلقلة فى دال (لقد) وفى الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) مع الفصل بالمد كأنها تثقيل لخفة التتابع فى الفتحات إذا هى جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض فى الأطعمة ثم ردد نظرك فى الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها فلا تجف عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه، ثم اعجب لهذه الغنة التى سبقت الطاء فى نون (أنذرهم) وفى ميمها، وللغنة الأخرى التى سبقت الذال فى (النذر)(٢)

وقد وردت فى القرآن ألفاظ هى أطول الكلام عدد حروف ومقاطع مما يكون مستثقلا بطبيعة وضعه أو تركيبه، ولكنها بتلك الطريقة التى أومأنا

(١) تاريخ آداب العرب ٢/٢١٥

(٢) تاريخ آداب العرب ٢/٢٢٧، ٢٢٨

إليها قد خرجت في نظمه مخرجا سريا ... إذ تراه قد هيأ لها أسبابا عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات، فلم يجرها في نظمه إلا وقد وجد ذلك فيها كقوله: ﴿**لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض**﴾ (النور ٥٥) فهى كلمة واحدة من عشرة أحرف وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها فإنها بذلك صارت في النطق كأنها أربع كلمات إذ تنطق على أربعة مقاطع وقوله: ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله**﴾ (البقرة ١٣٧) فإنها كلمة من تسعة أحرف وهى ثلاثة مقاطع وقد تكررت فيها الياء والكاف وتوسط بين الكافين هذا المد الذى هو سر الفصاحة فى الكلمة كلها(١)

ويقول الرافعى: "ولما كان الأصل فى نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها، ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع فى تركيبه ما يسوغ الحكم فى كلمة زائدة، أو حرف مضطرب، أو ما يجرى مجرى الحشو والاعتراض أو ما يقال فيه: إنه تغوث واستراحه، بل نزلت كلماته منازلها، على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة"(٢)

من الأمثلة التى تدل على دقة اللفظ فى مكانه وإحكام استخدامه كلمة "تدلوا" فى قوله تعالى ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدْلُوا بها إلى الحكّام لتأكُلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**﴾ (البقرة ١٨٨) فكلمة "تدلوا" بالأيدى إلى الحكام مع أن الحاكم هو الأعلى والمحكومين هم الأسفل .. والسر واضح .. إن الحاكم إذا قبل الرشوة أصبح فى الأسفل وأصبحت اليد التى تعطى هى الأعلى .. ومن هنا كانت اللفظة المحكمة الدقيقة "تدلوا" .. ويستحيل عليك أن تتصور لفظة أخرى أدق وأحكم للمناسبة.(٣)

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢/٢٢٩

(٢) تاريخ آداب العرب ٢/٢٢٤، ٢٢٥

(٣) القرآن ص ٢٥٦

وفى سورة النازعات قوله تعالى ﴿**والأرضَ بعدَ ذلك دحاها**﴾ (النازعات ٣٠) ودحاها أى جعلها كالدحية (البيضة) وهو ما يوافق أحدث الآراء الفلكية عن شكل الأرض .. ولفظة دحا تعنى أيضا البسط .. وهى اللفظة العربية الوحيدة التى تشتمل على البسط والتكوير فى ذات الوقت فتكون أدل الألفاظ على الأرض المبسوطة فى الظاهر المكورة فى الحقيقة وهذا منتهى الإحكام والخفاء فى اختيار اللفظ الدقيق المبين.(١)

ثم نجد من الكلمات ما قد يظن أنها زائدة فى القرآن كما يقول النحاة ومن شواهد ذلك قوله تعالى ﴿**فبِمَا رحمةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لهم**﴾ (آل عمران ١٥٩) وقوله ﴿**فلما أنْ جاءَ البشيرُ ألقاه على وجهه فارْتَدَّ بَصِيرا**﴾ (يوسف ٩٦) فإن النحاة يقولون إن (ما) فى الآية الأولى و(أن) فى الثانية، زائدتان أى فى الإعراب. فيظن من لا بصر له أنهما كذلك فى النظم ويقيس عليه مع أن فى هذه الزيادة لونا من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية الأولى، تصوير لين النبى ﷺ لقومه وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد فى (ما) وصفا لفظيا يؤكد معنى اللين ويفخمه وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منها فى بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها (وهو لفظ رحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعى فى بلاغة الآية كما ترى.

والمراد بالثانية تصوير الفصل الذى كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعد ما كان بين يوسف وأبيه عليهما السلام وأن ذلك كأنه كان منتظرا بقلق واضطراب(٢) تؤكدهما وتصف الطرب لمقدمه واستقراره غُنةُ هذه النون فى الكلمة الفاصلة وهى "أن" فى قوله : (أن جاء)

---

(١) السابق ص ٢٥٥

(٢) قال قبل ذلك عن لسان يعقوب: ﴿**إنى لأجد ريح يوسف**﴾ ولم يكن جاءه البشير فكان يحس به

وعلى هذا يجرى كل ما ظن أنه فى القرآن مزيد: فإن اعتبار الزيادة فيه وإقرارها بمعناها إنما هو نقص يجل القرآن عنه.(١)

ومن أهم خصائص هذه اللغة مواكبة بنية اللفظ للمعنى فلم يكتف فيها بدلالة اللفظ على معناه بل نجد هناك جانبا آخر يرتبط بمواكبة الناحية الشكلية فى اللفظ للناحية المعنوية، ومن شواهد ذلك "إذا استمعت إلى إنشاد بيت البحترى فى وصف الذئب الجائع المرتجف بسبب البرد ظننته أمامك:

يقضقض عصلا فى أسرتها الردى   كقضقضة المقرور أرعده البرد

فإن تكرار القاف وتواليها خمس مرات، وتكرار الراء ست مرات مع الحروف الأخرى يوحى بصورة الذئب فى ضراوته وجوعه وارتجافه"(٢)

فالأصوات فى البيتين دالة على معانيها بحيث إن السامع يدرك المعنى ويفهم من مجرد سماعه للكلمات برنتها ووقعها وإن لم يفهم معنى الألفاظ تمام الفهم.

ويحدثنا ابن القيم عن الدلالة الايحائية للنفى بـ "لن" وبـ "لا" وما تمتاز به "لا" من امتداد الصوت فيقول: "ولا يمتد معنى النفى فيها – يقصد الحرف "لن" – كامتداد معنى النفى فى حرف "لا" إذا قلت: زيد لا يقوم أبدا، وقد قدمنا أن الألفاظ مشاكلة للمعانى التى هى أرواحها يتفرس الفطن فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسه، كما يتعرف الصادق الفراسة صفات الأرواح فى الأجساد التى هى قوالبها بفطنته، وقلت يوما لشيخنا أبى العباس ابن تيمية قدس الله روحه: قال ابن جنى: مكثت برهة إذا ورد علىّ لفظ آخذ معناه من نفس حروفه وصفاتها وجرسه، وكيفية تركيبه، ثم اكشف فإذا هو كما ظننته أو قريبا منه، فقال رحمه الله: وهذا كثيرا ما يقع لى وتأمل حرف "لا"

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢٣١/٢

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٦١ دار الفكر سنة ١٩٦٨

كيف تجدها لاما بعدها ألف يمتد بها الصوت ما لم يقطعه ضيق النفس، فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها و"لن" بعكس ذلك، فتأمله فإنه بديع"(١)

والقرآن يستخدم هذه الخصائص الصوتية كوسيلة من وسائل التأثير على أكمل صورة وأوفاها فإذا تأملنا كلمات القرآن التى تؤلف جمله رأيناها تمتاز بجمال توقيعها فى السمع واتساقها البديع مع المعنى لدرجة نكاد نشم معها رائحة المعنى المراد. أو كأن إشراقا نلمح فيه صورة المعنى مجسمة أمام أعيننا، ومن شواهد ذلك:

- قوله تعالى: ﴿**حتى إذا ادّارَكُوا فيها جميعا قالت أُخرَاهُم لأُولَاهم ربنا هؤلاءِ أضلُّونا...**﴾ (الأعراف ٣٨).
أصل الفعل "تداركوا" ، ولكن التاء قلبت دالا وأدغمت فى الدال فلما سكنت اجتلبت لها همزة وصل للتوصل إلى النطق بها، وسيعلم من يتأمل الفرق فى الإيحاء بين أصل الفعل والصورة التى استعمل بها أن التشديد هنا يوحى بتداعيهم فى النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون، ثم حركة، يدل على أن تزاحمهم على النار جعل بعضهم يعوق بعضا قبل أن يتردوا فيها(٢) ، هذا ... فضلا عما يفيده الإبدال والإدغام من قيمة صوتية؛ فإبدال التاء دالا طلب للتجانس...

- "وتقرأ قوله تعالى : ﴿**فمن زُحْزِحَ عن النار وأُدْخِلَ الجنة فقد فاز ...**﴾ (آل عمران ١٨٥) فلا ترى فى المعجم غير كلمة "زحزح" تصور مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع لى هذا المشهد من أصوات، وما يصاحبه من ذعر الذى يمر بحسيس النار، ولا يسمعه ويكاد يصلاه!(٣)

- ولا أحسبك إلا مستشعرا عنف لفظة الكبكبة فى قوله تعالى: ﴿**فكُبْكِبُوا فيها هم والغَاوُون..**﴾ (الشعراء ٩٤)، حتى لتكاد تتصور أولئك

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١/٩٥ – ٩٦ ط دار الفكر – بيروت – لبنان.

(٢) البيان فى روائع القرآن ص ٢٨٧

(٣) مباحث فى علوم القرآن ص ٣٣٥

المجرمين يكبون على وجوههم أو مناخرهم ويلقون إلقاء المهملين، فلا يقيم أحد لهم وزنا.

فإن يَكُ هذا كله فى اللفظة المفردة، تعبر مستقلة عن لوحة كاملة، فكيف بالآية التى تتناسق فى جوها الكلمات، أو فى السورة التى تنسجم حول فكرتها جميع الآيات.(١)

– ﴿والذى قال لوالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكما﴾ (الأحقاف ١٧).

تكاد كلمة "أف" تنقلب بجرسها من اسم فعل إلى اسم صوت، فإن ما فى الفاء من طرد النفس من الصدر حكاية للغرض، وإرادة التخلص من موقف وصاحبه، ولو أن الرافض بحث عن تعبير مناسب للرفض ما وجد أفضل من لفظ "أف" بسبب ما فيها من دلالة طبيعية تدعم دلالتها العرفية فهى تدل بجرسها على ما تدل عليه بوضعها"(٢)

– ثم انظر إلى ما يوجبه تعزيز التفخيم من الإحساس بالمبالغة فى الحدث أو فى الصفة فى لفظة "يصطرخون" من قوله تعالى : ﴿وهم يَصْطَرِخُونَ فيها ...﴾ (فاطر ٣٧) فكأن ارتفاع أصواتهم بالصراخ، ومشاركتهم جميعا فيه، وتكرار ذلك منهم لا يكفى أن يعبر عنه بالفعل المجرد فيقال مثلا: وهم يصرخون فيها، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة فى إيقاع الحدث، وقد قصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم، ليكون فى تفخيمها فضل مبالغة فى إيقاع الفعل".(٣) هذه نماذج مما نجده فى ألفاظ القرآن من استعمال حكاية الصوت وما تحمله من طاقة إيحائية تضيف إلى المعانى العرفية للألفاظ أبعادا إضافية.

---

(١) السابق ص ٣٣٦

(٢) البيان فى روائع القرآن، ٣٥٥

(٣) السابق ٢٨٨

وهكذا ترقى القيمة الصوتية لألفاظ القرآن إلى حكاية معنى عرفى رصده المعجم للفظ، أو معنى طبيعى مما تستوحيه النفس ولا تستطيع وصفه.. فَمَثَلِ التأثر به كَمَثَلِ التأثر باللحن الموسيقى، نطرب له ولا ندرى لماذا.

الإيقاع فى الفواصل القرآنية:

لعلنا لا نخطىء إن رَدَدْنا – مع الاستاذ سيد قطب – سحر القرآن إلى نسقه الذى يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعا: "فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة، والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن التفاعيل والتقفية التى تغنى عن القوافي، وضم ذلك إلى الخصائص التى ذكرنا فشأى النثر والنظم جميعا"(١)

وللقرآن موسيقاه الخاصة التى لا يفوت إدراكها أحدا من قرائه، وهى أوضح من أن تجحد، وليس من الخطأ فى الدين، ولا من العيب فى حق القرآن أن نقول: "إن القرآن يهتم بجانب الموسيقى، ويراعى الإيقاع، وحسن الجرس، ولا يمس قداسته وعظمته أن نقول: "إنه راعى التناسب الصوتى بين المقاطع، والتقابل الموسيقى، لأن ذلك- فى الواقع – من دلائل إعجازه، سيّما أن لغته بلسان عربى مبين والتركيب العربى غنىٌّ بالوقع الموسيقى...

والذى نريد أن نجليّه فيما يلى هو طرق التعبير الموسيقى فى القرآن، وأنماط وألوان هذه الموسيقى، وبخاصة فى الفواصل القرآنية وما تؤديه من دور مؤثر فى التعبير، وعلاقة الجرس بالمعنى، وصلة المبنى – فى الفاصلة – بالمعنى، أو الشكل بالمضمون.

وإذا كان النقاد يَرَوْنَ أن فى الشعر موسيقى خارجية ممثلة فى الوزن والقافية وحسن التقسيم وموسيقى داخلية ممثلة فى ائتلاف اللفظ مع المعنى

---

(١) التصوير الفنى فى القرآن ص ٨٧

وبعض ضروب البديع ومدى انسجام هذه الظواهر بجو القصيدة فإن فى القرآن الكريم موسيقى خارجية – من نوع خاص – فى فواصله ومقاطعه ولوازمه وفيه أيضا موسيقى داخلية تتجاوب أصداؤها وينطق بها جو الأحداث وتظهر فى الألفاظ التصويرية الناطقة بالمعنى فضلا عن ضروب البديع اللفظية من تجنيس وتسجيع وترديد وتكرير ومشاكلة وغيرها.

والأمثلة – التى يستجلى فيها البحث روعة الإيقاع المتدفق من نسق الفواصل – أمثلة فيّاضة، ولا يكاد نعرض مثالا حتى يشدنا آخر ليَفِيَ بجوانب تلك الروعة فليس هناك موضع أولى من الآخر فى هذا المجال، فإذا لم يتسنَّ لنا إلا أن نعرض أمثلة معدودة، فإنما نضعها مَعَالِم على الطريق لتغنى عن الحصر...

قال تعالى: ﴿**الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة. كذبت ثمود وعاد بالقارعة. فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية. وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية. فهل ترى لهم من باقية. وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة. فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية. إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية. لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية. فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة. وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة. وانشقت السماء فهى يومئذ واهية. والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية. فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هآؤم أقرءوا كتابيه. إنى ظننت أنى ملاق حسابيه. فهو فى عيشة راضية. فى جنة عالية. قطوفها دانية. كلوا واشربوا هنيئا بما آسلفتم فى الأيام الخالية. وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه. ياليتها كانت القاضية. ما أغنى عنى ماليه. هلك عنى سلطانية. خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلوه. ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه. إنه كان لا يؤمن با لله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين.**

فليس له اليومَ هَا هُنا حميم. ولا طعام إلا من غِسْلين. لا يأكُلُه إلا الخاطِئُون.﴾ (الآيات ١ - ٣٧) من سورة الحاقة.

هذه الآيات تعرض مشهدين من أعظم المشاهد رهبة وإجلالا، مشهد الماضى وقد عرفت أخباره من قراءة التاريخ، ورواية الأخبار، واستطلاع الآثار، ومشهد الآتى، وقد جاءت به النذر فى الكتب المنزلة من توراة وإنجيل وقرآن، وهما معا يتشابهان دهشة وقوة وأخذا بالنفوس والألباب، وإن كان مشهد القيامة من الروعة والإدهاش بحيث لا تقاس به مصارع المكذبين من عاد وثمود وآل فرعون والمؤتفكات!

هذه القوة العاتية فى الموضوع تتطلب مثلها فى العرض فكرة وتصويرا وتعبيرا، بحيث تكون عناصر الأسلوب وحدة متلائمة اللون والمنحى والإيقاع متجهة إلى إبراز هذه الصلابة الحية فى معرض أخّاذ من معارض البيان الصلب القوى، فمن ناحية اللفظ تأتى كلمات الحاقة والقارعة والآخذة والرابية والطاغية، والريح الصرصر العاتية والدكة الهائلة والنفخة الواحدة والسماء المنشقة الواهية ذات جرس يأخذ منافذ الأسماع، ويأتى تكرار بعضها فى أساليب من الاستفهام ذى التهويل والتخويف والزجر ثم من الخبر ذى التقريع والتهديد والتنديد والترهيب... كما تقصر الفواصل قصرا يجعلها ترن فى السمع رنينا لا يقطعه طول العبارة بل يلح على الأذن إلحاحا بهذه الفاصلة ذات الوزن الرتيب.

وذلك - كما نرى - يستمد جزالته الآسرة من طبيعة الموقف المعبر عنه، وهو موقف تتعدد فيه المشاهد المفزعة المتشابهة النهايات، فقوم يهلكون بالطاغية، وقوم يهلكون بريح صرصر عاتية، وقوم يؤخذون أخذة رابية! كم يحمل اتحاد الفواصل فى هذا العرض المهدد من أدوات الترويع ما يكاد يخلع القلوب الجاحدة، والعقول المنكرة، ليكون منه تذكرة تعيها الأذن الواعية!!

فإذا انتقل الحديث من الماضى إلى المستقبل، فإنه يفتتح بما يفوق الرجفات السابقة هولا إذ ينفخ فى الصور نفخة واحدة، فتطير الأرض

والجبال طيرانا يعبر عنه هذا التصوير الآخذ؛ لينفرج ذلك كله عن مشهد الحساب والعرض، تنطق به الفواصل القريبة ذات النبر المتقارب، فتوقد في الشعور ما يلهبه ويزكيه، وهذا من ناحية اللفظ ...

أما من ناحية المشاهد التصويرية فأنت لا تستطيع حصرها حين تختلف على عينك فى سرعة وامضة، وكأنك تجاه مشهد ينقل لك قصة الحياة متخطيا حدود الأبد إلى ما بعد الحياة من مواقف العرض والحساب! ومع هذا الانتقال المفاجىء من الدنيا إلى الآخرة، فإن الجو هو الجو، واللون هو اللون، ومهما اختلفت شدة الترويع بدءا وخاتمة، فإن هذا الاختلاف بين النقمة فى الحياة، ومشاهد الحساب فى الآخرة لا يضائل شيئا من وقعه الآخذ على الشعور الإنسانى لأن أهون هذه المشاهد يحمل من العنف والترويع ما يعصف بالرواسخ من شم الجبال، ها أنت تَفْجَأُ بالحاقة حتى إذا علمت خبرها وجدت ثمود تهلك بالطاغية، وعادا بالريح الصرصر العاتية، تظل سبع ليال وثمانية أيام حسوما، فتترك القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية!

إن العربى يشهد الريح الصرصر ساعة واحدة فلا يأمن على نفسه لشدة ما ينتظر من الهول، فكيف بهذه التى امتدت سبع ليال وثمانية أيام!! ويتوالى العرض السريع الراعب بمشاهده المؤسية ليعرض فرعون والمؤتفكات وقد أخذوا أخذة رابية، فإذا التقط القوم أنفاسهم بعض الشىء، وأَنِسُوا لقول الله: ﴿**إنّا لما طَغَى الماء حملناكم فى الجارية. لنجعلها لكم تذكرةً وَتَعِيَها أذنٌ وَاعِية**﴾ ، فاجأهم بالكارث الكارب بالحديث عن المستقبل يوم العرض، فسمعوا الصور يُنفخ نفخة واحدة ورأوا الجبال بأرضها تُحمَل طائرة إلى حيث لا يعلمون، والسماء تنشق ليظهر على أرجائها ملائكة الله يحملون عرشه! فلا أرض ولا سماء ولا جبال يمكن أن يستتر بها مستتر حين يُعرض القوم، ولا تخفى منه خافية!

ثم ينفرج الموقف عن جماعتين تُؤْتَى إحداها الكتاب باليمين، فيصيح صائحها مستبشرا ﴿**هَاؤمُ اقْرَؤُا كتابيه**﴾ وكأنه لم يكن يصدق بالنجاة

فيقول متعجبا ﴿**إني ظننت أني مُلاق حسابيه**﴾، أما الثانية فتؤتى كتابها بالشمال، فيضج صائحها صارخاً مُوَلْوِلاً ﴿**ياليتني لم أُوتَ كتابيه. ولم أدْرِ ما حسابيه. ياليتها كانت القاضية. ما أغنى عني ماليه.هلك عني سلطانيه**﴾! وتشتد المأساة حين يؤخذ الظالم فَيُغَلُّ، لِيَصْلَى الجحيم ويسلك في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا!!

مشاهد قوية مؤثرة بمضمونها المؤثر الرائع، نطق بها التعبير القرآني جزلا بفواصله ونظمه وتصويره ليحقق من وراء ذلك كله قضية البعث الأخروي التي قامت عليها الدعوة الإسلامية لتؤكد عدالة السماء، فيما سيكون من ثواب وعقاب وحشر وميزان"(١)

ويشارك إيقاع الفاصلة في السورة، برنته الخاصة، وتنوع هذه الرنة، وفي المشاهد والمواقف في تحقيق ذلك التأثير الحي العميق... فمن المد والتشديد والسكت في مطلع السورة: ﴿**الحاقة. ما الحاقة؟ وما أدراك ما الحاقة؟**﴾ إلى الرنة المدوية في الياء والهاء الساكنة بعدها سواء كانت تاء مربوطة يوقف عليها بالسكون، أو هاء سكت مزيدة لتنسيق الإيقاع، طوال مشاهد التدمير في الدنيا والآخرة، ومشاهد الفرحة والحسرة في مواقف الجزاء ثم يتغير الإيقاع عند إصدار الحكم إلى رنة رهيبة مدوية ﴿**خذوه فغلوه ثم الجحيم صَلّوه....**﴾ ثم يتغير مرة أخرى عند تقرير أسباب الحكم، وتقرير جدية الأمر، إلى رنة رزينة جادة حاسمة ثقيلة مستقرة على الميم أو النون: ﴿**إنه كان لا يؤمن با لله العظيم.ولا يحض على طعام المسكين. فليس له اليوم ها هنا حميم. ولا طعام إلا من غسلين.لا يأكله إلا الخاطئون... وإنه لحقُّ اليقين. فسبح بٱسْمِ ربك العظيم**﴾

وهذا التغير في حرف الفاصلة، وفي نوع المد قبلها، وفي الإيقاع كله ظاهرة تتبع تغير السياق والمشاهد، والجو، وتتناسق مع الموضوع، والصور،

---

(١) البيان القرآني ص ٤٠ – ٤٣

والظلال تمام التناسق. وتشارك فى إحياء المشاهد وتُقَوِّى وقعها على الحسِّ فى السورة القوية الإيقاع العميقة التأثير.

ومن الشواهد التى نستشعر فيها مدى مسايرة الإيقاع الموسيقى فى القرآن – وبخاصة فى فواصله – للمعانى التى يحتويها النص "سورة التكوير" قال تعالى:

﴿إذا الشمس كُوِّرت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عُطِّلت. وإذا الوحوشُ حُشِرَتْ. وإذا البحار سُجِّرت. وإذا النفوس زوجت. وإذا الموءودة سُئِلت. بأىِّ ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كشطت. وإذا الجحيم سُعِّرت. وإذا الجنةُ أُزْلِفت. علمت نفسٌ مّا أحْضَرت.

فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس. إنه لقولُ رسولٍ كريم. ذِى قوةٍ عِندَ ذِى العرشِ مكين. مُطَاعٍ ثَمَّ أمين. وما صاحبكم بمجنون﴾ (التكوير ١ – ٢٢)

كم من المشاهد تجددت أمامنا .. كل مشهد غريب فى هيئته وصورته، رهيب فى حدوثه وظهوره، يعلو ويسفل، مرة فى السماء وأخرى فى الأرض .. إنها رحلة طويلة شاقة تقطعها النفس لاهثة حتى تقف على حقيقة الرحلة **﴿علمت نفس ما أحضرت﴾** وقد أُدِّيَت هذه المعانى التى تصور هذه الحقيقة بأسلوب الشرط **﴿إذا الشمس كورت﴾** وتتابع نظائره وأشباهه، ومع ذلك نلحظ قِصَرَ الآيات وانتهاء الفاصلة بالتاء الساكنة وهذا يوحى بسرعة الحركة وجدية الموقف وتصوير ما فيه من الهول والكرب، ونلحظ كذلك التكرار (تكرر الشرط اثنتى عشرة مرة) والتكرير حينما يكون فى مواطن الإيجاز والقصر فهو يحمل المعنى على التقرير والترسيخ والإقناع وقد تساوت الوحدات الصوتية فصارت كالأنغام الموسيقية سريعة الحركة لاهثة الإيقاع تشترك بتصويرها الصوتى فى تجسيم المشهد وتمثيله للخيال. وقد انتهت فواصل الآيات بالتاء الساكنة وهى من الحروف المهموسة، ولعل السر فى ختم فواصل هذه السورة بالتاء الساكنة الهامسة الاشارة إلى انقضاء حركة

الحياة الأولى فى الكون، والايذان بسيطرة الخوف والدهشة على النفوس، والوجوم الذى يغشى الناس.. ﴿**وخشعت الأصوت للرحمن فلا تسمع إلا همسا**﴾ (طه ١٠٨). أما فواصل المقطع الثانى فتنتهى بحرف السين المتحرك، وهو من أحرف الصفير، والصفير حركة، دائبة مستمرة، والكلمات فى أنفسها حركة عنيفة بخلاف فواصل المقطع الأول، والذى يستوحى من هذه المجموعة القسمية أن المخاطبين ليسوا على مشارف البعث وأهوال القيامة – كما لحظنا فى المقطع الأول – وإنما هم فى فسحة من الأمل فى الحياة بطولها وعرضها وحركتها لذلك جاءت الكلمات متموجة مدوية والفواصل متحركة سافرة(١)

والإيقاع الموسيقى فى القرآن يساير المعانى فهو – بإطلاق – فى التقريع والانذار والتخويف والإعذار .. ذو ألفاظ شديدة قارعة قابضة – كما رأينا فى آيات الحاقة – فإذا بشر ووعد وتعطف وحمد فألفاظه – بإطلاق – باسطة بهيجة شفيفة وديعة، نرى ذلك الجو فى هذا العرض اللطيف فى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا هل أدلُّكم على تجارةٍ تُنْجِيكُم من عذاب أليم. تُؤمِنونَ با لله ورسولِه وتُجاهِدُون فى سبيل ا لله بأموالِكم وأنفسِكم، ذلكم خَيرٌ لَّكم إنْ كنتم تعلمون. يَغْفِرْ لكم ذنوبَكم ويُدخِلْكم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ ومساكنَ طيبةً فى جناتِ عدنٍ، ذلك الفوزُ العظيم. وأُخْرَى تُحِبُّونَهَا، نصرٌ مِّنَ ا للهِ وفتحٌ قَرِيب، وبشِّر المؤمنين**﴾ (الصف ١٠ – ١٣)

وهذا النص يتسلل إلى خفايا النفوس بندائه الذين آمنوا فى المطلع والعرض اللطيف فى: ﴿**هل أدلكم**﴾ استفهام للحث والتشويق وتمثيل الأعمال الصالحة بالتجارة التى تنجى من عذاب أليم. ويذكر الإيمان با لله والجهاد فى سبيله بالمال والنفس. والحكم على هذه الأعمال بأنها خير للمخاطبين يدركون خيرها لو حصلت لهم أسباب العلم النافع. وتأتى

---

(١) خصائص التعبير القرآنى ١/ ٢١٠ – ٢١٤ (بتصرف).

الاشارة إلى الجزاء الذى أعدَّه الله للمجاهدين فى سبيله: ﴿**تُنجيكم من عذابٍ أليم**﴾، وفصلته الآيتان الأخيرتان: ﴿**يغفرْ لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبةً فى جنات عدنٍ، ذلك الفوز العظيم**﴾ وفى هذا التفصيل بعد الإجمال ما يُشَوِّقُ القلوب إلى هذا الجزاء ويقرُّه فى الحس ويمكن له.

ولعلك تدرك قيمة التشويق والإثارة فى قول تعالى: ﴿**وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب**﴾ فالأخرى محبوبة والنصر من الله لا من غيره، والفتح قريب، وقد أجمل "الأخرى" فى صدر الآية ثم فصلها فيما بعدها، وذلك شرط الفخامة وعنصر التشويق.

ومن حسن المطلع وحسن الختام أن النص بدأ بنداء المؤمنين واختتم ببشارة المؤمنين وبين النداء والبشرى جنات ورياحين﴾(١)

ومثل هذا الشاهد فى تصوير ذلك الجو اللطيف قوله تعالى:
﴿**والضحى . والليل إذا سجى. ما وَدَّعك ربك وما قلى. ولَلْآخِرةُ خيرٌ لك من الأولى. ولسوف يُعْطِيك ربك فترضى**﴾ (الآيات ١ – ٥).

"لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف والرحمة الوديعة والشجى الشفيف ... هذه الألطاف تنسرب كلها من خلال النظم، فى الألفاظ الرقيقة والعبارة اللطيفة ، ومن هذه الموسيقى الرتيبة الحركات الوئيدة الخطوات، الشجية الإيقاع.. فلما أراد إطارا لهذا الحنان والرضى الشامل.. جعل الاطار من الضحى الرائق ومن الليل الساجى أصفى آنَيْن من آونة الليل والنهار، وأشفّ آنَيْن تسرى فيهما التأملات، .. وصورهما فى اللفظ المناسب، فالليل هو ﴿**الليل إذا سجى**﴾ لا الليل على إطلاقه بوحشته وظلامه، الليل الساجى الذى يرق ويسكن ويصفو، وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف

---

(١) خصائص التعبير القرآنى ٢٧٢/١، ٢٧٣ بتصرف.

والتأمل الوديع كجو اليُتْم والعَيْلة ثم ينكشف مع الضحى الرائق الصافى، فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار، ويتم التناسق والاتساق"(١)

ومن إسهامات الفاصلة فى تصوير ذلك الجو انتهاؤها بحرف الألف (اللينة) الممدودة حين الوقوف عليها وهذا له صلة نفسية فى راحة القلب بمد النفس وراحة الأذن بطيب النغم فى جو الآيات المفعم بالحنان والرحمة.

وحيثما تلا الانسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلى فى سياقه، يبرز بروزا واضحا فى السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة, ويتوارى قليلا أو كثيرا فى السور الطوال، ولكنه - على كل حال - ملحوظ دائما فى بناء النظم القرآنى.

وها نحن أولاء نتلو سورة النجم: **﴿والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى. علمه شديدُ القوى. ذو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وهو بالأفقِ الأَعلى. ثم دنا فتدلّى. فكان قابَ قوسينِ أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى. أَفَتُمَارُونَهُ على ما يرى. ولقد رآهُ نزلةً أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرةَ ما يغشى. ما زاغ البصرُ وما طغى. لقد رأى من آياتِ ربه الكُبرى. أفرأيتمُ اللّاتَ والعُزّى. ومناةَ الثالثة الأخرى. ألكمُ الذّكرُ وله الأنثى. تلك إذًا قِسمةٌ ضِيزَى﴾**

يقول الشيخ سيد قطب - رحمه الله - معلقا على موسيقى النص الكريم: "هذه فواصل متساوية فى الوزن تقريبا - على نظام غير نظام الشعر العربى متحدة فى حرف التقفية تماما، ذات إيقاع موسيقى متحد تبعا لهذا وذاك، وتبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية، لأنه ينبعث من تآلف الحروف فى الكلمات، وتناسق الكلمات فى الجمل، ومرده إلى الحس الداخلى، والإدراك الموسيقى الذى يفرق بين إيقاع موسيقى وإيقاع آخر ولو اتحدت الفواصل والأوزان...

---

(١) فى ظلال القرآن ٣٩٢٦/٦ - وراجع التصوير الفنى فى القرآن ص ١٠٥

والإيقاع الموسيقى هنا متوسط الزمن تبعا لتوسط الجملة الموسيقية فى الطول، متحد تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقى، مسترسل الروى كجو الحديث الذى يشبه التسلسل القصصى وفى بعض الفواصل يبدو ذلك جليا مثل: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى؟**﴾، فلو أنك قلت: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة؛ لاختلت القافية ولتأثر الإيقاع. ولو قلت: افرأيتم اللات والعزى ومناة الاخرى فالوزن يختل. وكذلك فى قوله: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذن – قسمة ضيزى**﴾، فلو قلت: ألكم الذكر وله الآنثى؟ تلك قسمة ضيزى، لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة "إذن" ولا يعنى ذلك أن كلمة "الأخرى" أو كلمة "الثالثة" أو كلمة "إذن" زائدة لمجرد القافية أو الوزن، فهى ضرورية فى السياق لنكتٍ معنويةٍ خاصة، وتلك ميزة فنية أخرى: أن تأتى اللفظة لتؤدى معنى فى السياق، وتؤدى تناسبا فى الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، أو يخضع النظم للضرورات"(١)

ونأخذ مثالا آخر لسورة قصيرة ولتكن "سورة الفلق" ﴿**قل أعوذ برب الفلق. من شرِّ ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات فى العقد. ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد**﴾

تأمل فواصلها (الفلق – خلق – وقب – العقد – حسد﴾ تجد أنها بنيت على ثلاثة أحرف "القاف" و"الباء" و"الدال" وهذه الأحرف الثلاثة – حروف الروى – بينها صلة كبيرة من الناحية الصوتية لأنها من حروف القلقلة، فإذا استمعت إليها مرتلة أحسست بجمال الرنة فى الوقف على القاف مقلقلة أو الباء أو الدال مما يبرز التوافق الصوتى بين المقاطع المتقاربة التى تنتهى بها فواصل السورة .. كل هذا يعد من قبيل الموسيقى الخارجية فى السورة، أما من ناحية الموسيقى الداخلية فى بناء السورة "فذلك شىءٌ كامنٌ فى نسيج اللفظة المفردة وتركيب الجملة الواحدة وهو يدرك بحاسة خفية وهِبَةٍ لَدُنية؛ لأن الموسيقى الداخلية فى القرآن تتبدى موزونة بميزان شديد الحساسية تمليه أخف الحركات والاهتزازات"(٢) إذن فما الجو المراد إطلاقه

---

(١) التصوير الفنى ص ٨٧ – ٩٠

(٢) التصوير الفنى ٩٠

فيها؟ إنه جو التعويذة، بما فيه من خفاء وهيمنة وغموض وإبهام... نعوذ برب الفلق (الفجر) ﴿**من شر ما خلق**﴾ هكذا بالتنكير وبما الموصولة الشاملة، وفى هذا التنكير والشمول يتحقق الغموض والاظلام المعنوى فى العموم ﴿**ومن شر غاسق إذا وقب**﴾ الليل حين يدخل ظلامه إلى كل شىء ويمسى مرهوبا مخوفا. ﴿**ومن شر النفاثات فى العقد**﴾ وجو النَّفْثِ فى العقد من الساحرات والكواهن كله رهبة وخفاء وظلام، بل هن لا ينفثن غالبا إلا فى الظلام ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ والحسد انفعال باطنى مطمور فى ظلام النفس، غامض مرهوب إذن الجو كله ظلام ورهبة وخفاء وغموض.. والمرء يستعيذ من هذا كله بالله رب كل شىء، فلم خصصه هنا "برب الفلق"؟ لينسجم مع جو الصورة كلها، ويشترك فيه ولقد كان المتبادر إلى الذهن أن يعوذ من الظلام برب النور، ولكن الذهن هنا ليس المُحَكِّم، إنما المحكم هو حاسة التصوير الدقيقة، فالنور يكشف الغموض المرهوب، ولا يتسق مع جو الغسق والنفث فى العقد ولا مع جو الحسد.

و"الفلق" يؤدى معنى النور من الوجهة الذهنية ثم يتسق مع الجو العام من الوجهة التصويرية، وهو مرحلة قبل سطوع النور تجمع بين النور والظلمة ولها جوها الغامض المسحور.

ثم ما هى أجزاء الصورة هنا أو محتويات المشهد؟ هى من ناحية "الفلق والغاسق" مشهدان من مشاهد الطبيعة، ومن ناحية "النفاثات فى العقد" و"حاسد إذا حسد" مخلوقان آدميان وهذه الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعا متناسقا، متقابلة فى اللوحة ذلك التقابل الدقيق وكلها ذات لون واحد، فهى أشياء غامضة مرهوبة، يلفها الغموض والظلام، والجو العام قائم على أساس هذه الوحدة فى الأجزاء والألوان.

ليست هذه الدقة كلها بلا هدف، وليس هذا الهدف حلية عابرة، فالمسألة ليست مسألة ألفاظ أو تقابلات ذهنية إنما هى مسألة لوحة وجو وتنسيق(١)

---

(١) السابق ٩٧ ، ٩٨

والدعاء – بطبيعته – ضرب من النشيد الصاعد إلى السماء، ولا يحلو وقعه فى نفس الضارع المبتهل إلا أن تكون ألفاظه منتقاة، فلا غَرْوَ إذا بَدَا النبى الكريم – ﷺ – فى دعائه المأثور كالحريص على شىء من التقطيع المقصود، من سجع لطيف، أو طباق رشيق، أو رنة شافية. أما القرآن نفسه فلم ينطق عن لسان النبيين والصديقين والصالحين إلا بأحلى الدعاء نغما، وأروعه سحر بيان! وإذا تذكرنا أن ابتهال الصالحين كثير فى القرآن رغبا أو رهبا، طمعا أو خوفا، استعجالا لخير أو دفعا لشر؛ أدركنا سرًّا من أسرار التنغيم ينبعث من كل مقطع فى كتاب الله(١) .

ومن سحر القرآن أن النغم الصاعد فيه خلال الدعاء يثير بكل لفظة صورة، وينشىء فى كل لحن مرتعا للخيال فسيحا: فنتصور مثلا – ونحن نرتل دعاء زكريا – شيخا جليلا مهيبا على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة وشعاع من نور، ونتمثل هذا الشيخ الجليل – على وقاره – متأجج العاطفة، مُتَهَدِّج الصوت، طويل النفس، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب فى أعماق قلوبنا، شديدة التأثير، بل إن زكريا فى دعائه ليحرك القلوب المتحجرة بتعبيره الصادق عن حزنه وأساه خوفا من انقطاع عَقِبه، وهو قائم يصلى فى المحراب لا يَنِى ينادى اسم "ربه" نداء خفيا، ويكرر اسم "ربه" بكرة وعشيا، ويقول فى لوعة الإنسان المحروم، وفى إيمان الصِّدِّيق الصَّفِىِّ: **﴿ربِّ إنِّى وَهَنَ العظمُ مِنِّى وٱشْتَعَلَ الرأسُ شيبا، ولم أكن بدعائِك ربِّ شقِيا. وإنى خِفْتُ الموالىَ مِن وَّرَائى وكانت ٱمرأتى عَاقِرًا فَهبْ لى من لَّدُنك وليًّا. يرثنِى ويرثُ من آلِ يعقوبَ، وٱجعلْه ربِّ رضيًّا﴾** (سورة مريم ٤ – ٦)(٢)

وتلحظ الموسيقى الكامنة فى التركيب، والتى تختل لو غيرت نظامه؛ فلو حاولت مثلا أن تغير فقط وضع كلمة "منى" فتجعلها سابقة لكلمة العظم

---

(١) مباحث فى علوم القرآن ص ٣٣٧ – ٣٣٨

(٢) السابق ٣٣٨

– قل رب إنى وهن منى العظم – لأحسست بما يشبه الكسر فى وزن الشعر، ذلك أنها تتوازن مع "إنى" فى صدر الفقرة هكذا: "قال رب إنى" .."وهن العظم منى"(١)

"وإن البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التى تنتهى فى فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحول عند الوقف ألفا لينة كأنها فى الشعر ألف الإطلاق: فهذه الألف اللينة الرخية المنسابة تناسقت بها "شقيا – وليا – رضيا" مع عبدالله زكريا، ينادى ربه نداء خفيا!!(٢).

ولقد استشعرنا هذا الجو الروحانى كله ونحن نتصور نبيا يبتهل وحده فى خلوة مع الله، وكدنا نصغى إلى ألحانه الخفية تصعد إلى السماء، فكيف بنا لو تصورنا جماعة من الصديقين الصالحين وصفهم الله بأنهم من أولى الألباب ﴿**الذين يتفكرون فى خلقِ السماوات والأرض**﴾ – كيف بنا لو تصورنا هؤلاء يشتركون ذُكرانا وإناثا، شبانا وشيبا، بأصوات رخية متناسقة تصعد معا وتهبط معا وهى تجأر إلى الله وتنشد هذا النشيد الفخم الجليل: ﴿**ربنا ما خلقتَ هذا باطلا، سبحانك فَقِنَا عذابَ النار. ربنا إنك من تُدْخِلِ النَّارَ فقد أخزيته، وما للظالمينَ من أنصار. ربنا إننا سمعنا مُناديا ينادى فلإيمانِ أنْ آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّرْ عنّا سيئاتنا وتوفَّنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وَعَدْتَنَا على رُسُلِك، ولا تُخْزِنا يومَ القيامةِ إنك لا تخلفُ الميعاد**﴾ (سورة آل عمران ١٩١ – ١٩٤)

إن تكرار كلمة (ربنا) لمما يُلِّين القلب، ويبعث فيه نداوة الإيمان، وإن فى الوقوف بالسكون على الراء المذْلقة المسبوقة بهذه الألف اللينة لمما يعين على الترخيم والترنيم، ويعوض فى الأسماع أحلى ضربات الوتر على أعذب العيدان!(٣)

---

(١) التصوير الفنى فى القرآن ص ٨٩

(٢) مباحث فى علوم القرآن ص ٣٣٨

(٣) السابق ٣٣٨

ولئن كان فى موقف الدعائين هذين نداوةٌ ولِينٌ، ففى بعض مواقف الدعاء القرآنية الأخرى صخب رهيب: ها هو ذا نوح عليه السلام يدأب ليلا ونهارا على دعوة قومه إلى الحق، ويصر على نصحهم سِرًّا وعلانية، وهم يلجون فى كفرهم وعنادهم ويفرون من الهدى فِرارا، ولا يزدادون إلا ضلالا واستكبارا. فما على نوح – وقد أَيِسَ منهم – إلا أن يتملكه الغيظ ويمتلىء قوة بكلمات الدعاء الثائرة الغَضْبَى تنطلق فى الوجوه مديدة مجلجلة، بموسيقاها الرهيبة، وإيقاعها العنيف. وما أظنك تتخيل الجبال إلا دكا، والسماء إلا متجهمة عابسة، والأرض إلا مهتزة مزلزلة، والبحار إلا هائجة ثائرة، حين دعا نوح على قومه بالهلاك والتَّبَار، فقال: ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا. إنك إن تَذَرْهُم يُضِلُّوا عبادك ولا يَلِدُوا إلا فاجرا كفارا. رب ٱغفرْ لِى ولوالدىَّ ولمن دخلَ بيتىَ مؤمنا، وللمؤمنين والمؤمناتِ، ولا تزدِ الظَّالمين إلا تبارا**﴾ (نوح ٢٦ – ٢٨)(١)

نخلص من هذا إلى أن التلاؤم فى ألفاظ القرآن الكريم، وجمله وآياته، ومواضع الوقف فيه (فواصله) واضح بصورة لافتة فى نغمه وجرس موسيقاه، فلا تجد حرفا يشذ عن أخيه، ولا كلمة عن أختها، فالآية منه مؤتلفة النغم، مناسبة لجو الأحداث موافقة للغرض الذى سيقت له... فإن كان إنذارا كان النغم سريعا، لاهثا، مرعدا، والفواصل قارعة، وإذا كان تبشيرا كان النغم هادئا ممطوطا، والفواصل منغومة، وإن كان عظة كان تنبيها، وإن كان تفكيرا كان توجيها لافتا... فسبحان من هذا كلامه – ﴿**قل أنزلَه الذِى يعلمُ السِّرَّ فى السمواتِ والأرض**﴾ (الفرقان ٦).

---

(١) مباحث فى علوم القرآن ص ٣٣٩

دور المدود فى إبراز
جمال الإيقاع فى الفواصل

المدود فى الفواصل هى نهايات الدفقات الصوتية للجمل عند الوقف نجد لها من الإطراب والشجى حظا يثير الحكم بأن لها دخلا كبيرا فى الإعجاز الصوتى للقرآن .

فمن ذا الذى يقرأ سورة كاملة من سور القرآن – طويلة أو قصيرة، مكية أو مدنية – ثم لا يوقظ نسقها الرائع قلبَه، ويهز إيقاعها العجيب مشاعره؟

إن المرء يحار إذا قرأ مثلا سورة مكية كسورة "الرحمن" ويتساءل هل انبعث إيقاعها الرخى المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من فواصلها؟
﴿**الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان. الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسجدان. والسماءَ رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا فى الميزان. وأقيموا الوزنَ بالقسطِ ولا تُخْسِروا الميزان. والأرض وضعها للأنام. فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام. والحب ذو العصف والريحان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. خلق الإنسان من صلصال كالفخار. وخلق الجانّ من مارج من نار. فبأى آلاء ربكما تكذبان. رب المشرقين ورب المغربين. فبأى آلاء ربكما تكذبان. مَرَجَ البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. يَخرجُ منهما اللؤلؤُ والمرجان. فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ (الرحمن ١ – ٢٣).

لعلك تحس بأن النغم يسرى فيها كلها: فى فواصلها ومقاطعها وفى ألفاظها وحروفها ففى هذا المقطع من السورة نلحظ تقارب الفواصل فقد ختم معظمها بـ (ان) وبعضها بـ (ام) وهذا له أثره فى إبراز جمال الإيقاع.

ويقول الشيخ سيد قطب في استهلال تفسيره لسورة "الرحمن": "هذه السورة المكلية ذات نسق خاص ملحوظ، إنها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، وإعلام بآلاء الرحمن الباهرة ... ورنة الإعلان تتجلى في بناء السورة كله، وفي إيقاع فواصلها ... تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويت إلى بعيد ... الرحمن ... هذا المطلق المقصود بلفظه ومعناه وإيقاعه وموسيقاه يخاطب كل الوجود، ويبلغ كل سمع وكل قلب...(١)

إنه يلفتنا إلى موضوع السورة؛ لنتأمل آلاء الرحمن التي تمثل في حياة الإنسان أسمى مظاهر الرحمة، ونستشعر ذلك من فواصل السورة المنتهية بالنون المسبوقة بألف المد، فالفاصلة بهذه المثابة تحمل رنة الإعلان حيث يمتد الصوت إلى بعيد.

فالألف هنا ردف للفاصلة "ن" أو "م" أو "ر" وإن كان الروى في معظم فواصل السورة "نوناً" ونلاحظ أيضا أن فواصل السورة بنيت على المقطع (ص.م.ص)، وهو المقطع الشائع المتميز بالمد، والمد هنا "ألف" تمهد للفاصلة وتزيد من وضوح إيقاعها فضلاً عن جمال الرنّة الذى تحسه الفاصلة بالوقوف عليها.

ولعلك راءٍ في قوله تعالى: ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ وقد تكرر في سورة "الرحمن" على أبعاد متجاوبة – صوت هذا المد الطويل يكنفه ثلاثة مدود قصار تؤدى مع التكرار العام للآية تنغيما داخليا فيها له أخذه وأسره، ونلاحظ أن المد الطويل قد وقع في لفظ الارتكاز من مدار المعنى وهو "الآلاء" ليزيد تميزا ووضوحا في مقام التمنن والإلزام بالحجة.(٢)

---

(١) في ظلال القرآن ٢٧/٣٤٤٥

(٢) التكرير بين المثير والتأثير ص ٦٤

"ولا شك أن فواصل هذه السورة المنتهية بالنون مردوفة بالألف المد وقد زادت من روعة التلاوة بما خلعت على السورة من إيقاع محبب بهيج وأمدت القُرَّاءَ بألوان من التنغيم المؤثر، نراه يستثير مشاعر السامعين، ويحدوهم – بلا وعى – إلى ترديد هذه الفاصلة المكررة مع القراء فى خشية غامرة وخشوع عميق"(١)

وهكذا تجد قوله تعالى : ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ (طه ٨).

يمتزج فيه المدان الطويلان بالمدود القصيرة امتزاجا يشعر فيه القارىء بتمكين النفى لغير الإله الحق بهذا الطول، وبتحقيق "الأسماء الحسنى مقابل النفى بالتركيز عليها بامتداد صوتها".(٢)

ونجد مثل ذلك فى الفواصل المطلقة كما فى سورتى "الزلزلة و"الشمس" حيث تكرر فى كل من ألفاظها المد ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان ما لها. يومئذ تحدث أخبارها. بأن ربك أوحى لها**﴾ (الزلزلة ١ – ٥).

"ومزج الكلام بهذه المدود على اختلافها لا يختار اختيارا، وإنما يأتى فى الأغلب مجانسا للفكرة، والإحساس الممتزج بالفكرة ليعطيها جانبا من التصوير بقوة التداعى".(٣)

وعندما نرتل سورة (**ق**) أو سورة (**البروج**) واقفين عند كل فاصلة نستشعر تجاوب المدود فى أنفسنا، وما تحدثه من أريحية لما لها من صلة نفسية فى راحة القلب بمد النفس وراحة الأذن بطيب النغم.

ثم تأمل فواصلهما تجد أن سورة (**ق**) بنيت فواصلها على أحرف (**ب، ج، د، ر، ط، ظ،ص**)، وسورة (**البروج**) بنت فواصلها على أحرف (**ب، ج، د، ر، ط، ظ، ق**)، ولا يخفى على ذى نظر ما بين هذه الأحرف من تآلف وتآخ أهلها لأن تجمع من إطار واحد ضمن النسق القرآنى البديع

---

(١) فن الأسجاع ١٨٧/٢

(٢) التكرير بين المثير والتأثير ٦٤

(٣) السابق ٦٤

لتؤكد عطاء الفواصل القرآنية من التوافق الصوتى، (فالباء والجيم والدال والطاء والقاف) من حروف القلقلة و(الصاد والضاد والطاء والظاء) من حروف الإطباق، وهكذا تجد الترابط والتآخى بين حروف الفواصل المتعددة فى السورة الواحدة، فإن لم يكن الروى موحدا متماثلا كان متقاربا وإن لم يكن متماثلا ولا متقاربا فذو علاقة صوتية تربط بين الفواصل حفاظا على الإيقاع الذى يُعَدُّ صوت الإعجاز فى فواصل القرآن...

كذلك إذا تأملنا فواصل الآيات الأخيرة من سورة "فصلت" :

﴿وضَلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبلُ وظنوا ما لهم من محيص. لا يسأمُ الإنسان من دعاء الخير وإنْ مَّسَّه الشرُّ فيئوسٌ قَنوط. ولئن أذقناه رحمةً منّا من بعد ضَرَّاءَ مسته ليقولنَّ هذا لى وما أظن الساعةَ قائمةً ولئن رُجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عَمِلوا ولَنُذِيقَنَّهُم من عذابٍ غليظ. وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونَأى بجانبه وإذا مسَّه الشرُّ فذو دعاءٍ عريض﴾ (الآيات ٤٨ – ٥١) حيث جاءت فواصل الآيات (٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١) على أحرف **(ص، ط، ظ، ض)**، وهى من حروف **الإطباق** وفواصل الآيات التالية لها حتى آخر السورة على حرفى (د، ط) وهى من حروف القلقلة.

ومن شواهد ذلك فواصل سورة "الفلق" جاءت على أحرف **(ق، ب، د)** وهى من أحرف **القلقلة** .. ولك أن تقرأ هذه السورة آية آية مع الوقف على رأس كل آية لتشعر بالانسجام وتوافق الإيقاع .

وتارة أخرى يتجلى هذا التوافق فى الانسجام بين المقاطع واتحادها حتى تُبْنَى السورة كلها من طوال السور على مقطع واحد، وإن تغير حرف الفاصلة .. فإذا قرأتها أو سمعتها أحسست هذا التوافق، وذلك الانسجام ينساب انسيابا، ويظهر جليا عند آخر كل آية حين الوقف على رءوس الآى..

وأحيانا تبنى فواصل السورة كلها على حرفين كسور [الفاتحة، الأنبياء، المؤمنون، النمل، يس، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الحجرات، الجمعة، القلم، التين..]... فقد بنيت فواصل هذه السور كلها على حرفى (النون ، الميم) هذا فضلا عن سور آخرى كثيرة بنيت فواصلها على هذين الحرفين (م، ن) معهما حرف آخر، أو حرفين، بنسبة ضئيلة من فواصل السورة، مثلا:

سورة **الحجر** بنيت فواصلها على (م.ن.ل) نصيب اللام فاصلتان فقط.
سورة **مريم** بنيت فواصلها على (م.ن.د) نصيب الدال فاصلة واحدة.
سورة **الشعراء** بينت فواصلها على (م.ن.ل) نصيب اللام أربع فواصل.
سورة **العنكبوت** بنيت فواصلها على (م.ن.ر) نصيب الراء فاصلة واحدة.
سورة **الروم** بنيت فواصلها على (م.ن.ر) نصيب الراء فاصلتان فقط.

هذا على سبيل التمثيل، ولا أريد الاستقصاء خشية الإطالة، فللقارىء أن يرجع إلى ملحق الفواصل فى نهاية البحث، ففيه إحصاء.

على أنه من المشاهد، والواضح البيّن لمن يتأمل فى كتاب الله، أو يستمع إليه مرتلا أن معظم فواصل القرآن الكريم ختمت بحرف النون أو الميم مردوفا(١) فى الغالب بحرف من حروف المد أو اللين....(٢)

وإذا تأملنا الحكمة فى ذلك وجدنا أن:

"النون والميم" من أكثر الحروف ارتباطا بالصوت فيما نشاهد ونتكلم: لما بينهما من تآخ فى الصفات الصوتية كالجهر والذلاقة والغنة، وحرف النون بخاصة كثيرا ما نجده مكررا فى الكلمات الدالة على نوع من الصوت ذاته

---

(١) "الردف" هو حرف المد أو اللين الذى يسبق الروى مباشرة، ونقصد بالروى آخر حرف من الفاصلة، ونقول هذا – هنا – من باب التوسع؛ لأن هذه المصطلحات لا تكون على الحقيقة إلا فى الشعر.

(٢) حروف المد (الألف والواو والياء) وحروف اللين (الواو أو الياء المفتوح ما قبلهما)

كالأنين، والحنين، والرنين، والطنين... والتنوين والنون يصاحبان الغنة، وهي نغم شجي تعشقه الأذن، وتلذه النفس، ولذلك يكثر دخوله في تركيب مفردات اللغة تطريبا وتشجية، فنرى منه الكثير المكرر في تضاعيف الكلام وقوافيه، وقد توفر للقرآن منه أكبر ما يرى في قول قائل، ولحب الوجدان العربي للنون وصوتها ألحق بالقوافي المطلقة نوعا منها يسمى تنوين الترنم.(٣)

يقول سيبويه: "كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك"(١)

ويقول الرافعي: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه... وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد، وهو كذلك طبعيّ في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع لكلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه، وعلى أن ذلك أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقى.. وهي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، وأثرها طبعيّ في كل نفس فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه، وكل نفس لا تفهمه ثم لا يجد في النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة.(٢)

ونجتزىء بعض الشواهد للتوضيح:

---

(٣) التكرير بين المثير والتأثير ص ١٥

(١) الكتاب ٤/٢٠٤ – وراجع معترك الأقران ١/٥٣

(٢) تاريخ آداب العرب ٢/٢١٧

قال تعالى فى سورة الفاتحة: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضَّالين**﴾

وبالنظر إلى فواصلها نجد أنها بنيت على مقطع واحد:

وهو فى هذه الآيات على الترتيب "حيم، مِين، حيم، دين، عين، قيم، لين"..

ذلك الاتحاد المقطعى جعل من فواصلها نسقا متحد البناء، عذب الإيقاع، قد توج بحرف النون أو الميم، ولا يخفى ما بينهما من صلة وقرابة، فكل منهما صوت "أنفى، مجهور، متوسط، مستفل، منتفخ، ذلق، وتدغم النون فى الميم لاشتراكهما فى الغنة والهوى فى الفم"(١)

كل هذا أهّل للحرفين التقارب بحيث تُبنى عليهما معظم فواصل القرآن الكريم ..

ومثل هذا البناء فى الفواصل نجده فى سورة "البقرة" تقرأها واقفا عند كل فاصلة فتستشعر التوافق والانسجام بين المقاطع وإن تغير حرف الفاصلة.

قال تعالى: ﴿**أم تُرِيدونَ أن تسألُوا رسولَكم كما سُئِل موسى من قبل ومن يتبدَّلِ الكفرَ بالإيمانِ فقد ضلَّ سواءَ السبيل. وَدَّ كثيرٌ مِّنْ أهلِ الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كُفارا حَسَدًا مِّن عندِ أنفسِهم من بعد ما تبَيَّن لهمُ الحقُّ فاْعفُوا واْصفحُوا حتى يأتِيَ اللهُ بأمره إنّ الله على كل شىء قدير. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تُقدِّمُوا لأنفسكم من خير تجدُوه عندَ الله إن الله بما تعملون بصير. وقالوا لن يدخلَ الجنة إلا من كان هُودًا أو نَصَارى تلك أمانِيُّهم قل هاتُوا برهانكم إن كنتم صادقين. بلَى من أسلَمَ وجهَهُ للهِ وهو محسنٌ فله أجرُه عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وقالت اليهودُ ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتابَ كذلك قال الذين لا يعلمون مثلَ قولهم،**

(١) سر صناعة الإعراب ٦٢/١.

فا لله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ومن أظلمُ ممن منع مساجدَ ا لله أن يُذْكَرَ فيها آسْمُهُ وسعَى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخُلوها إلا خَائفين.لهم فى الدنيا خِزْىٌ ولهم فى الآخرةِ عذابٌ عظيم. و لله المشرقُ والمغربُ فأينما تولُّوا فَثَمَّ وجهُ ا لله إن ا لله واسعٌ عليم. وقالوا آتَّخَذَ ا للهُ ولداً سبحانه بل له ما فى السمواتِ والأرض كُلٌّ له قَانِتُون. بديعُ السمواتِ والأرض وإذَا قضَى أمرًا فإنما يقولُ له كُن فيكُون﴾ (الآيات من ١٠٨ - ١١٧).

فالمقطع الأخير فى فواصل هذه الآيات من هذه السورة الكريمة متحد وهو فى هذه الآيات على الترتيب [**بيل - صير - قين - نون - فون - ظيم - ليم - تون - كون**]

وهكذا يشيع هذا المقطع فى فواصل السورة كلها ذلك الاتحاد فى المقطع جعل من طولها نسقا متحد البناء عذب الإيقاع، فلا تمل مواصلة قراءتها أو سماعها، فكل آية تصلك بالأخرى فى ترابط معنوى وإيقاعى ووحدة صوتية متناسقة.

وقد تتعدد حروف الفاصلة فى السورة الواحدة، ولكن نلاحظ كبير صلة بين حروف الفواصل المتعددة، فمثلا سورة "الأنعام" بنيت فواصلها على أحرف (ن.م.ل.ر) ما عدا الآية رقم (١٠٤) فجاءت فاصلتها على حرف (الظاء) .. وكذلك سورة "التوبة" بنيت فواصلها على هذه الأحرف الأربعة عدا الآية (٨٧) فجاءت فاصلتها على حرف (الباء)، وسورة "يوسف" بنيت فواصلها كلها على هذه الأحرف الأربعة .. وسورة "النور" بنيت فواصلها على هذه الأحرف ما عدا الآيتين (٣٨، ٣٩) جاءتا على حرف (الباء)... كذلك سورة "القصص" آياتها ٨٨ آية بنيت فواصلها على هذه الأحرف الأربعة، وسورة "الممتحنة" بنيت فواصلها كذلك على هذه الأحرف عدا الآية (٦) فجاءت على حرف "الدال".

ومثل ذلك نجده فى معظم فواصل سور القرآن الكريم، من ذلك مثلا سور (آل عمران، المائدة، الأنعام، الأعراف، التوبة، هود، يوسف، الحج، النور "الحواميم" وكثير من سور المفصل(١) ... رغم تنوع حرف الفاصلة (الروى) فى كل سورة إلا أنها بنيت على مقطع واحد فيه التماثل أو التقارب هو المقطع الشائع فى فواصل القرآن والذى يتميز تركيبه بنوع من المد (**ألف أو واو أو ياء**) قبل حرف الفاصلة.(٢)

وإذا تأملنا السر فى ذلك وجدنا أن **حروف المد (الألف والواو والياء)**: تهب الفاصلة قيمة سمعية كبرى فتكسب إيقاع الفاصلة وضوحا لاسيما عندما تجانسها حركة ما قبلها، فتتمخض لانطلاق الصوت مسافة أطول، وهى عند التكرار يلمس لها تطريب تطيب به النفس، ويأنس إليه السمع والوجدان ... لذلك يقول سيبويه: "إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون؛ لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا"(٣)

ونريد أن ننبه إلى أن هناك تقاربا وتآخيا بين النون والميم فى الجهر والذلاقة والغنة، فَثَمَّ تقارب أيضا بين (الواو) التى للين، و(الياء)، فهما وحدتان صوتيتان مستقلتان، على حين أن وجود كسر قبل الياء، وضم قبل الواو يسلم إلى امتزاج بين هاتين الحركتين والحرفين اللذين بعدهما، فما الكسرة إلا جزء الياء، وما الضمة إلا جزء الواو، فهما فى الحسبان شيء واحد ... لذلك تبادل واو المد ياء المد، وتبادل واو اللين ياء اللين ... هذا حتى يظل للكيف دوره فى إيقاع الفاصلة.(٤)

---

(١) الحواميم: غافر والشورى وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف. وسور المفصل: قصار السور

(٢) هذا المد يسمى ردفا وحرف الفاصلة يسمى رويا.

(٣) الكتاب ٤/٢٠٥ – وراجع معترك الأقران ١/٥٣

(٤) القافية تاج الإيقاع الشعرى ص ٦٨، ٦٩ (بتصرف).

إذن .. فالتبادل قائم بين الواو والياء كما هو قائم بين النون والميم، وهذا ما بنيت عليه معظم الفواصل القرآنية .. عد إلى الآيات السابقة من سورة البقرة، وتأمل فواصلها، والمقاطع التى بنيت عليها، وكذلك حرف روِّيها، فالمقطع الأخير من كل فاصلة متحد فى كل الفواصل هذا الاتحاد مما جعل من الفواصل نسقا متحد البناء، عذب الإيقاع رغم تغير الروى فى هذه الفواصل (ل.ر.م.ن) .. وهذا المقطع كما تراه فى الفواصل كلها يتميز تركيبه بحرف من حروف المد (الواو أو الياء) وتلاحظ تبادلهما، فالمد فى الآيات الأربعة الأولى "ياء" وكذلك فى الآيتين السابعة والثامنة، والمد فى الآيات الخامسة والسادسة والتاسعة والعاشرة "واو" ... هذا التبادل يجعل للكيف دوره فى إيقاع الفاصلة.

أما الألف المد فلا تبادل بينها وبين حروف مد أخرى، وقد تكون ردفا لروى أو تكون فى نهاية كثير من الفواصل، وقد تكون بدلا من التنوين حين يوقف على الفاصلة فتكسب إيقاع الفاصلة وضوحا "لأنها تفسح المجال لتنوع النغم الموسيقى للكلمة الواحدة، أو الجملة الواحدة لسعة إمكانياتها الصوتية ومرونتها، وتقاربها فى ذلك مع بقية حروف الزيادة لخصائصها الصوتية المواتية"(١)

ومن الشواهد على ذلك سورة "الكهف" التى سبق الحديث عنها، وسورة "مريم" ، وسورة "الجن" ، وسورة "الإنسان" ومثال كونها ردفا لروى – كالنون مثلا – كما فى سورة الرحمن فنلاحظ التزامها فى جميع فواصل السورة .

والقرآن حين يراعى ذلك التوافق بين الفواصل وحين يراعى وجودَ مدٍّ سابق لحرف الفاصلة .. وإن كان فى موضع ألفا وفى موضع آخر واواً أو ياءً – فهو يوافق فطرة العرب "وهم أمة أمية تسمع أكثر مما تكتب، فلم يكن غريبا أن يهتم نص كتابها بالصورة الصوتية المسموعة وفيه من التقفية والموسيقى ما لا قبل لهم به وهم أمة الشعر والموسيقى"(٢)

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٥٦ دار الفكر سنة ١٩٦٨

(٢) مجلة الأزهر – مخلوف – ٤٣٨/٥ عام ١٩٦٧

وحينما نقرأ الشعر في جميع عصوره نحس هذه الخصائص الصوتية ظاهرة قوية هي ألمع الظواهر منه؛ لأن أوزان الشعر أو مقاييسه وهي تسمى "التفعيلات" لا تخلوا إحداها من ساكن، وكثيرا ما يكون الساكن مدا، والمدود للتطريب هي بالشعر ألصق؛ لأن الشعر في الأعم – وبخاصة العربي – يمثل غناء النفس أشواقها وآلامها وأفراحها التي تناسبها مدات الشجا والأسى والحنين والأنين والسراء والضراء.(١)

---

(١) هذه المدود دخلت في حسبان النقد الأدبي وسيلة من وسائل تصوير المشهد الذي ينقلنا إليه الشاعر بنشيده.

فهذا عمرو بن كلثوم يقول مفتخرا:

أبا هند فلا تعجل علينا	وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا	ونصدرهن حمرا قد روينا
وأنا المطعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدرا وطينا
إذا بلغ الفطام لنا صبي	تخر له الجبابر ساجدينا

لعلك تلحظ ظهور المدود مفرقة على أبعاد دقيقة التصويت ظاهرة التناسب مع تدفق وجدان الشاعر في فخره وزهوه وحماسه. هذه المدود تهز المشاعر لاسيما وقد ظفرت كلمات القافية كلها بمدّين مَدّين وقع الثاني منها موقع الفخامة والإطلاق فكان لذلك دورٌ كبير في تأثير ترقية الإحساس بظهور الايقاع جليا في موسيقى النص الخارجية والداخلية.

تنوع الفواصل في السور المختلفة، وفي السورة الواحدة:

"من الملاحظ أن الفواصل القرآنية قد تتنوع فى السور المختلفة وفى السورة الواحدة كذلك، فأما تنوعها فى السور فيختلف بالقياس إلى الفواصل بين الطول، والقصر، والتوسط، وهذا أشبه باختلاف بحور الشعر فى الديوان الواحد، ومعنى هذا: أن الفواصل تقصر فى السور القصار وتتوسط أو تطول فى السور المتوسطة والطوال...

ونلحظ فى حرف القافية شدة التماثل والتشابه فى السور القصيرة، ويقل غالبا فى السور الطويلة ويغلب انتهاء الفواصل بحرفى النون والميم وقبلهما ياء أو واو على معظم الفواصل القرآنية، وذلك مع تعدد الأساليب الموسيقية ولو تشابهت الفواصل فى السور المختلفة"(١)

ونسوق من الشواهد على ذلك بعض آيات من سورة "مريم" نتبين من خلالها تنوع الفاصلة لبيان معنى خاص؛ فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحيى وتليها قصة مريم وعيسى، وتسير الفاصلة هكذا:

﴿ذِكْرُ رحمةِ ربكَ عبدَه زكريا. إذ نادى ربَّه نداءً خفيا. قال رب إنى وهَنَ العظمُ منى واشتعلَ الرأسُ شيبا. ولم أكن بدعائِكَ ربِّ شَقِيًّا.....﴾

﴿واذْكُرْ فى الكتابِ مريمَ إذِ انْتبذَت مِن أهلِها مكانًا شرقيا. فاتَّخذت من دُونهم حِجابا فأرسلنا إليها رُوحَنَا فتَمَثَّلَ لها بَشرًا سَويا. قالت إنّى أعوذُ بالرحمنِ منكَ إنْ كُنت تَقِيا...﴾

إلى أن تنتهى القصتان على روى واحد، وفجأة يتغير هذا النسق بعد آخر فقرة فى قصة عيسى على النحو التالى:

﴿قال إنى عبدُا للهِ آتانىَ الكتابَ وجعلِنى نبيًّا. وجعلنى مُباركا أينما كُنتُ، وأوصانِى بالصلاةِ والزكاة ما دُمتُ حيا. وبَرًّا بِوالدتِى ولم يجعلْنى جبَّارًا شقيا. والسلام علىّ يوم وُلِدتُ ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾

﴿ذلك عيسى ابْنُ مريمَ قولَ الحق الذى فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذَ

---

(١) التصوير الفنى فى القرآن ٩٠، ٩١ بتصرف.

من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقولَ له كن فيكون. وإنّ الله ربى وربّكم فاعبُدوه. هذا صِراط مستقيم. فاَخْتلفَ الأحزابُ من بينهم فويل للذين كفروا من مشهدِ يومٍ عظيم...﴾ الخ

وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول، ويتغير نظام القافية، فتصبح بحرف النون أو بحرف الميم وقبلها مدٌّ طويل. وكأنما هو فى هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة مستمد منها ولهجة الحكم تقتضى أسلوبا موسيقيا غير أسلوب الاستعراض. وتقتضى إيقاعا قويا رصينا، بدل إيقاع القصة الرخى المسترسل، وكأنما لهذا السبب كان التغيير(١)

ونحن نستأنس فى هذا الاستنباط بملاحظة أخرى، ذلك أنه بمجرد الانتهاء من إصدار هذا الحكم وإلقاء ذلك القرار، عاد النظام الأول فى القافية والفاصلة، لأنه عاد إلى قصص جديد على النحو التالى: **﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم........ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجَعُون. واَذْكُرْ فى الكتابِ إبراهيمَ إنه كان صِدِّيقا نبيا. إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يُغنِى عنك شيئا...﴾** الخ.

وقد تتألف السورة من عدة مقاطع كمية(٢) ، كل مقطع تختلف فواصله عن الآخر، ويتضمن فكرة يعالجها ويلفت إلى وجه العظمة فيها، ويربط بين كل مقطع وآخر لازمة مكررة تحافظ على الإطار الموسيقى العام للسورة كلها ... نجد ذلك فى سورة "المرسلات": ففيها نرى عدة مقاطع لكل منها نغم خاص، وقد تتعدد فى بعضها الإيقاعات، وذلك محصور فى المقطعين: **الأول، والخامس.**

ففى **الأول:** نجد الفواصل مبنية على الفاء المفتوحة متلوة بألف الإطلاق، وعلى الراء على هذا النسق، وعلى التاء الساكنة بالوقف عندها – المفتوح ما قبلها، أو اللام الساكنة – بالوقف – مع سكون ما قبلها.

---

(١) التصوير الفنى ٩٢

(٢) أقصد بالمقاطع الكمية كل عدد من الآيات يتشابه فى البناء والتركيب ويتضمن فكرة، وليس المقطع الصوتى.

وفى **الخامس**: نرى الفواصل مبنية على الباء الساكنة بالوقف مع فتح ما قبلها والراء الساكنة بالوقف مع سكون ما قبلها.

وفى الفواصل الساكنة مع سكون ما قبلها أو فتحة غير مسبوقة بمد نرى نغما قصيرا أشبه بالنقر فى ثنايا اللحن الممتد، ولكنه يشتد فى آونة ويلين فى أخرى فتثير موسيقى المقطع بلحنها الممتد المصحوب بالنقر مشاعر النفوس على نحو يلفتها إلى ما وراءها من مغزى.

أما بقية المقاطع فقد اتحدت فواصلها غير أن الرابع مبنية فواصله على التاء المفتوحة المسبوقة بألف ساكنة المتبوعة بألف الإطلاق وما عداه ففواصله مبنية على النون الساكنة بالوقف المسبوقة بحرف المد (الياء،أو الواو)، وفى هذه المقاطع تبدو الموسيقى ممتدة النغم باطراد.

وفى ثنايا المقاطع تأتى اللازمة لتمثل الإطار العام وكأنها فى نهاية كل مقطع بمثابة الغاية التى يتوقف عندها امتداد النغم ليبدأ بعدها نغم جديد.

فإذا رتّلْنا بعض المقاطع من هذه السورة الكريمة أو استمعنا إليها مرتلة أحسسنا بما فيها من إيقاع حاد ومشاهد عنيفة حيث تتوالى مقاطع السورة وفواصلها قصيرة، سريعة، عنيفة، متعددة القوافى، كل مقطع بقافية، ويعود السياق أحيانا إلى بعض القوافى مرة بعد مرة... هكذا:

﴿والمرسلاتِ عُرْفًا. فالعاصفات عَصْفًا. والناشراتِ نَشْرًا. فالفارقات فرقًا. فالملقيات ذِكرًا.

عُذرًا أو نُذرًا. إنما تُوعدون لَوَاقع.

فإذا النجوم طُمست. وإذا السماء فُرِجت. وإذا الجبال نُسِفت. وإذا الرسلُ أُقِّتَتْ.

لأىِّ يوم أُجِّلت. ليومِ الفصلِ. وما أدراكَ ما يومُ الفصل.

– ويل يومئذ للمكذبين –

ألم نخلقكم من ماء مَّهِين. فجعلناه فى قرار مَّكِين. إلى قدر معلوم فقدَرْنَا فنعم القادرون. ويل يومئذ للمكذبين﴾

ألم نجعل الأَرضَ كِفَاتا - أحياءً وّأمواتا - وجعلنَا فيها رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُراتا. - ويل يومئذ للمكذبين -

ولعلنا ندرك إذا أنعمنا النظر فى اللازمة أنها - مع تحقيقها للإطار العام لموسيقى السورة - تطلعنا على ما فى كنفها من معنى يختلف عما قبله فى جوهره، ولكنه يتصل به لكونه دليلا عليه، أو مؤديا إليه. فكأنها فاصلة وواصلة فى آن معاً.

"ونلحظ أن السورة تحتوى على عشرة مقاطع:
يقوم الأول منها على فكرة البعث والجزاء مؤكدا حدوثهما حين يأتى الموعد المضروب لهما فى علم الله تعالى؛ ويبين معالمه المشهورة الماثلة فى محق النجوم وانشقاق السماء، عندئذ تقوم الساعة ويجمع الرسل للفصل فى الحساب بين الـمُحِقِّ والمبطل.

وتقوم الثلاثة التالية - وهى بمثابة الدليل على ما سبق - بعرض مظاهر قدرة الله، فيتحدث **الأول** عن إهلاك السابقين ومن يجرى على نهجهم من الآخرين، ويتحدث **الثانى** عن مصدر خلق المخاطبين - ومن على شاكلتهم فى الخلق - ومستقره إلى لحظة الميلاد، والثالث عن خلق الأرض متنوعة المظهر ما بين جبال ووهاد وقفار، وغمار.

ثم تتلوها مقاطع ستة تنقل المخاطبين - فى كل جيل - إلى مشاهد ما بعد البعث، إذ يدعى المعاندون إلى الانطلاق فى هوان إلى ما كذبوا به ويشاهدون فى الثانى فى موقف الذل حيث لا نطق ولا اعتذار، ويخاطبون فى **الثالث** خطاب تهكم يدعوهم أن يحتالوا ما وسعتهم الحيلة للتخلص مما هم فيه، وفى **الرابع** صورة لنعيم المؤمنين، وفى **الخامس** دعوة للمخاطبين المعاندين إلى التمتع ما استطاعوا فإنه فى عين الحقيقة قليل، وفى السادس تصريح بما تلمح إليه المقاطع السابقة من الإعراض عند الدعوة إلى الطاعة، ثم تختم السورة بهذا السؤال الذى يدل على افتقاد الفكر الصحيح ﴿**فبأىِّ حديثٍ بعدَه يؤمنون**﴾؟.

وهكذا تضع اللازمة لحنا عاما تتحرك فى إطاره نغمات المقاطع لتتآزر والإطار العام لتحدث نشوه عارمة يحلق معها المتذوقون فى أفق صاف لا يتاح مثله فى كلام البشر كما أنها تقيم علائق واشجة بين مختلف المعانى المتواصلة على نحو مّا من الفواصل"(١)

يقول الاستاذ عمر السلامى معلقا على تكرار اللازمة ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ "هذا الإيقاع الذى اختتم بقوله تعالى: ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ يأخذ نغمة أخرى فى قوله تعالى: ﴿**إن المتقين فى ظِلَالٍ وَّعُيُون وفَواكِهَ مما يشتهون. كُلوا وآشرَبُوا هَنيئا بما كنتم تعملون. إنا كذلك نجزى المحسنين. ويل يومئذ للمكذبين**﴾ إنه إيقاع هادىء رزين، ذو نغمة رحمة وابتهاج نفسى؛ لكى ينتهى بقوله تعالى: ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ ذى الإيقاع الحاد المهول، إن صلته بالسياق تدع الإيقاع يجمع نغمة ذات لونين: الرحمة والويل؛ أى الانقباض النفسى والانشراح النفسى"(٢)

فقد تكررت هنا آية تحمل الويل والهلاك للمكذبين وتتوعدهم فى ثنايا هذه السورة عشر مرات، وجاءت كذلك فى أعقاب وعد ا الله للمتقين بالجنة ذات الظلال والعيون والفواكه، فكان المستمع بين إيقاعين من هذا التقابل الذى جمع الرحمة والويل، فانشرحت النفس مرة وانقبضت مرة أخرى.

وكثيرا ما يعتمد القرآن أسلوب التقابل فى عرض مشاهد القيامة والنعيم والعذاب للتقرير والإيضاح، ففى سورة المرسلات كان الإيضاح أكثر عمقا والمعنى أكثر إدراكا لتعاقب إيقاعين مختلفين على نفس وسمع المخاطب، الفرق بينهما تدركه النفس كإدراكها لإيقاع مقطوعتين من الموسيقى

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية١٤١٢هـ مقال بعنوان: "حول موسيقى النثر" للدكتور عبدالموجود بهنسى.

(٢) الإعجاز الفنى فى القرآن ص ٢٣٧

إحداهما ذات إيقاع سار والأخرى تحمل فى أنغماها الكآبة أو الفزع والتخويف.

وللدكتورة عائشة عبدالرحمن لفتتات طيبة تشير إلى قوة الإيقاع فى بعض السور، وأثره فى الأداء البيانى للسورة .. ففى بدء تفسيرها لسورة الزلزلة تقول: "ومن الملاحظ البيانية العامة فى هذه السور: [الذاريات، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الغاشية، القارعة، التكاثر، العاديات، الفجر، النازعات، النبأ، المرسلات، القيامة، المعارج، الحاقة، الواقعة...] أن آياتها قصار، وهذا القصر ملحوظ فيه القوة والحزم، بما يلقى فى نفس السامع من جدية الموقف الحاسم وخطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأنى...

وفى هذه السور ميزة أخرى وهى التكرار، والتكرار مألوف فى مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتى فى مواقف الإيجاز الحاسمة؛ يكون لافتا ومثيرا....

ففى سورة الزلزلة – على إيجازها وقصر آياتها – نجد التكرار فى ثمانية مواضع، وهذه ظاهرة أسلوبية فى القرآن الكريم، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر؛ ترسيخا وتقريرا وإقناعا.

والدراسة النفسية قد انتهت بعد طول التجارب إلى أن مثل هذا الأسلوب هو أقوى أساليب الترسيخ والإقناع، وأشدها إيحاء بالحسم والجد.
فالألفاظ المختارة ليوم القيامة بالغة الإثارة، قوية الوقع، إما بعنفها كالزلزلة، والرج، والدك، والنسف، والرجف، والمور، والصيحة، والانشقاق، والطامة، والغاشية، والواقعة، والبعثرة، والانتشار... وإما بدقتها كمثقال الذرة، والهباء المنبث، والعهن المنفوش".(١)

---

(١) التفسير البيانى ١/٨١، ٨٢

ولعل من أهم ما يميز الفاصلة القرآنية ويوفر لها الانسجام والإيقاع الموسيقى وجود التماثل، أو التقارب بينها وبين غيرها من الفواصل الأخرى، أو انتهاؤها بحرف النون أو الميم – غالبا – مردوفا بحرف من حروف المد أو اللين مما يكون له أثره فى إبراز الإيقاع وجمال الرنه.

وهذا الإيقاع الموسيقى الذى لمسناه فى نظم القرآن وفواصله يتحقق بمراعاة التوافق بين المقاطع والمشاكلة بين الفواصل وقد تمثل هذا فى التناسب القائم بين الأصوات المتجاورة والفواصل المتماثلة والمتقاربة مراعاة للمناسبة الصوتية وهذا ما نصطلح عليه **بالتوافق الصوتى** وهو موضوع حديثنا فى المبحث التالى.

الفصل الرابع

الفاصلة والتوافق الصوتى

- التوافق الصوتى وضروبه.

(المقاطع الصوتية - التوازى - التوازن - التلازم - التكرار - الجناس - المشاكلة - التعديد - الإمالة - الوقف على الفواصل - دلالة الوقف على الفواصل - دور التجويد فى إبراز جمال الإيقاع القرآ

- التوافق الصوتى وقضية العدول عن الأصل.
- موقف العلماء من هذه القضية قديما وحديثا.

التوافق الصوتى

ويقصد به أن يكون ثمة تناسب بين الأصوات المتجاورة فى الكلمة، أو بين الكلمة والتى بعدها قصدا إلى التوافق الصوتى بينهما، "وأساس التوافق الصوتى: هو إيجاد الانسجام بين صوتين أو أكثر فى كلام واحد"(١)

والأسلوب القرآنى فى عموم أحواله يراعى هذه القواعد التى تحكم هذا النوع من التوافق، ولعل أشهر مظهر قرآنى للمناسبة الصوتية: "**الفاصلة القرآنية**"؛ لأن طبيعة الفاصلة أنهاإتيان بخواتيم الآيات طبقا لاختيار أسلوبى مقصود، بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين رأسى الآيتين، وأكبر دليل على أن ذلك أمر اختيارى أنك قلما تجد واحدة من طوال السور فى القرآن تلتزم فيها فاصلة من جرس واحد..

ولكون المناسبة الصوتية تعتمد على الانسجام لا على المطابقة التامة؛ وجدنا الفاصلة القرآنية تتحقق بالصوتين المنسجمين، ولا يتحتم فيهما أن يكونا متطابقين، ومن هنا نجد الياء فى "**المخبتين**" تنسجم مع الواو فى "**ينفقون**" (الحج ٣٤، ٣٥) والياء فى "**قدير**" و"**عزيز**" تنسجم مع الواو فى "**الأمور**" ،و"**ثمود**"، و"**لوط**" (الحج ٣٩، ٤٣). بقطع النظر عن الصوت الواقع فى نهاية كل كلمة من هذه الكلمات(٢)

يفهم من ذلك: أنه من أجل الحفاظ على الكيف فى الفاصلة أمكن المبادلة بين الواو والياء لقيام ذلك على أساس من اتفاق مذاقهما، ومغزى ذلك أن المناسبة الصوتية، أو التوافق الصوتى هو المبدأ الذى تقوم عليه الفاصلة القرآنية.

وهذا يجرنا لدراسة المقاطع الصوتية فى الفاصلة القرآنية.

---

(١) التعبير الموسيقى ص ٢٦

(٢) البيان فى روائع القرآن ص ٣٠٢ (بتصرف)

المقاطع الصوتية:

لعل من أهم ما يساعدنا على فهم التوافق الصوتى فى فواصل القرآن دراسة المقاطع الصوتية، وأساس المقاطع الصوتية عند علماء الأصوات أنهم لاحظوا أن بعض الأصوات اللغوية أوضح فى السمع من البعض الآخر، وظهر لهم جليا أن وضح الأصوات تلك التى تسمى بالحركات: القصيرة منها كالفتحة، والكسرة، والضمة، والطويلة منها كألف المد، وياء المد، وواو المد..

والمقطع الصوتى هو عبارة عن كمية من الأصوات يمكن الابتداء بها، والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففى اللغة العربية مثلا لا يجوز الابتداء بحركة، وعلى ذلك فكل مقطع فيها يبدأ بصوت صامت...(١)

ويقول كانتينو: "إن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملا أم جزئيا، هى التى تمثل المقطع"(٢) وفيما يلى صور المقاطع الاستعمالية الصوتية للغة العربية:

المقطع الأول	ويسمى	المقطع القصير	ورمزه	(ص.ح)
المقطع الثانى	ويسمى	متوسط مقفل	ورمزه	(ص.ح.ص)
المقطع الثالث	ويسمى	متوسط مفتوح	ورمزه	(ص.م)
المقطع الرابع	ويسمى	طويل المد	ورمزه	(ص.م.ص)
المقطع الخامس	ويسمى	طويل التسكين	ورمزه	(ص.ح.ص.ص)
المقطع السادس	ويسمى	مقطع الوقف	ورمزه	(ص.م.ص.ص)(٣)

ملاحظات على هذه المقاطع فى علاقتها بالفواصل القرآنية:

---

(١) فصول فى فقه العربية ص ١٧٠

(٢) دروس فى علم الأصوات العربية ١٩١ جان كانتينون – ترجمة صالح الفرماوى تونس ١٩٦٦.

(٣) انظر البيان فى روائع القرآن ص ٢٦٠، ٢٦١. ونقصد بالرمز "ص" الصائت، وبالرمز "ح" الحركة، وبالرمز"م" المد.

المقطع الأول (ص.ح) لا وجود له كنهاية لأية فاصلة قرآنية، حيث لا يوقف على متحرك؛ لأن الأصل فى التلاوة الوقف على الفاصلة، وعند الوقف تنعدم الحركة ويكون السكون.

المقطع الرابع (ص.م.ص): أكثر المقاطع شيوعا فى الفواصل القرآنية، حيث انتهت به حوالى ٧٣٪ من جملة الفواصل.

المقطع السادس (ص.م.ص.ص) يوجد منه فى القرآن كله ثلاث فواصل تمثلها كلمة واحدة فى سورة الرحمن هى كلمة (جانّ)، حيث تكررت ثلاث مرات فى الآيات (٣٩، ٥٦، ٧٤) من السورة فقد تبنى فواصل السورة كلها على حرف واحد، كسورة "القمر" بنيت فواصلها كلها على حرف "الراء"، وكذلك سورة "القدر" ، وسورة "العصر" ، وسورة "الكوثر" بنيت فواصلها على حرف "الراء" ، وسورة الكهف بنيت فواصلها على حرف "الألف" وكذلك سورة "الإسراء" عدا الآية الأولى فاصلتها "راء" وكذلك سورة "الفتح" بالألف، وسور [الطلاق، والجن، والإنسان، والأعلى، والمزمل عدا الآية الأولى فاصلتها "لام"، والآية الأخيرة فاصلتها "ميم"]، وسورتى "الشمس" و"الليل" أيضا بالألف، وسورة "الأحزاب" على الألف عدا الآية الرابعة فاصلتها "لام" .. وسورة "المنافقون" فواصلها على النون، وكذلك سورة "الكافرون" ، وسورة "الناس" بنيت فواصلها على حرف "السين" ...

وبالتأمل فى بناء المقاطع فى فواصل سورتى "القدر" و"العصر" على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من الف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هى حتى مطلع الفجر**﴾ (سورة القدر)

وقال تعالى: ﴿**والعصر. إن الإنسان لفى خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ (سورة العصر)

نجد أن الفواصل بنيت على المقطع الخامس (ص.ح.ص.ص)، وسورة "المنافقون" بنيت فواصلها كلها على حرف "النون" ، وإليك بعض آيات منها، قوله تعالى:

﴿إذَا جاءك المنافِقون قالوا نشهدُ إنك لَرسولُ الله والله يعلمُ إنكَ لرسولُه والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. اتخذوا أيمانَهم جُنَّةً فَصَدُّوا عن سبيل الله إنهم سَاءَ ما كانوا يعملون. ذلك بأَنهم آمنوا ثُمَّ كفرُوا فَطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يفقهون. وإذا رأيتهم تُعْجِبُكَ أجسامُهُم وإنْ يقَولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِم كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يحَسَبُون كلَّ صيحةٍ عليهم هُمُ العَدُوُّ فاْحْذَرْهُمْ قاتلهمُ اللهُ أنىَّ يُؤْفَكُون. وإذا قِيلَ لَهُمْ تعَالَوْا يستغفرْ لكم رسولُ الله لَوَّوْا رءوسَهم ورأيتَهم يَصُدُّونَ وهم مستكبرون. سواءٌ عليهم أستغفرتَ لهم أم لم تستغفرْ لهم لن يغفرَ الله لهم إنَّ الله لا يهدِى القومَ الفاسقين﴾ (الآيات ١ - ٦)

وبالنظر إلى بناء مقاطع فواصلها نجدها بنيت على المقطع (ص.م.ص) وهو المقطع الرابع، ولا شك أن تكرار المقطع فى فواصل السورة كلها يحدث نوعا من التوافق الصوتى الذى يبرز عند الفاصلة...

ومن السور التى بنيت فواصلها على حرف واحد، واتحدت مقاطع فواصلها سورة "الكهف" ؛ ولك أن تقرأ هذه الآيات، قال تعالى: ﴿الحمد لله الذى أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ ولم يجعلْ لَه عِوَجًا. قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بأسا شديدا مِن لَدُنْه ويبشرَ المؤمنين الذين يعملونَ الصالحاتِ أنّ لهم أجرًا حَسَنا. ماكِثِين فيه أَبدًا. ويُنذِرَ الذينَ قالوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا. مَا لَهم بِه من عِلْمٍ وَلا لِآبائِهم كَبُرَتْ كَلِمةً تَخرجُ من أفواهِهِم إنْ يَقولونَ إلّا كَذِبًا. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَك عَلى آثارِهِم إنْ لم يُؤمِنُوا بهذا الحديثِ أَسَفا. إنا جَعَلْنَا ما عَلى الأرضِ زينةً لَّهَا لِنَبْلُوَهم أَيُّهُم أحسنُ عَمَلًا﴾ (الآيات ١ - ٧)

وقوله تعالى: ﴿قال ما مَكَّنِى فيه ربى خيرٌ فَأَعِينُونِى بقُوةٍ أَجْعَلْ بينكم وبينهم رَدْمًا. آتونى زُبَرَ الحديدِ حتى إذَا سَاوَى بين الصَّدَفَيْنِ قال انْفُخُوا حتى إذا جَعَلَه نارًا قال آتونى أُفْرِغْ عليه قِطْرًا. فَما اسْطَاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ

وما اسْتَطَاعوا له نَقْباً. قال هذا رحمةٌ مِن رَبّى فإذا جاءَ وعدُ ربى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وكانَ وعدُ ربى حَقّاً﴾ (الآيات ٩٥ - ٩٨) إلى آخر السورة على هذا النمط (**جا - نا - دا - با - فا - لا - ما - را - با - قا**) عبارة عن (ص. م) وهذا هو المقطع الثالث كما عرفنا، وهو يتميز بانتهائه بحرف الألف الممدودة المفتوح ما قبلها، وهذا التجانس، والتوافق، والتزام الحركة الواحدة كالفتح مع اختلاف الحروف التى بنيت عليها الفواصل (حروف الروى) أمر ذو بال فى موسيقى التقفية، فحركة الفتح فى الفواصل ذات قدرة إيقاعية على تغطية اختلاف حروف الروى فى المخارج والصفات....

وقد تتكرر فى كلمة الفاصلة فيضاعف التكرير قيمتها بما لا يخفى جماله وأسر إيقاعه، نلحظ هذا فى فواصل سورة "الشمس" قال تعالى: **﴿والشمسِ وضُحَاها. والقمرِ إذا تلاها. والنَّهارِ إذا جَلَّاها. والليلِ إذا يغشاها. والسماءِ وما بَنَاها. والأرضِ وما طَحَاها. ونفسٍ وَمَا سَوَّاها. فألهمها فُجُورَها وتقواها. قد أفلحَ من زكَّاها. وقد خابَ مَن دَسَّاها كذَّبت ثمودُ بطغواها. إذ انبعثَ أشقاها. فقال لهم رسولُ اللهِ ناقةَ اللهِ وسُقْياها. فكذَّبُوه فعقرُوها فَدَمْدَمَ عليهم ربُّهم بِذَنْبِهم فسوَّاها. ولا يخافُ عُقْبَاهَا﴾**

ومما يجدر بنا أن ننبه إليهونحن بصدد الحديث عن المقاطع الصوتية فى الفواصل القرآنية أن القرآن الكريم يستخدم المقاطع الصوتية استخداما فنيا يتناسب والجو النفسى الذى يتولد من السياق، ومن شواهد ذلك ما نحسه ونسمعه ونحن نرتل هذه الآية: **﴿ألم تَرَ أنَّا أرْسَلْنَا الشياطينَ على الكافِرين تَؤُزُّهُم أزّاً﴾** (مريم ٨٣).

أَ - لَمْ - تَ - رَ - أنْ - نا - أرْ - سلْ - نشْ - شَ - يا - طِي - نَ -عَ - لَلْ - كَا - فِ - رِ - ى - نَ - تَ - ؤُزْ - زُ - هُمْ - أزْ - زَا

يكاد هذا التقطيع يبرز لنا ما تفعله الشياطين بالكافرين من هز وأز تنطق به المقاطع المقفلة المتتالية (**أرْ - سَلْ - نَشْ**)، (**ؤُزْ - هُمْ - أزْ**).

كأنها هزات أو ضربات شديدة متتالية بعنف وقوة وتشترك المقـاطع الأخـرى المفتوحة بين القصيرة والطويلة وزائدة الطول فى تصوير المعنـى تصويـرا دقيقـا وكأنك ترى وتسمع هذه الهزات والضربات وتحس فعلها بالكافرين مـن قلـق وانزعاج.

يقول الرافعى: "والهمزة –فى تؤزهم أزا – أخت الهاء من حيث المخرج ولكن الهمزة أقوى من الهاء فى إيضاح المعنى المقصود، فعندمـا تقـرأ "تؤزهـم أزًّا" تحس حركة قوية لها أثر عظيم القرع فى النفوس من "الهـزّ" لأنك قد تهز ما لا حراك له كالجذع ونحوه فيبقـى الـهـزّ المقرون بالإزعـاج خاصـا بـذى الحياة لأنه متعلق بالشعور وذلك ما أفادته الهمزة فى قولـه" تؤزهـم أزا"(١) ، هذا فضلا عما نسمعه من صوت الأزيز النابع مـن الـزاى المشـددة وتكرارهـا فى لفظ الفاصلة مما يوحى بمدى الانزعاج النفسى الذى يصيب الكافرين مـن الشياطين المرسلة عليهم، وفى التعبـير بحـرف الجـر "علـى" الـذى يفيـد معنـى الاستعلاء والفوقية بما يدل على تمكن الشياطين منهم وإيقاع الضر بهم.

"وها هو ذا القرآن يعبر بالمقاطع المقفلة أصدق تعبير عن معنـى العقـاب الصارم الذى ينزل بالظالمين الكـافرين الجـاحدين نعمـة الله وفضلـه فـى قولـه تعالى: **﴿فصبّ عليهم ربـك سـوطَ عـذاب﴾** (صَ بْ) – (لَ ىْ) – (هـِ مْ) – (رَ بْ) – (سَ وْ) ويكاد هذا التقطيع يبرز لنـا كيـف ينصـب عليهـم العذاب انصبابـا فـى شـدة وعنـف وتـوال، وتكـرار. (لاحـظ اتفـاق المقـاطع السابقة اتفاقا تاما فى نوع المقطع وتكراره)"(١)

وأحيانا يستعمل القرآن "المقاطع المفتوحـة فـى لـون مـن التعبـير الهـادى المريح الذى تطرب له النفس وتترنم به كما فى قوله تعـالى : **﴿وجـوهٌ يومئـذٍ ناعمةٌ. لِسَعْيِهَا راضية. فى جنـةٍ عاليـة. لا تَسْـمَعُ فيهـا لَاغِيـةً. فيهـا عَـيْنٌ**

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢٢٣/١

(١) **لغة القرآن الكريم فى جزء عم ص ٣٦٠، ٣٦١**

جارية. فيها سُرُرٌ مرفوعة. وأكوابٌ مَّوْضُوعَة. ونَمارِقُ مَصْفُوفة. وزَرَابِيُّ مبثوثة﴾ (الغاشية ٨ - ١٦) هذه المقاطع المفتوحة التى تنتهى بصوائت طويلة تعبر عن هذا النعيم الهادى الذى تتعدد فيه وسائل المتعة والراحة، والتى نجحت هذه "المدات" فى تصويرها إلى حد كبير: **"جو - نا - ها - را - عا - لا - ها - لا - ها - جا - فو - وا - ضو - ما - فو - را - ثو"**(٢)

ولا شك أن لهذه المدود وظيفة موسيقية فنية فهى تفسح المجال لتنوع النغم الموسيقى وإعطاء النظم من تجاوب الجرس ما لا يعطيه توالى الحروف والحركات.

يقول تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جعلناهُ نُطْفَةً فى قرارٍ مَّكِين. ثُم خلقنا النطفةَ علقةً فَخَلَقْنا العلقةَ مُضْغَةً فخلقنا المضغةَ عِظامًا فكَسَوْنا العِظَامَ لحَمًا ثُم أنشأناهُ خَلْقًا آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين﴾** (المؤمنون ١٢ - ١٤).

عندما ننصت إلى هذه الآيات مرتلة نحس بأسماعنا أصوات القلقلة النابعة من توالى حرفى (القاف والطاء) فى أكثر من موضع ثم الغنة فى مواضعها (سلالةٍ مِن) (قرارٍ مَّكين) (ثمَّ خلقنا النُّطفة) (ثمَّ أنشأناه) وتأمل أيضا التكرار والتجانس اللفظى فى (خلقنا - فخلقنا - خلقا - الخالقين)، وعندما نتأمل مواقع المدود المختلفة على ابعاد فى الكلام متجاوبة الجرس نحس وندرك ما لها من قيمة إيقاعية مشتهاة للقلب والسمع.

ولعلك تلحظ انسجام فواصل الآيات مع باقى فواصل السورة حيث بنيت فواصلها كلها على حرفى الميم والنون المردوفتين بمد الياء أو الواو مما يجعل بناء الفواصل فى السورة كلها على مقطع واحد تحس نغمته الموسيقية عند الوقف على رءوس الآى ... وما أجمل الفاصلة **﴿مكين﴾** فى موضعها مبنى ومعنى "فقد ثبت أن الرحم مجهز فى تكوينه فى خصائصه بما يمكن أشد التمكين للجرثومة التى يكون منها اللقاح؛ ففيه مخابىء لها عجيبة خلقت

---

(٢) السابق ص ٣٦٠

لذلك خلقا، ثم مواد منفرزة لوقايتها وحفظ الحياة عليها والدفاع عنها أن تقتلها المواد الحامضة وذلك كله تجده فى تشريح كلمة مكين"(١)

ثم لدينا الفاصلة ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ التى تعد تذييلا رائعا استدعاها المعنى لتدل على أن كل علم قد وضع فى الآية كلمته الصادقة فلابد بعدها أن يلهج اللسان بهذا الختام المتمكن فى موضعه ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾

وقد تضم السورة الواحدة فواصل على مقاطع متنوعة وذلك مثل سورة **العاديات** قال تعالى:

﴿والعادياتِ ضَبْحا.
فالمورياتِ قَدْحا.
فالمغيراتِ صُبْحًا.
فأثرنَ به نَقْعا.
فَوَسَطْنَ بِه جمعا.
إن الإنسان لربه لكنود.
وإنه على ذلك لشهيد.
وإنه لحب الخير لشديد.
أفلا يعلمُ إذا بُعْثِرَ ما فى القبور.
وحُصِّلَ ما فى الصدور.
إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾

فقد جاءت فواصل الآيات الخمسة الأولى على المقطع الثالث (ص.م) وفواصل الآيات الباقية من السورة (٦ – ١١) على المقطع الرابع (ص.م.ص).

يقول الأستاذ عمر السلامى: "إن ما تحدثه هذه الكلمات "**ضبحا، قدحا، صبحا، نقعا، جمعا**" التى تنتهى بها الآيات من إيقاع بهذا النفس مصدره بناء

---

(١) تاريخ آداب العرب ١٣٦/٢ هامش (١).

حروف هذه الكلمات، والدقة فى مخارجها والضغط المختلف الذى يحدثه الحرفان الأولان منها: "ضَبْ، قَدْ، صَبْ، نَقْ، جَمْ" وهى من المقاطع المقفلة التى يزداد عندها النبر، فـ "ضب" تنتهى بضغط قوى على الشفتين، و"قد" تنتهى بضغط قوى داخل الفم ولاسيما فى الحنك الأعلى، و"صب" تلتقى مع الأولى أيضا ثم مع الثانية مع إضافة ضغط على الحنجرة، و"جم" تلتقى مع الأولى أيضا، ثم يتم الإيقاع كاملا عند النطق بالكلمات كلها،فنلاحظ أن اللسان يضغط عليه، ويبقى على حاله إلى أن تنطق الحنجرة فى جرس الحاء، والعين، دون أن يشاركها فى ذلك اللسان وهى بذلك ما يشبه البح فى الحنجرة.

إن الحركة تحدث داخل الفم، تناولها النطق مرتبة منتظمة، وذلك لعمرى هى وحدة التناسق فى هذا الإيقاع. لذلك يشبه هذا الإيقاع شدة مطرقة الحداد، وهو يرفعها إلى علو، وينزلها إلى أسفل ويصوبها نحو قطعة من الحديد، وهذا يوحى بالصورة العامة التى خاضها العرب بخيولهم ببأس وشجاعة وصلابة فى العقيدة، ولقداسة هذه المعارك أقسم الخالق بها تعظيما لشأنها."(١)

ويقول الأستاذ محمد المبارك "يشعر المرتل لهذه الآيات أن لها طابعا موسيقيا واضحا وإذا قرأها قراءة فنية – وذلك هو الترتيل – لاحظ انقسامها إلى عدة نغمات متناسبة مع أقسام النص من الوجهة الفكرية والنحوية.

فالقسم الأول: يتألف من خمس فقرات موسيقية ذات نغمة واحدة، تقل فيها المدود، وكل فقرة منا تتألف من كلمتين: **أولاهما** تحتوى بعض المدود الطويلة، **وثانيتهما** وهى فاصلة الآية كلمة ثلاثية لا مد إلا فى آخرها (**ضبحا – قدحا – صبحا – نقعا – جمعا**) وهذه الفقرات بقلة مدودها وتوالى

---

(١) **الإعجاز الفنى فى القرآن ص ٢٥٩، ٢٦٠**

حروفها المتحركة تمثل حركة الخيل فى عددها ووقع حوافرها ثم ارتفاعها"(١)

كما لاحظ المبارك طول النفس وزيادة المدود فى القسم الثانى واختلاف الفاصلة، مما يلائم التأمل الطويل"(٢)،

ومع مزيد من التأمل نلحظ مشهد الغارة وما يصحبها من عنف مفاجيء ومباغتة فى الصبح، وبعثرة القوم وسط عاصفة من النقع المثار - يبرز بمفرداته إيقاعا أشبه بوقع حوافر الخيل الضابحة، ولعل تغير الفاصلة ثلاث مرات يشعرك بالأصوات المتخلفة عن حركة مشهدى غارة الخيل والبعث. "فكأن السورة مشوار واحد، لاهث، صاخب، ثائر حتى تنتهى إلى هذا القرار معنى ولفظا وإيقاعا على طريقة القرآن"(٣)

ومثل هذه السورة سورة الصافات فقد جاءت فواصل الآيات الثلاثة الأولى على صورة المقطع الثالث (ص.م)، وفواصل الآيات (٤ - ١١) على المقطع الثانى (ص.ح.ص)، وفواصل الآيات الباقية من السورة (١٢ - ١٨٢) على صورة المقطع الرابع (ص.م.ص) على مدى مائة وسبعين آية.

إن"**التشابه المقطعى**" سمة بارزة فى فواصل القرآن الكريم: "فالفواصل التى لا تتفق فى الوزن تتفق فى أكثر المقاطع، وربما يقع الخلاف بينها فى مقطع واحد غالبا لتحقيق التنوع النغمى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**إنهم كانوا لا يَرْجُون حِسَابا. وكذَّبُوا بآياتنا كِذَّابا**﴾ فالقرينتان تنتهيان بلفظين مشتركين فى الروى دون الوزن كما يلاحظ البلاغيون، ولكننا نزيد عليهم أن التعبير القرآنى يحقق فى هذا النوع لونا من التناسب أو التشابه، فاللفظة الأخيرة من القرينة الأولى تتكون من مقطع قصير (صامت + صائت قصير) هو (حِـ)

(١) دراسة أدبية لنصوص من القرآن ص ١٨

(٢) السابق ١٨ - ١٩

(٣) فى ظلال القرآن ٣٩٥٩/٦

ومقطع طويل (صامت + صائت طويل) هو (سَا)، ثم مقطع طويل آخر (صامت + صائت طويل) هو (با).

واللفظة الأخيرة من القرينة الثانية تشترك مع اللفظة الأولى فى المقطعين الأخيرين، فكلا المقطعين الأخيرين فى الثانية طويل يتكون من (صامت + صائت طويل) وهما (ذَا) ، (با)، وتختلف اللفظتان (حسابا) و(كِذّابا) فى المقطع الأول فقط فهو في الثانية (طويل) ويتكون من (صامت + صائت قصير + صامت) (كِ - ذْ)، وفى الأولى قصير (حِ). أى أن الزيادة طفيفة. وهى تقع فى زيادة صوت صامت فى اللفظة الثانية بعد الصائت القصير. ولعل هذا يفسر عدول القرآن الكريم عن استخدام المصدر الشائع للفعل "كذّب" وهو (تكذيب) واستخدام (كِذّابا) بدلا منه(١) .

وقد يحدث العكس فتكون الزيادة فى اللفظة الأخيرة من القرينة الأولى كما فى قوله تعالى: ﴿إلا حَمِيمًا وَغَسَّاقا. جزاءً وِفَاقا﴾ فاللفظة الأخيرة من القرينة الأولى تتكون من ثلاثة مقاطع طويلة والثانية تتكون من مقطع قصير ومقطعين طويلين.

ومن الإعجاز فى التعبير القرآنى أن تختلف الكلمة الأخيرة من كلتا القرينتين فى الوزن، ولكنهما تتفقان اتفاقا تاما فى المقاطع ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿إذا زُلزلتِ الأرضُ زِلْزَالَهَا. وأخرجتِ الأرضُ أثقالها﴾ (الزلزلة ١ – ٢) فالكلمتان الأخيرتان فى القرينتين الأولى والثانية تتألف كل منهما من أربعة مقاطع:

طويل مقفل + طويل مفتوح + قصير + طويل مفتوح

(زِلْ - زَا - لَ - هَا) (أَث - قَا - لَ - هَا)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إنه هُوَ يُبْدِىءُ ويُعِيدُ. وهو الغفورُ الوَدُودُ﴾ (سورة البروج)

---

(١) لغة القرآن الكريم فى جزء عم ص ٣٧١، ٣٧٢

وقليلا ما تزيد إحدى الفاصلتين في القرينتين مقطعا كاملا عن الأخرى وذلك متحقق في نحو قوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يومئذٍ مُّسْفِرة. ضاحكةٌ مُّسْتبشِرة﴾ (سورة عبس ٣٨/ ٣٩)

(مُ سْ - فِ - رَةْ) (مُ سْ - تَبْ - شِ - رَهْ)

فقد زادت الكلمة الثانية مقطعا طويلا كاملا هو (تَ بْ)

ولا يخفى أن لهذه الزيادة مغزاها وهي تصوير الاستبشار (الزائد) الذي يصيب وجوه المؤمنين"(١) وهذا يتفق مع قول العلماء زيادة المبنى زيادة في المعنى

تمتاز الفواصل في القرآن الكريم بنوع من الحرية، فأحيانا لا تتقيد بوزن ولا روى، لكن البيان القرآني عالج ذلك من خلال اتفاق المقاطع وتطابقها تطابقا تاما في كثير من الأحيان أو تناسبها أو تشابهها في أحايين أخرى.

فمن الفواصل التي اتفقت مقاطعها وتطابقت تطابقا تاما؛ قوله تعالى:

﴿قل كُونوا حِجارةً أو حديدا. أو خَلْقا مما يَكْبُرُ في صُدُورِكم ج فسيقولونَ مَن يُّعِيدُنَا قلِّ الذِى فَطَرَكُمْ أوَّلَ مرة ج فَسَيُنْغِضُونَ إليك رءوسَهم ويقولونَ متى هُوَ قُلْ عَسَى أن يكونَ قَرِيبا. يومَ يدعُوكم فَتسْتجِيبُون بحمدِه وتَظُنُّونَ إن لَّبِثْتُمْ إلّا قَلِيلا. وقُل لِّعبادِى يقُولُوا الَّتِى هى أحسنُ ج إنَّ الشيطانَ يَنْزَغُ بينهم إن الشيطان كان للإنسانِ عَدُوًّا مُّبِينا. ربكم أعلمُ بكم إن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أوْ إن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ج ومَا أرْسلنَاك عليهم وَكِيلا﴾(الإسراء٥٠-٥٤)

فكل لفظة أخيرة (الفاصلة) في القرائن السابقة تتطابق مقاطعها تطابقا كاملا على النحو التالي:

حديدا	(حَ - دي - دا)	(قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح)
قريبا	(قَ - ري - با)	(قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح)
قليلا	(قَ - لي - لا)	(قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح)
مبينا	(مُ - بي - نا)	(قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح)

---

(١) لغة القرآن الكريم في جزء عم ص ٣٧١ - ٣٧٤.

وكيلا (وَ - كِي - لا) (قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح)

"وهذا انضباط باهر فى (الكم) النغمى وزمن النطق بهذه الألفاظ. وهو يغنى فى كثير عن وحدة الوزن والروى.

ومن الفواصل التى تقاربت فيها المقاطع وتناسبت دون أن تتطابق تطابقا كاملا قوله تعالى:

﴿لنخرج به حبا ونباتا.
وجنات ألفافا.
إن يوم الفصل كان ميقاتا﴾ (النبأ ١٥ - ١٧)

نباتا (نَ - بَا - تا) (قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح)
ألفافا (الْ - فا - فا) (طويل مقفل + طويل مفتوح + طويل مفتوح)
ميقاتا (مِيـ - قا - تا) (طويل مفتوح + طويل مفتوح + طويل مفتوح)

نلحظ هنا فى مقاطع هذه الفواصل اختلافا طفيفا وربما عمد إليه القرآن تحقيقا للتنوع الموسيقى"(١)

وقد تأتى عدة فواصل على مقطع معين ثم تعدل الآيات عنه إلى غيره ثم تعود إليه ثم إلى غيره .... وهكذا

نجد ذلك التنوع فى المقاطع، وهذا العود نلحظه فى فواصل سورة الواقعة قال تعالى:

﴿إذَا وقعتِ الواقعةُ. ليسَ لِوَقعَتِها كَاذِبةٌ. خَافِضَةٌ رَّافِعَة.
إذَا رُجَّتِ الأرضُ رَجًّا. وبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا. فكانت هَباءً مُّنبثا.
وكنتم أزواجًا ثلاثة. فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنة. وأصحابُ المشئمةِ ما أصحابُ المشئمة.
والسابِقونَ السَّابقون. أولئك المقرَّبُون. فى جناتِ النَّعِيم. ثُلةٌ مِّنَ الأوَّلِين. وقليلٌ مِّنَ الآخِرين.

---

(١) لغة القرآن الكريم فى جزء عم ص ٣٧٤

على سرر موضونة. متكئين عليها متقابلين. يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق وكأس من معين. لا يصدعون عنها ولا ينزفون. وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون. وحور عين. كأمثال اللؤلؤ المكنون. جزاء بما كانوا يعملون.

لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما. إلا قيلا سلاما سلاما.

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود. وطلح منضود وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة. وفرش مرفوعة.

إنا أنشأناهن إنشاءا فجعلناهن أبكارا. عربا أترابا. لأصحاب اليمين. ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين﴾ (الواقعة ١ – ٤٠)

هذا مظهر من مظاهر التوافق الصوتى فى الفواصل القرآنية يشهد بدور المقاطع الصوتية فى المحافظة على الإيقاع فى الفواصل القرآنية.

ومن صور التوافق الصوتى أيضا التى توفر الإيقاع للفاصلة التوازى والتوازن والتلازم والتكرار..

التوازى:

التوازى بمفهومه البلاغى هو اتفاق أواخر القرائن فى الوزن والروى، وهو سمة واضحة فى الفواصل القرآنية، وبخاصة فى قصار السور، ومن أمثلته:

﴿**الذى خلقنى فهو يهدين. والذى هو يطعمنى ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين**﴾ (الشعراء ٧٨ – ٨٠)

﴿**والصافات صفا. فالزاجرات زجرا. فالتاليات ذكرا**﴾ (الصافات ١ – ٣)

﴿**إذا رجت الأرض رجا. وبست الجبال بسا**﴾ (الواقعة ٤، ٥)

﴿**فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**﴾ (الواقعة ٨،٩)

﴿**حدائق وأعنابا. وكواعب أترابا**﴾ (النبأ ٣٢، ٣٣)

﴿**يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة. قلوب يومئذ واجفة**﴾ (النازعات ٦ – ٨).

﴿**بأيدى سفرة. كرام بررة**﴾ (عبس ١٥، ١٦)

﴿**وتأكلون التراث أكلا لما. وتحبون المال حبا جما**﴾ (الفجر ١٩، ٢٠)

ومما وردت فيه الفواصل القرآنية متفقة الأواخر فى الوزن والروى، وزاد عليه لزوم ما لا يلزم، محدثة نوعا من الجناس الصوتى البديع:

﴿**فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس**﴾ (التكوير ١٥، ١٦)

﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق**﴾ (العلق ١، ٢)

﴿**فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر**﴾ (الضحى ٩، ١٠)

﴿**قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق**﴾ (الفلق ١، ٢).

ومن أمثلة التوازى كذلك توازى معظم القرائن فى البدايات نحو قوله عز وجل فى سورة القصص: ﴿**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون**﴾ (القصص ٧١، ٧٢).

ومن التوازى ما يرد فى آخر القرائن، على شكل **تعقيب، أو تذييل**، كقوله عز وجل فى سورة البقرة:

﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾

﴿.. ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ (البقرة ١٢، ١٣)

التوازى فى التعقيب ينطوى هنا على أكثر من جملة، وهو بهذا الحجم قليل، أما الحجم الأصغر فهو كثير جدا، يشيع فى قرائن السور الطوال، ففى سورة "آل عمران" نقع على النماذج التالية:

﴿.... **ولهم عذاب أليم**﴾ ثلاث مرات (الآيات ٧٧، ١٧٧، ١٨٨)

﴿... **ولهم عذاب عظيم**﴾ مرتان (الآيتان ١٠٥، ١٧٦)

﴿... **إن كنتم مؤمنين**﴾ ثلاث مرات (الآيات ٥٩، ١٣٩، ١٧٥)

﴿... **إن كنتم صادقين**﴾ ثلاث مرات (الآيات ٩٣، ٦٨، ١٨٣)

﴿... **وا لله بصير بالعباد**﴾ مرتان (الآيتان ١٥، ٢٠)

﴿... **وا لله يحب المحسنين**﴾ مرتان (الآيتان ١٣٤، ١٤٨)

﴿... **وا لله غفور رحيم**﴾ مرتان (الآيتان ٣١، ١٢٩)

ألوان أخرى من التوازى، كقوله تعالى:

﴿... **إن ا لله لا يخلف الميعاد**﴾ (آية ٩) ﴿... **إنك لا تخلف الميعاد**﴾ (آية ١٩٤)

و﴿... **لعبرة لأولى الأبصار**﴾ (آية ١٣) ﴿... **لآيات لأولى الألباب**﴾ (آية ١٩٠)

و﴿... **وا لله عنده حسن المآب**﴾ (آية ١٤) ﴿**وا لله عنده حسن الثواب**﴾ (آية ١٩٥).

وقد يكون التوازى فى بدايات القرائن وفى أواخرها كما فى قوله تعالى فى سورة الروم (الآيات ٢١ - ٢٤) وسيأتى هذا فى حديثنا عن "التلازم".

<u>دلالة التوازى:</u>

"التوازى بين تعقيب وآخر متلاحقين أو متباعدين، يفيد التوكيد كما يفيد التنبيه أو التصوير بالإيقاع.

نسق التوازى: قرينة فتعقيبا، قرينة فتعقيبا... يوحى بإيقاع ذى شطرين من خلال المعنى الأول والتعقيب عليه، وهو فى الظاهر يذكر بشطرى البيت فى الشعر العربى، لكنه فى الحقيقة أبعد غورا، لأنه تقسيم نابع من المعنى تابع له، وليس المعنى فيه تابعا للتقسيم"(١)

التوازن:

"توازن الفواصل فى مصطلح البلاغيين مقصود به اتفاق أعجاز القرائن فى الوزن دون الروى، وإذا كان اتفاق الوزن والروى فى بعض الفواصل يعطى هذا الثراء الموسيقى الذى أشرنا إليه، فإن الاحتفاظ بالوزن، والتخلى عن الروى فى بعض الأحيان يكون له من الحسن مثل سابقه، إذا حدثت المزاوجة بينهما، فاعتياد الأذن على نهاية صوتية واحدة لكل قرينة قد يفقدها عنصر المفاجأة التى توقظ النفس وتنبه الذهن، ولا نريد بذلك أن نثير مناقشة حول الروى فى الشعر وأهميته أو قيمته الفنية، ولكنا نقرر هنا أن النمط الأعلى للبيان المتمثل فى القرآن الكريم لم يلتزم رويا واحدا لكل فواصله، وإنما يلتزم به حين يكون التزامه أروع وأعجب، ويتخلى عنه حين يكون التخلى عنه ضرورة فنية لازمة لكسر الرتابة، وتحقيق التنوع النغمى"(٢)

وإنك لتجد البيان القرآنى يخرج من الفواصل المتوازية إلى المتوازنة أو المطرفة، ثم يعود إلى المتوازية، ويخلط بين أنغامها المتنوعة، وأصواتها المختلفة والمؤتلفة ليقدم لنا فى النهاية لحنا موسيقيا عذبا، تتضافر نغماته فى إبراز هذا اللون من الجمال الفنى.

ونريد الآن أن نعرض بعض الفواصل المتوازنة التى يتحقق فيها الوزن دون الروى، مع ملاحظة أن هذا اللون أقل شيوعا من اللون الأول، وقد

---

(١) الفاصلة فى القرآن ص ٢٤٦

(٢) لغة القرآن الكريم فى جزء عم ص ٣٧٠

نلحظ أن التعبير القرآنى يصحب ذلك فى بعض المواضع بتكرار أصوات سابقة أو استخدام أصوات متقاربة المخارج ... ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وآتيناهما الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم﴾ (الصافات ١١٧، ١١٨)

﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير. أم هل تستوى الظلمات والنور﴾ (الرعد١٦)

﴿أنّا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا﴾ (عبس ٢٥، ٢٦).

﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا. وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (الفجر ٢١، ٢٢)

﴿فى صحف مكرمة. مرفوعة مطهرة﴾ (عبس ١٣، ١٤)

﴿ونمارق مصفوفة. وزرابى مبثوثة﴾ (الغاشية ١٥، ١٦)

﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (القارعة ٤،٥)

﴿يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا. وفتحت السماء فكانت أبوابا﴾ (النبأ ١٨، ١٩)

التلازم:

"يمكن أن نلتمس هذا المصطلح فى النوع الأول من أنواع التطريز(١) الثلاثة التى استنبطها البلاغيون المتأخرون(٢) من القرآن الكريم، وهو فى تعريفهم: "ماله علمان: علم من أوله وعلم من آخره" كقوله تعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة.

---

(١) التطرير هو أن تأتى قبل القافية بسجعات متناسبة فيبقى فى الأبيات أواخر الكلام كالطراز فى الثوب. (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ٢٣٧)

(٢) مثل ابن قيم الجوزية. النوع الثانى من التطرير "ماله علم من أوله" والنوع الثالث "ما له علم من آخره" (المرجع السابق).

إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون
ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم
إن فى ذلك لآيات للعالمين
ومن آياته منامكم بالليل والنهار، وابتغاؤكم من فضله
إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون.
ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها.
إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الروم: ٢١ - ٢٣)

فالعلم الأول : ﴿ومن آياته﴾ يطرد فى بدايات القرائن، كاطراد العلم الثانى: ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ فى أواخرها.

وفى ذلك ما فيه من توحيد الإيقاع الموسيقى فى الوحدات (الآيات) ومن تلوين الآية بما يشبه ترجيع الإيقاع والصدى فى البداية والنهاية.

وإذا أوغلنا فى أجزاء القرائن صادفنا ألوانا أخرى من التلازم الخفى الذى لا يقل أسرا وسحرا فى الفقرة الموسيقية آنفة الذكر، فهناك تلازم وحدة االطباق:

﴿من أنفسكم أزواجا﴾
﴿خلق السموات والأرض﴾
﴿منامكم بالليل والنهار﴾
﴿يريكم البرق خوفا وطمعا﴾

هذا فى تتابع القرائن والفواصل آية آية.

أما فى ترتيب الآية الواحدة فلدينا تلازم وحدات من الطباق أشد خفاء وألطف أثرا نحو:

﴿من أنفسكم أزواجا﴾ ﴿مودة ورحمة﴾ فى الآية الأولى.
﴿السموات والأرض﴾ ﴿ألسنتكم وألوانكم﴾ فى الآية الثانية.
﴿بالليل والنهار﴾ ﴿منامكم .. وابتغاؤكم﴾ فى الثالثة.

﴿**خوفا وطمعا**﴾ ﴿**السماء ... الأرض**﴾ ﴿**فيحيى ... بعد موتها**﴾ فى الآية الأخيرة.

وهنا نلاحظ: وضوح التدرج فى التزام الوحدات، وفى شدة الطباق، من الضعف إلى القوة، ومن القلة إلى الكثرة أو التعدد، فى هذه الأمثلة، أو فى كلمات الفاصلة:

﴿**يتكفرون**﴾ ﴿**للعالمين**﴾ ﴿**يسمعون**﴾ ﴿**يعقلون**﴾.

فالتفكر غير العلم أو بعضه، والسمع غير العقل إن لم يكن "يطابقه".

ونلاحظ فى نسق الآيات السابقة ما يأتى:

أ) أن القرينة فى الآية الواحدة أطول من التعقيب عليها مما يوحى بأن التقسيم الموسيقى إلى شطرين متساويين ليس ضربة لازب، لأن الموسيقى تنبع من المعنى من النفس لا العكس.

ب) تلازم "التعقيب" بل التعقيب نفسه ظاهرة فى تعبير القرآن تستحق أن تفرد ببحث مستقل وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فى باب العلاقات وبخاصة علاقة الفاصلة بقرينتها فليراجع منه ما مضى ومنه ما سيأتى بمشيئة الله.

جـ) هناك تلازم خفى غير النسق الذى مر بنا وهو "**ومن آياته ... إن فى ذلك لآيات**" ... ألا وهو اختلاف المفردات التى تكمل القرينة أو التعقيب فى كل آية على الرغم من اطراد النسق العام، وعلى الرغم من وحدة المدلول فى كل تعقيب. وهذا يوحى بأن النسق أو القانون الجمالى ليس قيدا مطلقا يعمل بشكل آلى.(١) وإنما يسير متناسقا مع المعنى جنبا إلى جنب.

ونحاول تطبيق ذلك على هذه الآيات فى قوله تعالى:

﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ إشارة إلى عدة معان جليلة.

---

(١) الفاصلة فى القرآن (٢٥٤ – ٢٥٨) بتصرف.

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب.. وأنسا للأرواح والضمائر واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء. والتعبير القرآني الرقيق يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا **﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**

إن إدراك حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر، ملبيا لحاجته الفطرية نفسية وعقلية وجسدية ... لما يحتاج إلى عقل مفكر متأمل متدبر، لذلك كانت الفاصلة **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** وذكر "الآيات" بالجمع لأن خلقهم من تراب آية، وخلق أزواجهم من أنفسهم آية، وإلقاء المودة والرحمة بينهم آية ..

قال **الألوسي**: "والجملة – يقصد جملة الفاصلة – تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة بل هي مشتملة على آيات شتى وأنها تحتاج إلى تفكر كما تؤذن بذلك الفاصلة"(١)

وبالتأمل في صدر الآية الثانية" ومن آياته خلق السماوات والأرض" إنشاء هذا الخلق الهائل الضخم العظيم الدقيق ... ومع الضخامة الهائلة ذلك التناسق العجيب بين الأفلاك والمدارات والدورات والحركات، وما بينها من مسافات وأبعاد تحفظها من التصادم والخلل والتخلف والاضطراب، وتجعل كل شيء في أمرها بمقدار، ومع آية السماوات والأرض عجيبة اختلاف الألسنة والألوان بين بني الإنسان، ولابد أنها ذات علاقة بخلق السماوات والأرض، فاختلاف الأجواء على سطح الأرض، واختلاف البيئات ذلك الاختلاف الناشيء من طبيعة وضع الأرض الفلكي ذو علاقة باختلاف الألسنة والألوان مع اتحاد الأصل والنشأة في بني الإنسان .. هذه الآية (خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان) لا يراها ولا يقدر على تأملها وتعقلها

---

(١) روح المعاني ٣١/٢١

إلا الذين يعلمون المتصفين بالعلم كما قال تعالى ﴿**وما يعقلهـا إلا العـالمون**﴾ (العنكبوت ٤٣) لذلك كانت الفاصلة ﴿**إن فى ذلك لآيات للعالمين**﴾

والآية الثالثة تجمع بين ظاهرتى الليل والنهار وصلة ذلـك بـأحوال البشـر مـن نوم وسكون ابتغاء الراحة أو نشاط وسعى ابتغاء الـرزق ... والنـوم والسـعى سكون وحركة يدركان بالسمع. ومن ثم يتناسق التعقيب فـى الآيـة القرآنيـة ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون**﴾ مع الآية الكونية التى تتحدث عنها.

والآية الرابعة تحدثنا عن آية أخرى من آيات الله (ظاهرة البرق) وهى ظـاهرة كونية، والقرآن لا يفصل بين الظواهر الكونيـة وعللهـا وإنما يتخـذ منهـا أداة لوصـل القلـوب بخـالق الوجـود ﴿**يريكـم البرق خوفـا وطمعـا**﴾ خوفـا مـن الصواعق التى تحرق الناس والأشياء أحيانا عندما يبرق البرق أو شعور الخوف الغامض مما يوقعه فى الحس مـن الشعور بـالقوة المصرفـة لهيكـل هـذا الكـون الهائل، وشعور الطمع فى الخير من وراء المطر الذى يصاحب البرق فى معظـم الأحوال .. هذا المطر حين يصيب الأرض يبعث فيها الخصب والنماء فتمـوج صفحتها بالحياة المنبثقة من هذا النبـات .. والمـاء رسـول الحيـاة فحيـث كـان تكون الحياة .. قال تعـالى: ﴿**وجعلنـا مـن المـاء كـل شـىء حـى**﴾ (الأنبيـاء ٣٠)(١)

فى كل ما سبق مجال للتدبر والتفكر وإعمال العقل فى صفحة الكـون لذلـك كانت الفاصلة ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾ جاء فـى "روح المعـانى" : قال الطيبى: "لما كان ما ذكر تمثيلا لإحيـاء النـاس وإخـراج الموتـى، وكـان التمثيل لإدناءالمتوهم المعقول وإرادة المتخيل فى صورة المحقق ناسب أن تكـون الفاصلة ﴿**لقوم يعقلون**﴾(٢)

---

(١) فـى ظـلال القـرآن ٢٧٦٣/٥ - ٢٧٦٥ وروح المعـانى ٣١/٢١ - ٣٤ [بتصرف].

(٢) روح المعانى ٣٤/٢١

التكرار:

"التكرار من أعمق ظواهر الحياة؛ لأن التكرار أصلا بيولوجيا كامنا في الإنسان، فالشهيق والزفير – مثلا – عملية متكررة، وكذلك انقباض القلب وانبساطه، وله أيضا أصل كامن في الطبيعة من حوله ،فتناوب الليل والنهار ظاهرة متكررة، وكذلك الفصول الأربعة، وحركات المد والجزر ... الخ"(١)

فالإنسان والتكرار صديقان منذ الطفولة المبكرة "فالجنين في بطن أمه يسمع دقات قلبها ويتأثر بها، وينفعل معها، ويظل يسمعها وهو على صدر أمه بعد الولادة حتى يشب ويكبر، ولذلك تكون أول كلماته ثنائية التركيب مبسطة النطق تماما مثل دقات القلب، فيكون أول نطقه لكلمات مثل: بابا وماما ... وغيرها"(٢)

"ويظهر التكرار في الأدب في تناوب الحركة والسكون، أو تكرار الشيء على أبعاد متساوية، وفي ترديد لفظ واحد أو معنى واحد، وهو الترجيع، مثل رد العجز على الصدر في الشعر، أو الترجيع المتسق، أو (الإيقاع) وهو كثير الشيوع في الفن، إذ قلما تجد فنا لا تتكرر فيه أجزاء متقاربة أو متباعدة"(٣)

"وليس التكرار عيبا ما دام لحكمة كتقرير المعنى، أو خطاب الغبي أو الساهي ... كما أن ترداد الألفاظ ليس بعيب ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ويخرج إلى العبث... وهذا القرآن قد ردد قصة موسى، وهود، وهارون، وشعيب، وإبراهيم، ولوط، وعاد، وثمود، كما ردد ذكر الجنة والنار

---

(١) النقد الجمالي ص ٢٨ بتصرف.

(٢) لغة الهمس ص ٥٧ د/مصطفى أحمد شحاته. الهيئة ١٩٧٢ ط١

(٣) النقد الجمالي ص ٢٨ بتصرف.

وغيرهما؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب اصناف العجم، وأكثرهم غبى غافل، أو معاند مشغول الفكر، ساهى القلب"(١)

مزية التكرير الحرفي:

لتكرير الحرف فى الكلمة مزية سمعية، وأخرى فكرية؛ الأولى ترجع إلى موسيقاها، والثانية إلى معناها.

القيمة السمعية في لغتنا:

يشير الجاحظ فى (البيان والتبيين) إلى هذه القيمة حين يقول: "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذى يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"(٢)

حقا إن كل حرف له صوت، ترجع طبقته من التنغيم إلى مخرجه من جهاز النطق، فتسمع الأذن من هذا همسا، ومن هذا جهارة، ومن أحدها رخاوة، ومن الآخر شدة، وتأليف الكلمة من حروفها كتأليف اللحن من نقراته، كل يعبر تعبيرا تحسه الأذن ويفسره العقل والوجدان التفسير اللائق بإيقاعه"(٣)

كما أن عودة النقرة على الوتر تحدث التجاوب مع سابقتها؛ فتأنس الأذن بازدواجهما وتآلفهما، فإن عودة الحرف فى الكلمة تكسب الأذن هذا الأنس، لو لم يكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه، فإذا كان مما يزيد المعنى

---

(١) البيان والتبيين ٣١٤/٣

(٢) البيان والتبيين ٧٩/١ ت هارون.

(٣) التكرير بين المثير والتأثير ص ١٣، ١٤

شيئا أفاد مع الجرس الظاهر جرسا خفيا لا تدركه الأذن، وإنما يدركه العقل، والوجدان وراء صوته.

ولسوف أحاول الآن أن أتبين وجود هذه الظاهرة - ظاهرة الصوت المتكرر وعلاقته بالمعنى فى اللغة القرآنية ...، وقد يكون الصوت المتكرر حرفا، أو كلمة، أو تركيبا، أو مقطعا مكونا من عدة آيات...

أولا: تكرار الحرف:

والحرف المكرر إما أن يجىء على التتابع، وإما أن يجىء على الانفصال، وكلاهما فى أصل الحسن سواء.. وقد جاء من هذه الألفاظ فى بليغ القول ما عذب جرسا، وطاب نغما ... فمن المضعف من حرف "الدال" فى محل الفاصلة، وهى مكان الجرس المتحد، ومن سورة واحدة هى سورة "مريم": قوله تعالى:

﴿ونمد له من العذاب مدّا﴾ (٧٩)

﴿ويكونون عليهم ضدا﴾ (٨٢)

﴿لقد جئتم شيئا إدّا﴾ (٨٩)

﴿لقد أحصاهم وعدهم عدّا﴾ (٩٤)

ومن أمثلة التكرير دون إدغام قوله تعالى:

﴿ولو جئنا بمثله مَددا﴾ (الكهف ١٠٩)

﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عَددا﴾ (الجن ٢٨)

﴿فاسلكى سبل ربك ذُلُلا﴾ (النحل ٦٩)

وهذه أمثلة أخرى من وزن "فعيل" وما يشبهه مما تكرر فيه الياء، وعلى الأخص فى مواضع التطريب، وهى الفواصل - نراها كذلك فى سورة (مريم):

﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ (٣)

﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ (٤)

﴿فهب لى من لدنك وليا﴾ (٥)

﴿يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾ (٦)

ومع الانفصال المكرر نرى الكثير الذى منه فى الفواصل: قوله تعالى:

﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ (الصافات ١٤٢)

﴿وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ (الفتح ٣)

﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ (الذاريات ٥٤)

﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا﴾ (الإنسان ١٤)

﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا﴾ (النبأ ١٤)

﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم ١)

ثانيا: تكرار الكلمة:

تتخذ اللغة القرآنية أحيانا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف، وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه معتمدة فى ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية، وما تشيعه بجرسها الصوتى من نغم يسهم فى إبراز المعنى المراد.

اقرأ هذه الآيات، وتأمل ما فيها من حروف معادة على أبعاد تتجاوب أصواتها فى النفس دون أن تفطن إليها إلا عند القصد، وتأمل أيضا الكلمات المتكررة والمتجانسة كل ذلك يعطى لونا من الأداء الفنى والنغم الموسيقى المترددة أصداؤه فى نظم القرآن البديع، وبخاصة فى فواصله مراكز التطريب ومحطات الراحة ... **﴿فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا. من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شىء مقيتا﴾** (النساء ٨٤ - ٨٥)

كم مرة تكررت أصوات تلك الحروف (اللام. والنون. والسين. والشين. والكاف. والفاء)، وقد تكررت الكلمات (الله - أشد - يشفع - شفاعة) ...

وإنك لتجد القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع، وإعجاز معجز، فالصوت المفرد يختار بعناية، وتصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج، إن احتاج الموقف ذلك، وقد تكون متباعدة المخارج إن كان التباعد أدل على المعنى، وأكثر تصويرا له ومثال ذلك الجرس الصوتى لحرف السين الذى يتكرر فى سورة "الناس"، قال تعالى:

﴿قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخنّاس. الذى يوسوس فى صدور الناس. من الجنة والناس﴾

أرهف سمعك بصفة خاصة إلى قوله تعالى:

﴿من شر الوسواس الخناس. الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ فحرف السين الذى تكرر فى هذه السورة صوت صامت مهموس أسنانى احتكاكى، لا يستطيع الإنسان أن ينطق به وهو مفتوح الفم، بل إنه ليحدث فى نطق كثيرين له أن تلتقى الأسنان السفلى بالأسنان العليا ... وقد اختير هذا الصوت بصفة خاصة، لإبراز هذه الوسوسة التى يخافت بها أهل الجرائم والمكائد، وما يلقيه الشيطان فى روع الإنسان ليزيّن له بذلك ارتكاب المعاصى وهو أدلُّ بجرسه الصوتى الاحتكاكى الهامس على تصوير حالة الهمس الخفى(١) .

واستمع مرة أخرى إلى هذا التصوير الرائع لهول يوم القيامة الذى يختل فيه نظام الكون لتهتز الأرض وتنشق السماء، وترتعد القلوب، ولاحظ تكرار صوتى الراء والفاء على وجه الخصوص. قال تعالى: **﴿يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة. قلوب يومئذ واجفة﴾** لعلك أحسست بهذه الرجفة التى تشيع فى نفسك، وأنت تستمع إلى تكرار صوت الراء الذى تتابع فى نطقه طرقات اللسان على اللثة تتابعا سريعا يصور أبدع تصوير هذه الرعشة التى تنتاب الأرض والسماء، يساعده فى ذلك صوت الفاء، وصوت الجيم وهو صوت صامت مجهور لثوى حنكى انفجارى احتكاكى مركب ويسبقه

---

(١) د/محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٢

صوت صائت طويل يبرز تكرار حرف الراء ويعطيه استمراراً أكثر وكثافة موسيقية أغزر(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير**﴾ (الشورى ٤٩، ٥٠)

انظر إلى تكرار الكلمات (يهب – يشاء – إناثا)، وتأمل "**صحة التقسيم**" فى الآية على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة، وهو الانتقال فى النظم من الأدنى إلى الأعلى، إذ قدم فيها هبة الإناث، وانتقل إلى هبة الذكور، ثم إلى هبة المجموع، وجاءت كل أقسام العطية بلفظ الهبة، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير لأن إنعامه على عباده أهم عنده، وتقديم الأهم واجب فى كل كلام بليغ"(٢)

إن ترتيب المعانى تبعه ترتيب إيقاعى، وهذا ما يبوىء "**صحة التقسيم**" المرتبة الأولى ضمن شروط البيان "فمدار البيان على صحة التقسيم وتخير اللفظ، وترتيب النظم، وتقريب المراد، ومعرفة الوصل والفصل، وتوخى الزمان والمكان، ومجانبة العسف والاستكراه"(٣).

ثالثا: تكرار القالب الصوتى:

"من السمات الواضحة للغة القرآنية تكرار القالب الصوتى للتعبير الذى توضع فيه الألفاظ فى نظام دقيق فتجد له الأذن لذة، وفى تكراره متعة تجعله قريبا إلى النفس، سريع العلوق بالقلب، سهلا فى حفظه وترداده. وهذا

---

(١) السابق ١٩٤

(٢) بديع القرآن ٦٨

(٣) المقابسات ١٤٥

القالب الصوتى مقيس بدقة متناهية فى كثير من المواضع، وهى دقة معجزة وباهرة.

انظر إلى تكرار القالب الصوتى الذى تتطابق حركاته وسكناته وطوله فى هذه العبارات القرآنية البليغة:

﴿والنازعات غَرقا﴾ ... **﴿والناشطات نَشطا﴾** .. **﴿والسابحات سَبحا﴾** .. **﴿فالسابقات سبقا﴾** .. (النازعات ١ - ٤).

﴿وإذا الجبالُ سُيِّرت﴾ .. **﴿وإذا العشار عطلت﴾** (التكوير ٣،٤).

﴿وإذا البحار فجرت﴾ .. **﴿وإذا القبور بعثرت﴾** (الانفطار ٣،٤).

﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾ .. و**﴿إن الفجار لفى جحيم﴾** (الانفطار ١٣، ١٤)

﴿فَمن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذرةٍ خيرًا يَّره﴾ .. **﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** (الزلزلة ٧،٨).

وقد تلجأ البلاغة القرآنية إلى تكرار القالب الصوتى الطويل مع الحرص الشديد على تطابق نظام ترتيب الكلمات فى الجمل، واختلاف يسير فى الطول. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فأما من أعطى، واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى﴾ (الليل ٥ - ١٠)

هذا بالإضافة إلى المطابقة الباهرة بين المعنيين.

وقد تلجأ إلى إعادة القالب الصوتى بعد فاصل كبير(١) ومن ذلك قوله تعالى: **﴿كلا إن كتاب الفجار لفى سجين. وما أدراك ما سجين. كتاب مرقوم﴾** (المطففين ٧ - ٩).

﴿كلا إنّ كتابَ الأبرارِ لفى عِلِّيين. وما أدراكَ ما عِلِّيُون. كتابٌ مَّرْقُوم﴾ (المطففين ١٨ - ٢٠)

---

(١) لغة القرآن الكريم فى جزء عم ص ٣٥١ - ص٣٥٣ (بتصرف).

ومنه قوله تعالى: ﴿الخبيثاتُ للخبيثينَ والخبيثونَ للخبيثاتِ والطيباتُ للطيبينَ والطيبونَ للطيباتِ﴾ (النور ٢٦).

رابعا: تكرار آية لازمة:

ومن أنواع التكرار في القرآن تكرار آية معينة عقب عدة آيات، وكأنها رجع الصدى الذي يزيد من تكثيف النغم، ويوقظ الحس، ومن أمثلته تكرار اللازمة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إحدى وثلاثين مرة في سورة "الرحمن"، تذكر عقب كل نعمة تفهم من ظاهر اللفظ أو تلمح من لازم معناه، فإنه سبحانه عدد في هذه السور نعماءه، وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ثم أتبع ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقررهم بها(١)

ومنه أيضا تكرار ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ في سورة المرسلات ولعلنا ندرك إذا أنعمنا النظر في اللازمة ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أنها تطلعنا على ما في كنفها من معنى يختلف عما قبله في جوهره، ولكنه يتصل به لكونه دليلا عليه أو مؤديا إليه، فكأنها فاصلة وواصلة في آن.

خامسا: تكرار المقطع:

وقد يتكون هذا المقطع من آيتين أو ثلاثة أو أكثر كما في سورة "الشعراء" يتكرر هذا المقطع خمس مرات.

﴿كذبت قومُ نوحٍ المُرسَلين
إذ قال لهم أخوهم نوحٌ ألَا تتقون
إني لكم رسولٌ أَمين
فاتّقُوا الله وأطيعون
وما أسألُكم عليه من أجرٍ إنْ أجْرِيَ إلا على رب العالمين﴾ (الشعراء ١٠٥ - ١٠٩).

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٩ تحقيق السيد صقر.

ومع التكرار نلاحظ تغييرا طفيفا يلائم السياق، فمرة نوح، ومرة عـاد، ومرة ثمود، ومرة لوط، ومرة أصحاب الأيكة.

وفى نفس السورة يتكرر هذا المقطع فى نهاية كل قصة نبى مـع قومه، وهـو قوله تعالى: ﴿**إن فى ذلك لآية وما كـان أكـثرهم مؤمنين. وإن ربـك لهـو العزيـز الرحيـم**﴾ [(الشـعراء ٨، ٩) – (٦٧، ٦٨) – (١٠٣، ١٠٤) – (١٢١، ١٢٢) – (١٣٩، ١٤٠) – (١٥٨، ١٥٩) – (١٧٤، ١٧٥) – (١٩٠، ١٩١)].

وفى سورة "الصافات" يتكرر المقطع ﴿سلام على نوح فى العالمين. إنـا كذلك نجزى المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين﴾ (الآيات ٧٩ – ٨١).

ثم يتغير اسم النبى (نـوح) إلى (إبراهيـم) إلى (موسى وهـارون) إلى (إليـاس) عليهم جميعا صلاة الله وسلامه.

وننبه هنا إلى أن التغيير لم يكن لكسر الرتابة – كما يظن البعض – بل لموافقة السياق من قصة إلى قصة.

وفى سورة "**القمر**" تتكرر اللازمة ﴿**ولقد يَسَّرنا القـرآنَ للذكـرِ فهـل من مُدَّكِرٍ**﴾ (القمر ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠) وقد ذكرت إثـر كـل قصـة، وقـد تسبق باستفهام يلمح إلى التهويـل هـو قولـه تعـالى: ﴿**فكيـف كـان عذابـى ونذر**﴾ (القمر ١٦، ٢١، ٣٠).

يقول **الزمخشرى**: فـإن قلـت مـا فـائدة تكريـر قولـه تعـالى: ﴿**فَذُوقُـوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾، قلـت: فائدتـه أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولـين ادِّكـارا واتعاظـا، وأن يسـتأنفوا تنبها واسـتيقاظا إذا سمعـوا الحـثّ على ذلـك والبعـث عليـه، وأن يقـرع لهـم العصار مرات، ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم اللهو، ولا تستولى عليهـم الغفلة، وهكذا حكم التكرير كقوله: ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ عند كل نعمة عدها فى سورة "**الرحمن**"، وقوله: ﴿**ويل يومئذ للمكذبـين**﴾ عنـد كـل آية أوردها فـى سـورة "**المرسـلات**"، وكذلـك تكريـر الأنبـاء والقصـص فـى

أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان"(١)

ومما يدخل في باب التكرار ما يسمى بالعكس والتبديل(٢) كقوله تعالى: ﴿**يُخْرِجُ الحيّ من الميّتِ ويخرج الميتَ من الحي**﴾ (الروم ١٩) ففيها تقرير القدرة فضلا عما فيها من جمال الإيقاع والجرس الموسيقى النابع من تقارن المتماثلات، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**هُنّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وأنتم لباس لهن**﴾ (البقرة ١٨٧). فيها تأكيد المساواة في الحكم، فهو من تكرير المتشابه.
وقوله تعالى: ﴿**تُولِجُ الليلَ في النهار وتولج النهار في الليل وتُخْرِجُ الحيّ من الميّتِ وتخرج الميتَ من الحي**﴾ (آل عمران ٢٧).
"فإن كلا الجملتين اللتين وقع بهما تكرير العكس، فيه التقرير والتأكيد لإثبات طلاقة القدرة في كمال التصرف في الأضداد، فإن كثيرا منا قد يقدر على الفعل دون عكسه، فيكون ذلك نقصا في قدرته، وهذا الذى نذهب إليه هو ما يدل عليه صدر السياق: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الملكِ تُؤتى المُلْكَ من تشاءُ وتنزِعُ الملكَ ممن تشاء وتُعِزُّ من تشاءُ وتذل من تشاء بيدك الخيرُ إنك على كل شيءٍ قدير**﴾ (آل عمران ٢٦).
ولهذا كان التذييل بوصف طلاقة القدرة **إنك على كل شيء**"(٣)

يتضح لنا من هذا أن العكس في وضع الألفاظ يشكل توازنا صوتيا، وتوازيا هندسيا يشبه الزخرف، وأن مناسبة الألفاظ تحدث في النفس ميلا وإصغاء، وتكرارها يهدف إلى تمكين المعنى وتقرير الأغراض. ويؤكد هذا قول حازم: "إن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها – تحريكا وإبلاغا – بالانفعال إلى مقتضى

(١) الكشاف ٤/٤٠، ٤١

(٢) عرفه أبو هلال بقوله: "أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول" (الصناعتين ٤١١).

(٣) التكرير بين المثير والتأثير ص ٢١٧

الكلام لأن تناصر الحسن فى المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها فى شيء واحد"(١)

وقد عد **الزركشي** من فوائد التكرار:

١ - **التأكيد** - كقوله تعالى: ﴿**كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون**﴾ (التكاثر ٣ - ٤)

وقوله تعالى: ﴿**وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين**﴾ (الانفطار ١٧ - ١٨) على أنه إنذار.

وقوله تعالى: ﴿**كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا**﴾ (طه ٣٣ - ٣٤).

٢ - **التعظيم والتهويل**: كقوله تعالى: ﴿**الحاقة ما الحاقة**﴾ (الحاقة ١، ٢)

وقوله تعالى: ﴿**القارعة ما القارعة**﴾ (القارعة ١، ٢)

وقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه فى ليلةِ القدر. وما أدراك ما ليلةُ القدرِ**﴾ (القدر ١، ٢)

وقوله تعالى: ﴿**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين**﴾ (الواقعة ٨)

٣ - **التهديد والوعيد**: كقوله تعالى: ﴿**كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون**﴾ (الكاثر ٣، ٤).

٤ - **التعجب**: كقوله تعالى: ﴿**فَقُتِلَ كيف قَدَّر ثم قتل كيف قدر**﴾ (المدثر ١٩ - ٢٠)

٥ - **التعدد المتعلق**: كقوله تعالى: ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ (الرحمن مكرر) فإنها وإن تعددت فكل واحد منها متعلق بما قبله.

وإذا نظرنا إلى بعض ما يسمونه "**المحسنات البديعية**" وجدنا هذا النوع من التحسين إنما هو تسخير واع لما يمكن للقيم الصوتية وظاهرة الحكاية أن تثيره فى نفس المتلقي، يصدق ذلك على "**الجناس**" تاما أم ناقصا، وعلى "**المشاكلة**" فى اللفظين وما أشبههما من المحسنات.

---

(١) منهاج البلغاء ٤٦

وإن النص القرآنى ليحسن استعمال ذلك ويحمّله من الأغراض ما لا يمكن الوصول إليه إلا من خلاله لما يمتاز به من التوافق الصوتى.

وفيما يلى طائفة من الشواهد على ذلك فمن أمثلة"المشاكلة"قوله تعالى: ﴿وجزاءُ سَيِّئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾ (الشورى ٤٠) السيئة الأولى ذنب والسيئة الثانية جزاء وقد ذكر الجزاء باسم السيئة لوقوعه فى صحبتها وهكذا يتفق اللفظ ويختلف المعنى وصولا إلى المشاكلة"(١)

والمشاكلة كما ترى قائمة على التكرير والمزاوجة وفيها تخييل حسن لا يخلو من طرافة تعود إلى المعنى فضلا عما فيها من جمال الجرس الناشىء عن إعادة الصوت فهى تعد من المحسنات المعنوية واللفظية.

يقول **ابن أبى الأصبع**: "من جناس المزاوجة اللفظى قوله تعالى: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾** لأن السيئة الثانية ليست بسيئة وإنما هى مجازاة عن السيئة، سميت باسمها لقصد **المزاوجة**(٢) ومثله قوله تعالى: **﴿فَمَنِ ٱعْتَدَى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** (البقرة ١٩٤) سمى سبحانه جزاء الاعتداء اعتداء ليكون فى نظم الكلام مزاوجة، واشترط المثلية فى الاعتداء جريا على قانون العدل وأمرا بالانصاف"(٣)

ومن أمثلة "**الجناس**":

١ - قوله تعالى: **﴿وقال الملأ من قومِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ موسَى وقومَه لِيُفْسِدُوا فى الأرضِ ويَذَرَك وآلهتك﴾** (الأعراف ١٢٧)

---

(١) انظر شروح التلخيص ٣٠٩/٤ فى تعريف المشاكلة.

(٢) ونظرا لقرب "المشاكلة" من "التجنيس" وجدنا ابن أبى الاصبع يذكر هذا المثال فى تجنيس المزاوجة (بديع القرآن ٢٨)

(٣) السابق ٢٨

"انظر إلى استعمال الفعل (تذر) ، و(يذر) إذ يتفقان لفظا ويختلفا معنى، فأما بالنسبة لفرعون فإنه إذ (يذر) موسى إنما يتوانى عن عقابه فالترك هنا نوع من التسامح، وأما بالنسبة لموسى فإنه (يذر) فرعون بمعنى (يتخلى) عنه وعن آلهته ليعبد الله إلها واحدا.

٢ – وقوله تعالى: **﴿وإذْ قالتِ الْملائكةُ يامريمُ إنّ الله اصطفاكِ وطهّرك واصطفاك على نساءِ العالمين﴾** (آل عمران ٤٢).

فقوله (اصطفاك) أولا بمعنى (اختار) والثانى بمعنى (فضلك) فالاتفاق فى اللفظ دون المعنى(١)

٣ – وقوله تعالى: **﴿يكادُ سَنا برقِهِ يذهبُ بالأبصار، يُقلّبُ الله الليلَ والنهار إنّ فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصار﴾** (النور ٤٣، ٤٤)

"فالأبصار الأولى جمع (بصر) وهو النظر، والأخرى جمع (البصر) وهو العقل، والفهم والفقه والخبرة الفائقة، وليست هذه هى القضية فقط، إنما نلاحظ أن لكل كلمة حيز مكانى تملؤه بحروفها المخطوطة وحيز زمانى تستغرقه بنطق هذه الحروف ووقعها على الأذن، وحين تنتقل الكلمة إلى المستمع فالأذن، والإحساس بوقع الحروف وعددها يقومان مقام العين فى تقدير الحيز المكانى للكلمة، الذى لا يدرك إلا بالقراءة.

وكلمة "الأبصار" هنا تأتى بعد مشاهد عديدة تستحق الرؤية والتأمل فى عجائبها، السحاب المتدافع الذى يتجمع فيما بينه فيؤلف السحب الكثيفة المثقلة بالماء والمطر الذى ينزل فى هيئة بَرَد فيه الخير بنزوله، وفيه الشر بامتناعه، ثم ذلك البرق ذو الضوء والذى يخطف الأبصار. كل ذلك يحتاج إلى الإبصار، إلى الرؤية الواعية، والتعجب من قدرة الخلاق العظيم، ثم يأتى الليل والنهار، وكيف أنهما عبرة وعظة، لمن كان له عقل يعى ولب يفظ، إذن المشاهد يناسبها الإبصار بالعين، وتقليل الليل والنهار يناسبه الإبصار بالفكر، أو الرؤية المعجبة، أو البصر المتأمل، وهنا

---

(١) البيان فى روائع القرآن ص ٢٩١ ، ٢٩٢ (بتصرف).

وردت الكلمتان المتفقتان فى الإيقاع الصوتى التام، المختلفتان فى المعنى، المرتبطتان فى الإطار العام بالسياق، وذلك لغرض إتمام المعنى، وإضفاء الجمال الموسيقى النابع من ترديد نغمة الأبصار مرتين بينهما أطول فاصل يمكن أن يقع بين متجانسين، حتى يتيح للمستمع أن يجول بفكره ونظره فيما حوله متأملا متعجبا، على ألا يطول التأمل فيكون بلا فائدة إنما العبرة بالنتيجة. ولذا بُدىء أولا بالأبصار، لعامة المبصرين ثم ثنى بالأبصار لخاصة المفكرين...

٤ – وقوله تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**﴾ (الروم ٥٥)

فالساعة الأولى معناها القيامة، والساعة الأخرى معناها الوقت القصير، ونلاحظ أن (الساعة) الأولى بإيقاع السين الممدودة والعين المفتوحة والتاء المربوطة، واختيارها معنى ليوم القيامة، تدل على دقة مجيئها، ودقة حسابها، وانضباط وقتها، كل هذا لا يدوم طويلا، لأن النغمة نفسها ستكرر، ولكن بمعنى آخر، بمعنى الساعة الزمنية، استعارة تصريحية لقصر الوقت.. سنلاحظ أن لفظ (ساعة) قد تبلور فى حرف (السين) التى لا تختفى نغمتها بل تستمر فى (يقسم) وتختفى فى (المجرمون) لتظهر بحرف قريب فى (لبثوا) وتختفى فى (غير) لتعود قوية واضحة جلية فى (الساعة) الثانية وفى الجناس الناقص نجد:

قوله تعالى: ﴿**وهم يَنْهَوْنَ عنه ويَنْأَوْنَ عنه وإنْ يُهْلِكُونَ إلا أنفسَهم وما يشعرون**﴾ (الأنعام ٢٦)

والجناس فى هذه الآية الكريمة بين (ينهون وينأون)، وهما مقطعان صوتيان غير تامين، ومختلفان فى المعنى، ونلاحظ أن الجار والمجرور المتعلق بالفعلين واحد، وهو (عنه)، أى أن الرسول – ﷺ – يحدث له النهى عنه، والنأى عنه، والنهى أمر بالابتعاد بالقول، والنأى ابتعاد بالفعل والجسد، والنهى أمر يصدر إلى الآخرين من الكفار، والنأى أمر يصدر من الكفار إلى أنفسهم، والنهى قول بلا قدرة، والنأى قدرة احتوت قولا، وإيقاع النهى

قريب جدا من النأى، لأنهما كانا يحدثان فى وقت واحد، وهم مصدر النهى والنأى، وهو صلوات الله عليه وسلامه – مصب النهى والنأى، لذا جاء الإيقاع قريبا، وجاء الاختلاف فى حرفين يخرجان من الحنجرة، وكأنهما فعلان يصدران عن شيء واحد، كما يصدر النهي والنأى عن أبى طالب وأمثاله، ثم يكون النهى أخص من النأى، لأنه قول بلا فعل، ويأتى النأى أعم لأنه فعل يترجم قولا.

ونلاحظ أن الجملة الأولى قد اشتملت على المسند إليه (هم) والمسند (ينهون) والقيد (عنه)، بينما حذف المسند إليه من الجملة الأخرى، وبقى المسند (ينأون) وبقى القيد (عنه) لأنه صلوات الله عليه وسلامه أهم منهم وأجل، ثم نلاحظ (**الازدواج**) أى اتفاق إيقاع جملتين متتاليتين، (ينهون عنه) و(ينأون عنه)، واتحاد الإيقاع يوحى بأن الفعلين كانا يصدران بنفس القوة والعنف والفعل وبنفس الدرجة من الهمجية، ولذا جاء الجناس، لأنهما فعلان من جنس واحد، هو الحقد الأسود، جاء الجناس ناقصا، وما كان يصلح إلا أن يأتى ناقصا؛ للوفاء بالمعنى والوفاء بالإيقاع بلا تكلف"(١)

ومنه قوله تعالى: ﴿**والتفت الساقُ بالساق إلى ربك يومئذ المساق**﴾ (القيامة ٢٩ – ٣٠)

وقوله تعالى: ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ (الهمزة ١)

والجناس المزدوج: كقوله تعالى: ﴿**وَجِئْتُك من سبأ بنبأ يقين**﴾ (النمل ٢٢) يقول **الزمخشرى** فى تفسير هذه الآية: "وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو يصفه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء هنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع "**بنبأ**" مكان "**بخبر**" لكان

---

(١) البديع تأصيل وتجديد ص ٨٦ – ٨٩ (بتصرف).

المعنى صحيحا، وهو كما جاء أصحّ لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال.(١)

وجناس الاشتقاق: كقوله تعالى: ﴿**فأقم وجهَك للدينِ الْقيِّمِ**﴾ (الروم ٤٣) وقوله تعالى: ﴿**فروح وريحان**﴾ (الواقعة ٨٩)

وقوله تعالى: ﴿**قال فاشْهَدُوا وأنَا معكم من الشَّاهِدين**﴾ (آل عمران ٨١)

وقوله تعالى: ﴿**فتوكلْ على اللهِ إنّ اللهَ يُحِبُّ المتوكِّلِين**﴾ (آل عمران ١٥٩)

وقوله تعالى: ﴿**واشْتَرَوْا بهِ ثمنا قليلا فبئسما يشترون**﴾ (آل عمران ١٨٧)

وقوله تعالى: ﴿**ولا تكونُوا كالذين نَسُوا الله فأَنْسَاهُم أنفسَهم**﴾ (الحشر ١٩)

ومنه وصف اللفظ بصفة مِن مادة اشتقاقه كما فى قوله تعالى: ﴿**والقناطيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذَّهبِ والفضة**﴾ (آل عمران١٤) إذ عدل بالاختيار الأسلوبى عن لفظ "المكدسة" مثلا إلى لفظ "المقنطرة" سعيا إلى إيجاد المناسبة الصوتية بين الموصوف وصفته، وإلى تحميل العبارة دلالة إضافية على معنى "التراكم"(٢)

ومن صوره ما سماه البلاغيون **تشابه الأطراف** يقول ابن أبى الاصبع: "و لم أظفر من الكتاب العزيز فى هذا الباب إلا بقوله تعالى: ﴿**الله نورُ السمواتِ والأرض مَثَلُ نُورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباحُ المصباحُ فى زجاجةٍ الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ**﴾ (النور٣٥) نلاحظ تشابه أطراف هذه الجمل لتقدر هذا النظم قدره"(٣).

---

(١) الكشاف ١٤٤/٣

(٢) البيان فى روائع القرآن ٣٠٤

(٣) انظر بديع القرآن ٢٣٠

ومنه أيضا **التعديد**: وهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد وأكثر ما يوجد في الصفات(١) ويسمى أيضا **سياق الأعداد**(٢)

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**هو الله الذى لا إله إلا هو الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمن المهيمنُ العزيز الجبار المتكبر**﴾ (الحشر ٢٣)

وقوله تعالى: ﴿**التائبونَ العابدونَ الحامدونَ السائحونَ الراكعونَ الساجدونَ الآمرونَ بالمعروفِ والنّاهُونَ عن المنكر والحافظونَ لحدودِ الله**﴾ (التوبة ١١٢)

وقوله تعالى: ﴿**مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكارا**﴾ (التحريم ٥).

ومن صور التوافق الصوتى: **الإمالة**: والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء والغرض الأصلى منها هو التناسب وعبر عنه بعضهم بقوله "الإمالة للإمالة" قال **الرضىّ**: "الغرض الأساسى من الإمالة قصد المناسبة"(٣) ويقول فى موضع آخر: "تقريب الصوت بعضه من بعض"(٤) .

وقد عبر **ابن يعيش** عن الغرض من الإمالة بعدة تعبيرات، فقال: "الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل"(٥) ، وقال: "الغرض من الإمالة إنما هو مشاكلة أجراس الحروف والتباعد من تنافيها"(٦) ..

وهذا كله يؤول إلى هدف واحد هو قصد المناسبة بين الأصوات كما قال الرضى، وهو ما اصطلحنا عليه بقولنا **التوافق الصوتى** ... "فقد يكون

---

(١) الاتقان ٣٠٨/٣

(٢) الفوائد المشوق ١٦٤

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ٥/٣

(٤) نفسه ٢٣٠/٣

(٥) شرح المفصل لابن يعيش ٥٣/٩

(٦) نفسه ٥٧/٩

فى الفواصل ما هو من ذوات الياء، وما هو من ذوات الواو، فتمال الواوية وتكتب بالياء حملا على ما هو يأتى لأجل الموافقة نحو قوله تعالى: ﴿**والضحى والليل إذا سجى**﴾ (الضحى ١، ٢).
أميلت "الضحى" وكتبت بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لأجل ذلك(١) ... وكذلك "والشمس وضحاها" (الشمس ١) **أميلت** فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء"(٢)

يفهم من ذلك أنه **أميلت** ألف الضحى (مع كونها واوية) لمناسبة الإمالة فى "سجى" و"قلى" ذواتى الألف المبدلة من ياء متطرفة ..

ولقد أبان **الرضى** عن أسباب إمالة الألف، فذكر منها: "قصد مناسبة فاصلة لفاصلة ممالة كما فى كلمة "الضحى" وذلك لأنه يمال الضحى لإمالة قلى لتناسب رءوس الآى وازدواجها"(٣) ، "والألف فى الوقف أقبل للإمالة لقصد البيان"(٤) .

ولقد أتى **ابن يعيش** فى بيانه لوجه هذه المشاكلة، والتناسب بما نصه: "... قربوا الألف من الياء لأن الألف تطلب من الفم أعلاه والكسرة تطلب أسفله وأدناه؛ فتنافرا، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، فصار الصوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر"(٥)

---

(١) خزانة الأدب ٥١٧ - راجع الصاحبى ٣٨٤ والمزهر ٣٣٩/١

(٢) السابق والصفحة.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضى ١٣/٣ - ١٤

(٤) السابق نفسه ١٤/٣

(٥) السابق ٥٥/٩ ... لمزيد من التوضيح [انظر اللهجات العربية (أنيس ٦٤)]، الكتاب ١١٧/٤ وما بعدها.

"وتمتنع إمالة الألف لأسباب منها أن يتصل بها حرف يستحق التفخيم كالراء غير المكسورة، وحروف الاستعلاء السبعة(١) (خ – ص – ض – غ – ط – ظ – ق) غير مكسورة أيضا؛ أى أن التفخيم يدفع الإمالة والكسرة تأذن لها، وهذا هو المقصود بكون الإمالة من المناسبة الصوتية، أو التوافق الصوتى"(٢)

ومن صوره – أيضا – **إعراب الجوار**: وهو مراعاة المناسبة الصوتية بين أواخر كلمتين متجاورتين، كما فى قراءة حمزة والكسائى؛ لقوله تعالى: ﴿**عاليهم ثيابُ سندسٍ خضرٍ**﴾ (الدهر ٢١) بجر لفظ "خضر" لمناسبة الجر فى آخر "سندس"(٣)

قال الزمخشرى: "وعاليهم، وخضر، واستبرق بالرفع حملا على الثياب، وبالجر على السندس"(٤)
فالزمخشرى يرى جواز الرفع فى "خضر، واستبرق" حملا على "ثياب" المرفوع، فجوز الرفع فيهما للمجاورة .. ويجوز الجر حملا على "سندس" المجرور بالإضافة، وذلك – أيضا – للمجاورة..

وجاء فى "مجاز القرآن" لأبى عبيدة (ت ٢٠٧) فى قوله تعالى: ﴿**يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فى رحمته والظالمين أعدَّ لهم عذابا أليما**﴾ (الدهر ٣١) قال: "انتصب بالجوار، ولا يدخل الظالمين فى رحمته"(٥) ،

---

(١) انظر الكتاب ١٢٨/٤

(٢) البيان فى روائع القرآن ص ٣٠٤ (بتصرف)

(٣) البيان ٣٦٨، ٣٦٩

(٤) الكشاف ١٩٩/٤

(٥) مجاز القرآن ٢٨٠/٢

فـ "من" في محـل نصب مفعول بـه لـ "يدخـل" ، و"الظـالمين" نصـب على الجوار، ولولا نصبها على الجـوار لكـان الوجـه فيهـا "الرفـع" علـى الابتـداء، والواو استئنافية وا لله أعلم.

وإذا كان التوافق الصوتى سمة بارزة مـن سمـات الفواصـل فـإن هـذه الميزة لا تتجلى إلا بضرورة الوقف علـى رءوس الآيـات. وهـذا يتطلـب منـا أن نقـدم حديثا عن الوقف على الفواصل وأهميته من حيث المعنى والمبنى.

الوقف على الفواصل:

لما لم يمكن للقارىء أن يقرأ السورة أو القصة فى نفس واحد و لم يجـز التنفـس بـين كلمتـين حالـة الوصـل وجـب حينئـذ اختيـار وقـف للتنفـس والإستراحة وتعيين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة وتحتـم أن لا يكـون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصـد، ولذلك حرص الأئمة على تعلمه ومعرفته.(١)

قال النكزاوى: باب القوف عظيم القدر، جليـل الخطـر لأنـه لا يتـأتى لأحـد معرفة معانى القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل.(٢)

عن على بن أبى طالب رضى الله عنـه قـال: "الـترتيل معرفـة الوقـف وتجويـد الحروف". وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: لقد عشنا برهـة مـن دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبى صلـى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى أن يوقف عنده منها.(٣)

ومما جاء من أخبار فى شأن تعظيـم الوقـف والإبتـداء مـا رواه بعـض الأئمة "عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لرجل معـه ناقـة: أتبيعهـا؟ فقال: لا عافاك الله. فقال لا تقل: هكذا ولكن قل: لا وعافاك الله" واسـتأنس له ابن النحاس بقـول النبى صلـى الله عليـه وسـلم للخطيـب: "بئـس الخطيـب أنـت".

---

(١) أفرده بالتصنف أئمة عظام منهم أبو جعفر النحاس وابن الأنبارى والزجاج.

(٢) الاتقان ٢٨٣/١

(٣) النشر فى القراءات العشر ٣١٦/١

حين قال: "من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما --- ووقف – قال: فقد كان ينبغي أن يصل كلامه، فيقول: ومن يعصهما فقد غوى أو يقف على "ورسوله فقد رشد" فإذا كان مثل هذا مكروها فى الخطب ففى كلام الله أشد.(١)

ومن شواهد ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿**واللائى يَئِسْنَ من المحيض من نسائكم إنِ ٱرْتَبْتُم فعدتهن ثلاثةُ أشهر واللائى لم يحضنَ ج وأولاتُ الأحمالِ أجَلُهن أن يَضَعْنَ حملهنَ ج ومن يَتَّقِ ا الله يجعل له من أمرِهِ يُسْرا**﴾

فلو وقف على قوله "**ثلاثة أشهر**" وابتدىء بقوله: "**واللائى لم يحضن**" وقع قوله: "**وأولات الأحمال أجلهم أن يضعن حملهن**" معطوفا على "**اللائى لم يحضن**" فيصير قوله: "**أجلهن أن يضعن حملهن**" خبرا عن "**اللائى لم يحضن وأولات الأحمال**" ولكنه لا يستقيم المعنى، إذ كيف يكون للائى لم يحضن حملٌ حتى يكون أجلهن أن يضعن حملهن؟(٢)

لذلك يقول ابن الأنبارى: "من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه"(٣)

وللقراء جولات فى الوقف وفصول مستقلة فى كتبهم لم يكتفوا فيها بكيفية الوقف على الكلمة وشرح ما يمكن أن يصيبها حينئذ من تغير بل عرضوا أيضا لمواضع الوقف من آيات القرآن الكريم وخرجوا لنا بأنواع منها: التام والكافى والحسن والقبيح.(٤)

---

(١) البرهان ٣٤٣/١

(٢) لمزيد من الشواهد انظر تفسير التحرير والتنوير ٨٢/١ وما بعدها.

(٣) الاتقان ٢٨٢/١

(٤) يقول ابن الجزرى: وأقرب ما قلته فى ضبطه أن الوقف ينقسم إلى اختيارى واضطرارى. لأن الكلام إمّا أن يتم أوْلا، فإن تمّ كان اختياريا وكونه تاما لا يخلو إما أن لا يكون له تعلق بما بعده البتة – أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى – فهو الوقف الذى اصطلح عليه الأئمة (بالتام)للتمام المطلق،يوقف عليه ويبتدأ بما بعده، وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط وهو الوقف المصطلح عليه (بالكافى) للاكتفاء به عما بعده واستغناء ما علاه عنه. وهو

ومرجع كل هذه الأنواع النظر فى معانى الآيات وتفادى تجزىء المعنى الواحد وتحاشى البدء بما يفسد المعنى ويقطع من أوصال الآية الواحدة فوضعوا فى مصاحفنا رموزا وإشارات يهتدى بها المتعلم وقارىء القرآن حين تطول عليه الآية ولا يسعفه النفس فيضطر للوقوف أو يرغب فى تخير موضع لوقفه لا يفسد المعنى ولا يشوه من جماله(١)

ونقدم للقارىء شاهدا لمواضع الوقف فى آية "الديْن" أطول آية فى القرآن (البقرة ٢٨٢)

كالتام فى جواز الوقف عليه وابتداء بما بعده. وإن كان التعلق من جهة اللفظ فهو الوقف المصطلح عليه (بالحسن) لأنه فى نفسه حسن مفيد، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظى إلا أن يكون رأس آية فإنه يجوز فى اختيار أهل الأداء ... وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا وهو المصطلح عليه "بالقبيح" ولا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه لعدم الفائدة أو لفساد المعنى (النشر فى القراءات العشر ١/٣١٧ - ٣١٨).

(١) من أسرار اللغة ٢٢١ - ومن هذه العلامات الميم المائلة (مـ) للدلالة على الوقف اللازم وعلامة (قلى) للدلالة على جواز الوصل والوقف أولى، وعلامة (صلى) للدلالة على جواز الوقف والوصل أولى، وعلامة (ج) للوقف الجائز جواز مستوى الطرفين، وعلامة التعانق (..) لدلالة على أن الوقف يصح على موضع ويمتنع على الآخر، نحو قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريبَ فيهِ هدى للمتقين﴾ (البقرة ٢) ويسمى وقف المراقبة، وعلامة (لا) للدلالة على امتناع الوقف على هذه الكلمة.

يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مُسمى فاكتبوه ج	وقف جائز
وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل ج	جائز
ولا يأبَ كاتبٌ أن يكتبَ كما علمه الله صلى	جائز والوصل أولى
فليكتبْ وليمللِ الذى عليه الحقُّ وليتقِ الله ربَّه ولا يبخسْ منه شيئا ج	جائز
فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يُمِلَّ هو فليملل وليُّه بالعدل ج	جائز
واستشهدوا شهيدين من رجالكم صلى	جائز والوصل أولى
فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن تَرْضَوْنَ من الشهداء ان تَضِلَّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى ج	جائز
ولا يأب الشهداءُ إذا ما دُعُوا ج	جائز
ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجلة ج	جائز
ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا صلى	جائز والوصل أولى
إلا أن تكون تجارةً حاضرةً تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها صلى	جائز والوصل أولى
وأشهدوا إذا تبايعتم ج	جائز
ولا يُضَارَّ كاتبٌ ولا شهيد ج	جائز
وإن تفعلوا فإنه فُسُوقُ بِكم ج	جائز
واتقوا الله صلى	جائز والوصل أولى
ويُعَلِّمُكُمُ الله صلى	جائز والوصل أولى
والله بكل شيء عليم﴾	وقف الفاصلة

ولا يعنينا هنا من مواضع الوقف عند القراء إلا الوقف على رءوس الآيات "الفواصل" الذى يعتبر عند جمهور القراء سنة من سنن النبى صلى الله عليه

وسلم ... وفى حديث أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم: "كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية فيقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم يقف ثم يقول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ثم يقف الخ الحديث رواه أبو داود ساكتا عليه والترمذى وأحمد وغيرهم وهو حديث حسن وسنده صحيح.(١)

قال الزركشي: "إن مبنى الفواصل على الوقف ولهذا شاع مقابله المدفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون، ومنه قوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (الصافات ١١) مع تقدم قوله: ﴿عذابٌ واصبٌ﴾ و﴿شهابٌ ثاقب﴾ (الصافات ٩،١٠) وكذا ﴿بماء منهمر﴾ (القمر ١١) و﴿قَدْ قُدِر﴾ (القمر ١٢) وكذا ﴿ومالهم من دونه من وَال﴾ (الرعد ١١) مع ﴿يُنْشِيءُ السَّحابَ الثِّقَال﴾ (الرعد ١٢)(٢).

ولما كان من أوجه إعجاز القرآن الكريم اشتماله على البدائع البليغة، ومن ذلك فواصل الآيات التى هى أشبه بقوافى الشعر وأسجاع النثر، وهى مرادة فى نظم القرآن لا محالة، فكان عدم الوقف عليها تفريطا فى الغرض المقصود منها.(٣)

دلالة الوقف على رءوس الآى والفواصل:

والوقف على رءوس الآيات يبرز موسيقاها وتستريح الآذان عند سماعها ... ولا تتضح موسيقى الآيات إلا بالوقف على رءوسها لما فى ذلك من التمكن من التطريب حيث تنتهى معظم الفواصل بالياء والنون أو الواو والنون أو الألف والنون أوالياء والميم، فإذا قرأ القارىء سورة كسورة (الرحمن) أحس بجمال الوقف على رءوس الآيات وأحس بموسيقى الفواصل حين يقف عليها بالسكون هكذا:

---

(١) انظر سنن أبى داود باب الحروف وسنن الترمذى باب "ثواب القرآن.

(٢) البرهان ١/٦٩، ٧٠

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ص ٨٣

﴿**الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان. الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسجدان...**﴾ الخ السورة.

والأصل فى آى القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب فى الغرض أو فى الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل، فمن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿**إذِ الْأَغْلالُ فى أعناقهم والسَّلاسِلُ يُسحَبون. فى الحميم ثُمَّ فى النار يُسْجَرون. ثم قيل لهم أين ما كنتم تُشْرِكُون. من دون الله...**﴾ إلى آخر الآيات.

فقوله: "**فى الحميم**" متصل بقوله "**يسحبون**" وقوله "**من دون الله**" متصل بقوله "**تشركون**" ومع ذلك ينبغى الوقف عند نهاية كل آية منها، فإذا فعل القارىء المجود ذلك، أحس المستمع بدقة النظم ورنة الإيقاع فتميل إليه الأسماع وتهفو إليه القلوب.

فلم تختتم معظم الآيات بحرف النون عبثا أو دون غاية معينة بل كان هذا تحقيقا للجمال الموسيقى فى الفواصل ... تطمئن إليها الأذن وتجد النفوس لذة فى ترددها وتوقع هذا التردد.

وقد خص **الخطابى** القرآن وحده بهذه اللذة لأنه يعتبر هذا التأثير وجها من وجوه إعجازه فيقول "إنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال"(١)

ويرى الدكتورإبراهيم أنيس أن جزم الفعل و"انحر" فى سورة "الكوثر" يؤكد لنا أن الوقف بالسكون على رءوس الآيات تتطلبه القراءة القرآنية، لأنه يحقق الانسجام الموسيقى فى السورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربك وانْحر. إن شانئك هو الأبتر**﴾ (الكوثر ١ – ٣) ولا يكاد الوقف القرآنى يتجه إلى غير الوقف بالسكون إلا فى حالات قليلة منها:

١ – الوقف على المنون المنصوب، حيث يوقف عليه بالألف كقوله تعالى: ﴿**والعاديات ضبحا. فالموريات قدحا. فالمغيرات صبحا..**﴾ (العاديات ١ – ٣) ومن ذلك أيضا قوله: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**

---

(١) إعجاز القرآن للخطابى. ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٦٤

لم يكن شيئا مذكورا. إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نَّبْتَلِيهِ فجعلناه سميعا بصيرا إنَّا هديناه السبيلَ إمَّا شاكرا وإما كفورا. إنا أعتدنا للكافرين سلاسلَ وأغلالاً وسعيرا. إن الأبرارَ يشربون من كأسٍ كان مِزَاجُهَا كافورا ...﴾ (الإنسان ١ – ٥)(١) **وباقى فواصل السورة** كذلك – وتكاد نسبة الوقف على المنون المنصوب فى آيات القرآن تجاوز ١٢٪ من مجموع الآيات(٢) فنحن حين نقف على رءوس الآيات نقف عليها الألف الممدودة وذلك يجعل للقراءة إيقاعا شجيا لأن الوقف بالمد يجعل (الروى والوصل) كتلة نطقية واحدة فلا يحتاجان إلى ما يتممهما مقطعيا ولأمر ما كان من السنة فى التلاوة الوقوف على رءوس الآى لغرض المجانسة بين الفواصل وابراز موسيقاها النابعة من التوافق الصوتى فى المقاطع وبخاصة المقاطع الأخيرة من الآيات لأنها آخر ما يقرع السمع فيكون لها تأثير الموسيقى وهى تعلو على الموسيقى لذلك جاء فى فضائل القرآن: "حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم الأزدى، حدثنا قتادة قال: "سألت أنس بن مالك عن قراءة النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : كان يمد مدا"(٣) ولا شك أن المد فى القراءة بحروف المد المعروفة يجعلها أحسن وقعا وأجمل إيقاعا، وقد روى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ قراءة لينة وهو يرجع"(٤)

---

(١) (على هدى الفواصل القرآنية) "البحوث والمحاضرات" مجمع اللغة سنة ١٩٦١ ص ١٠٧، ١١٨

(٢) نجد هذا الوقف فى سور كثيرة من القرآن كالنساء والكهف والفرقان والأحزاب والفتح والطلاق والجن – عدا بعض آيات فى بعضها (انظر ابراهيم أنيس أسرار اللغة ٢٣٥، ٢٣٦).

(٣) فتح البارى كتاب فضائل القرآن ٧٠٩/٨ الحديث رقم ٥٠٤٥

(٤) السابق باب الترجيع ٧١٠/٨ الحديث رقم ٥٠٤٧ – والمقصود بالترجيع هو تقارب ضروب الحركات فى القراءة، وأصله الترديد، و[illegible] الصوت ترديده فى الحلق، ومعنى الترجيع تحسين التلاوة لا ترجيع [illegible] القراءة بترجيع الغناء تنافى الخشوع الذى هو مقصود التلاوة.

٣ – الوقف على ضمير الغائبة المؤنثة (ها) تبقى ألفه "كما فى قوله تعالى ﴿**والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاها. والليل إذا يغشاها. والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها...**﴾ (الشمس ١ – ١١)

٤ – الوقف بهاء السكت مع ياء المتكلم كما فى قوله تعالى: ﴿**وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه. ياليتها كانت القاضية. ما أغنى عنى ماليه. هلك عنى سلطانية**﴾ (الحاقة ٢٥ – ٢٩) وكقوله تعالى: ﴿**ويل لكل همزة لمزة. الذى جمع مالا وعدده. يحسب أن ماله أخلده. كلا لينبذن فى الحطمة**﴾.

ولكن المألوف السائد فى ياء المتكلم حين القطع فى رءوس الآيات تحذف كما فى قوله تعالى: ﴿**فإياى فاتقون**﴾ (البقرة ٤١) ﴿**لكم دينكم ولى دين**﴾ (الكافرون ٦)(١)

٥ – الوقف على تاء التأنيث أما تاء جمع المؤنث السالم فلا تتغير فى الوقف القرآنى وليس بين آيات القرآن الكريم ما ينتهى بهذه التاء غير أنا نلحظها فى عدة كلمات من آية واحدة وردت فى سورة "الأحزاب" هو قوله تعالى: ﴿**إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات**﴾... الآية (الأحزاب ٣٥) ومثلها تاء التأنيث التى تلحق آخر الفعل كما فى قوله تعالى: ﴿**إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عطلبت. وإذا الوحوش حشرت**﴾ (التكوير ١ – ٥)

وبعد فظاهرة الوقف بالسكون التى استأثرت بهذه الأحكام التى ذكرناها وروعيت فى القرآن الكريم هذه المراعاة لم تكن أمرا عابرا أو عارضا يمثل ناحية متواضعة من نواحى اللغة بل كانت صفة من الصفات التى انتظمت معظم القبائل العربية وجرت على ألسنتهم جميعا، و لم تكن تقل

---

(١) على هدى الفواصل ص ١٠٩

أهمية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات فى حالة الوصل، بل لم تكن أقل شيوعا ودورانا فى أفواه الناس من ظاهرة الوصل(١)

ودلالة الوقف بشكل عام تشبه إلى حد كبير دلالة **"النبر"**(٢) حيث تبرز كتلة المقطع الموقوف عليه.

دور التجويد فى إبراز جمال الإيقاع القرآنى:

تبين لنا أن الجانب الموسيقى واضح جد الوضوح فى القرآن الكريم فى آياته وحروفه ومقاطعه وفواصله وقد تجلى هذا الجانب الموسيقى فى صور شتى من صور التوافق الصوتى التى تشعر المستمع بجمال التناسق الصوتى وتأثير الرنة وحلاوة التوقيع ولاسيما إذا قرأت الآيات مرتلة أو مجودة لأن الترتيل أو التجويد يبرز شجى الإيقاع وجمال الفاصلة بما يحققه بفنونه الأدائية من انسجام بين الكلمات، لأن معظم فنون التجويد تهدف إلى تحقيق التوافق الصوتى، فما الإظهار والإخفاء والإدغام والإقلاب والتفخيم والترقيق والإمالة والتنغيم إلا وسائل لتحقيق التوافق الصوتى بين حروف الكلمة، والكلمة وتاليتها حتى الانتهاء عند الفاصلة فيتعين الوقف ويبرز جمال الفاصلة، لذلك لم يكن عبثا أن يخاطب الله نبيه بقوله: ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾ (المزمل ٤)

وترتيل القرآن قراءته على ترسل، وتؤدة بتبيين حروفه، وإشباع الحركات ...

وقد سئلت عائشة – رضى الله عنها – عن قراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقالت: "لا كسردكم هذا، ولو أراد السامع أن يعد حروفها لعدها، "وترتيلا": تأكيد فى إيجاب الأمر وأنه لابد منه للقارىء"(٣).

وفى صفة قراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يرتل آية آية، وقد نعتت أم سلمة قراءته – صلى الله عليه وسلم – فقالت: قراءة مفسرة حرفا

---

(١) من أسرار اللغة ص ٢٣٦

(٢) "النبر" ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة فى السمع عن بقية ما حوله من أجزائها (اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٧٠).

(٣) الكشاف ٤/١٧٥

حرفا، يقول ابن الجزرى: إن الترتيل مستحب ومشروعيته ليست لمجرد التدبر، فإن الأعجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يشرع له أيضا القراءة بالترتيل والتؤدة؛ لأن ذلك أقرب إلى الاحترام، وأشد تأثيرا فى القلب من الاستعجال"(١)

والدليل على ذلك أن "ماسرجويه" الطبيب البصرى – وهو يهودى – بكى من قراءة أبى الجوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: إنما أبكانى الشجى.(٢)

إذن فقراءة القرآن قراءة مرتلة مجودة يكون لها تأثير فى نفوس المستمعين ولو لم يكونوا مسلمين، فكأن حسن الأداء فى قراءة القرآن بنظمه العجيب يمتع النفس، ويثير الشجى، وكثير من الناس إذا سمع القرآن بكى.

إن مراعاة قواعد التلاوة من مد وغن وإظهار وإخفاء وإدغام وتفخيم وترقيق، وتنغيم من حسن الإلقاء الذى يزين القرآن ويظهر دور الأصوات فى

---

(١) النشر فى القراءات العشر ٢٠٨/١، ٢٠٩

(٢) الحيوان ١٩٢/٤، انظر ما يقوله الفيلسون والأديب الفرنسى جان جاك روسو "فإنك لترى الذى له بعض المعرفة باللغة العربية يتبسم إذ يتصفح القرآن، ولعمرى أنه لو أنصت غلى محمد يقرأه بنفسه هى تلك اللغة البليغة الموقعة، وبذلك الصوت الجهورى المقنع الذى كان يستهوى الأذن قبل أن يستهوى القلب ولو أنصت إليه إذ لا ينفك ينفث فى حكمة نبرة وحماسا، لسجد على الأرض من الرهبة ثم لناداه ألا أيا النبى الأعظم ألا يارسول الله خذنا إلى المجد والشهادة".

انظر: محاولة فى اصل اللغات ص ٧١ تعريب محمد محجوب ط بغداد ١٩٨٦م. يقول ابن الجزرى وكأنه قد وقف على كلام روسو. هذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد يسلب العقول ويأخذ بالألباب وقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن الصوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيما باللفظ فكان إذا قرأ أطرق المسامع وأخذ من القلوب المجامع. النشر ٢١٢/١

إبراز المعانى، وحسبنا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - "زينوا القرآن بأصواتكم"(١)

وقوله :"ليس منا من لم يتغن بالقرآن"(٢)

وقوله: "لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته"(٣)

يقول ابن الجزرى: "... التجويد حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف"(٤)

ويقول الشيخ أبو عبدالله الشيرازى: "إن حسن الأداء فرض فى القراءة، ويجب على القارىء أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلا"(٥)

وتجويد القرآن وترتيله الإيقاعى من مظاهر الإعجاز الموسيقى عند الرافعى بدليل أنه لو قدر لأحد أن يأخذ قطعة نثرية لأشهر البلغاء وفصحاء العرب، ثم حاول أن يرتلها على طريقة القرآن مراعيا فيها قواعد التجويد والترتيل فإنه ولا شك سيقدم نمطا منحطا من الكلام، قد عابه الترتيل، ونكره وغيره، وجرده من فصاحته وزينة أسلوبه لأن المرتل قد أخضعه لأوزان لم يتسق عليها فى جهاته ثم عقب قائلا: "وحسبك بهذا اعتبارا فى إعجاز

---

(١) انظر المستدرك للحاكم ٥٧١/١ - المستدرك على الصحيحين فى الحديث ٤ أجزاء - مطبعة مجلس دائة المعارف النظامية سنة ١٣٣٤

(٢) انظر ابن رجب الحنبلى الذيل على طبقات الحنابلة ٤١/١ بتحقيق حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية ١٢٧٢هـ/١٩٥٢م.

(٣) الأذن هو السماع - انظر الشريف المرتضى - أمالى المرتضى القسم الأول ٣١ - ٣٥، وانظر لسان العرب مادة (أذن)، وانظر المستدرك ٥٧١/١

(٤) النشر فى القراءات العشر ٢١٢/١

(٥) نفسه ٢١١/١

النظم الموسيقى فى القرآن وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذى هو فيه إلا فيه لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية فى الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشى والتكرير.."(١)

وفى ذلك يقول السيد رشيد رضا: "أسلوبه مباين لجميع الأساليب، فلا هو مرسل طلق العنان كالنوق المراسيل، يتعاصى على ترسل التجويد ونغمات الترتيل، ولا هو مسجوع كسجع الكهان، ولا شعر تلتزم فيه القوافى والأوزان، ومن آياته القصار ذات الكلمة المفردة والكلمتين والكلمات، والوسطى المؤلفة من جمل مثنى وثلاث ورباع، والطولى منها لا تتجاوز مائة كلمة - كآية الدين - وكل نوع منها يؤدى بالترتيل اللائق به المعين على تدبره"(٢)

يقول الدكتور عبدالله دراز: "دع القارىء المجود يقرأ القرآن، يرتله حق ترتيله، نازلا بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلا بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكانا قصيا، لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ومداتها وغناتها .. ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية، وقد جردت تجريدا وأرسلت ساذجة فى الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحن عجيب لا تجده فى كلام آخر لوجود هذا التجويد"(٣)

ويقول فى موضع آخر: "إن أول شىء أحسته الأذن العربية فى نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتى البديع الذى قسمت فيه الحركة والسكون تقسيما منوعا يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزعت فى تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعا بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به وتهادى النفس فيه آنا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى"(٤)

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢/٢١٤، ٢١٥

(٢) مقدمة كتاب إعجاز القرآن للرافعى ص ٦

(٣) النبأ العظيم ١٠١ دار القلم بيروت.

(٤) السابق ص ١٠٣

إن من يقرأ أى آية من القرآن يحس فيها تناوب المدّ مع الغُنّة مع السكون مع توالى الحركات، مع الوقفات الداخلية مع وجوب الإدغام أحيانا أو الإقلاب أو الإخفاء وغير ذلك من فنون علم التجويد حتى يصل إلى الفاصلة فيتم عندها المعنى ويستريح النفس.

إذن فالترتيل أو (التجويد) يبرز شجى الإيقاع وجمال الفاصلة بما يحققه بفنونه الأدائية من انسجام بين الكلمات لأن معظم فنون التجويد تهدف إلى تحقيق (التوافق الصوتى) فما الإظهار والاخفاء والادغام والإقلاب والتفخيم والترقيق والإمالة والتنغيم إلا وسائل لتحقيق التوافق الصوتى بين حروف الكلمة وبين الكلمة وتاليتها حتى الانتهاء عند الفاصلة فيتعين الوقف فيبرز جمال الفاصلة، فإذا الترتيل هالة من نور تضىء القلب، ووراء الترتيل ينصع التوافق الصوتى فيؤثر فى القلوب فتخشع ولا تملك إلا أن تسجد إيمانا وخشوعا.. ﴿**إذا تُتلَى عليهم آياتُ الرحمن خَرُّوا سُجَّدًا وبُكيا**﴾ (مريم ٥٨).

لا شك أن المرء عندما يسمع القرآن مرتلا مجوداً يظل فى لحن شجى وإيقاع متنوع لا يمل سماعه ولا يعروه ملل أو سأم من ترداده بل لا يفتأ يطلب المزيد من هذا الجمال التوقيعى فى لغة القرآن الذى يستهوى النفوس ويستميلها وهو ما سماه الرافعى طريقة "الاستهواء الصوتى" فى اللغة، فهى تشبه فى القرآن الكريم صوت إعجازه الذى يخاطب به كل نفس تفهمه، وكل نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النفوس على أى حال إلا الإقرار والاستجابة، وما من أعجمى يسمع ترتيل القرآن – إن فهمه أو لم يفهمه – إلا اعتراه رفة للشجى والنظم، وأحس أن هذه الآيات تتموج فى نفسه وتجيش نفسه بها"(١)

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢/٢١٥ – ٢١٧ (بتصرف). وعن قوة هذا التأثير يحدثنا الشيخ سيد قطب مستشهدا بحادثة جرت معه فى سفينة أجنبية أقلته ورفاقه، واقام فيها صلاة الجمعة وخطب الخطبة فتأثر الأعاجم بسماع القرآن.. وقالت يوغسلافية: "إن اللغة التى تحدث بها ذات إيقاع موسيقى عجيب [illegible] لا أفهم منه حرفا"

وهكذا يتجلى لنا أن التوافق الصوتى ميزة لا تكاد تفارق فواصل القرآن فى سور شتى، فتارة يظهر هذا التوافق فى الحروف التى تبنى عليها الفواصل وما بينها من تآخ وتآلف، وتارة أخرى يتجلى هذا التوافق فى انسجام المقاطع واتحادها حتى تبنى عليها السورة كلها من طوال السور فإذا قرأتها أحسست ذلك التوافق ينساب انسيابا ويتدفق تدفقا عند آخر كل آية ومع الوقف على رءوس الآى.

ومرة ثالثة يجتمع التوافقان (توافق الحروف وتوافق المقاطع) فإذا القرآن نسيج وحده لا يشابهه بناء ولا يدانيه نسق، تسمع السورة مرتلة مجودة فلا تملك إلا أن تنصت وتخشع، لذلك النظم المحكم والآيات المفصلة ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾ (هود ١).

والملاحظ أن هذه اليوغوسلافية فرقت فى السماع بين كلام الخطيب وبين الآيات التى أوردها فى خطبته على سبيل الاستشهاد والتأييد وأحست أن الفقرات القرآنية كانت تحدث لها رعشة وقشعريرة كما لو كان الإمام مملوءا من الروح القدس بحسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها (فكرة إعجاز القرآن ٣٥٠ بتصرف).

وما ذلك إلا نتيجة التناسق والانسجام بين العبارة والمدلول والإيقاع والظلال والجو النفسى وهل اللفظ إلا ما أدى المعنى وأوفى بالدلالة؟

التوافق الصوتى وقضية العدول عن الأصل

موقف العلماء من هذه القضية قديما وحديثا:

لقد شغلت هذه القضية العلماء قديما وحديثا وكانوا حيالها بين مؤيد ومعارض مع اعترافهم جميعا – المؤيد والمعارض – بوجود التوافق الصوتى فى الفواصل القرآنية وقبل أن نعرض لهذه القضية نشير إلى حقيقة ثابتة وهى أن مراعاة المعنى مقدمة على مراعاة اللفظ فى البناء القرآنى، والبناء القرآنى مع اهتمامه بالمعنى لا يهمل دقة اللفظ وانسجام العبارة وصحة التركيب وجمال الإيقاع فكل ذلك يأتى متآلفا مع المعنى.

ولعل من أول من عنوا بهذه القضية "**الفراء**" (ت ٢٠٧هـ) فقد اهتم باستجلاء الايقاع الصوتى الذى ينبعث من الفواصل وتناسق أواخر الآى مقارنا ذلك بنسق الشعر الموزون المقفى مبينا حرص القرآن على العدول عن لفظ إلى آخر مراعاة لمناسبة توافق الفواصل لأن ذلك من إعجاز نظمه البديع، غير أننا نؤمن أن ذلك العدول فيه من مراعاة جانب المعنى أيضا ما نستطيع إدراكه أو لا نستطيع.

يقول "**الفراء**" فى قوله تعالى ﴿**كذبت ثمود بطغواها**﴾ (الشمس ١١) "وقوله: "**بطغواها**" أراد بطغيانها إلا أن الطغوى أشكل برءوس الآيات فاختير لذلك"(١) وقوله عزّ وجلّ "**فأغنى**" و"**فآوى**" يراد به (**فأغناك**) و(**فآواك**) جرى على طرح الكاف لمشاكلة رءوس الآيات ولأن المعنى معروف.(٢)
إذن فهو يرى أن التعبير القرآنى قد يلجأ إلى الحذف إذا عرف المعنى أو دل عليه دليل سابق لتتفق رءوس الآيات فيجتمع الحذف ومراعاة الفاصلة.

---

(١) معاني القرآن ٢٦٧/٣

(٢) نفسه ٢٧٤/٣

وعند تعرضه إلى تفسير قوله تعالى: ﴿**أئذا كنا عظاما نخرة**﴾ (النازعات ١١) قال: "حدثني مندل عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ "**ناخرة**" وقرأ أهل المدينة "**نخرة**" و"**ناخرة**" أجود الوجهين في القراءة لأن الآيات بالألف ،ألا ترى أن "**ناخرة**" و"**الحافرة**" و"**الساهرة**" أشبه بمجيء التنزيل، والناخرة والنخرة سواء في المعنى بمنزلة الطّامع الطَّمِع والبَاخِل والبَخِل"(١)

وقال في قوله تعالى: ﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر ٤) "وقد قرأ القراء "**يسرى**" بإثبات الياء و"**يسر**" بحذفها، وحذفها أحب إلىّ لمشاكلتها رءوس الآيات ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها. أنشدني بعضهم:

كفّاك كفٌّ ما تليق درهما جودا، وأخرى تَعطِ بالسيف الدما

وأنشدني آخر:

ليس تخفي يسارتي قدر يوم ولقد تخف شيمتي إعساري(٢)

فالفراء هنا يتخذ من رعاية الفاصلة وسيلة ترجيح لبعض القراءات القرآنية ويسوق رأيه مدعوما بما اثر عن العرب في شعرهم.

ومن الذين أتوا بعد **الفراء** وساروا على طريقته **ابن سيدة** (ت٤٥٨هـ) صاحب "**المحكم**" و"**المخصص**" فقد قال في قوله تعالى: ﴿**وما كنت متخذ المضلين عضدا**﴾ أي أعضادا، وإنما أفرد ليعدل رءوس الآيات بالإفراد"(٣)

و**ابن سنان الخفاجي** (ت ٤٦٦هـ) ينهج نفس المنهج حين تعرض لفواصل سورة الفجر، فلفت نظره حذف الياء من (يسر) في ﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر ٤)، ومن (الواد) في ﴿**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**﴾

---

(١) معاني القرآن ٣/٢٣١

(٢) معاني القرآن ٣/٢٦٠

(٣) المحكم ١/٢٤١ تحقيق مصطفى السقا، د.حسين نصار ط ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م الحلبي.

(الفجر ١٠)، فقال: "وحذفوا الياء من (**يسرى والوادى**) طلبا للموافقة فى الفواصل"(١)

ومن المفسرين الذين ذهبوا هذا المذهب، **النيسابورى** (ت ٥٥٠هـ) إذ يقول عند تعرضه إلى آيات "**الضحى**":

﴿**ما ودعك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيما فآوى. ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى**﴾ (الآيات ٣ – ٨)

"وحذف المفعول من قلاك، وآواك، وهداك، وأغناك للفاصلة مع دلالة قرينة الحال أو المقال"(٢)

وبهذا يجيز الحذف من الكلمة مراعاة للفاصلة مع دلالة قرينة الحال ..

ومن المفسرين أيضا الإمام الفخر **الرازى** ت ٦٠٦هـ حين يجيز الحذف من الكلمة مراعاة للفاصلة(٣) ، يتضح ذلك عند تعرضه إلى تفسير قوله تعالى: ﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر ٤) حيث قال :(إذا يسرى) بإثبات الياء، ثم قال: "وحذفها أحب إلىّ لأنها فاصلة، والفواصل تحذف منها الياءات ويدل عليها الكسرات"، فالرازى هنا يأخذ برأى **الفراء** فى قوله "وحذفها أحب إلى"(٤)

وعند تناوله لقول الله تعالى: ﴿**ما ودعك ربك وما قلى**﴾ من سورة "**الضحى**"، حيث قال: "حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الأولى فى ودعك، ولأن رءوس الآيات بالياء، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف"(٥)

---

(١) سر الفصاحة ١٧٣

(٢) النيسابورى على هامش الطبرى.١٠٨/١٢ دار المعرفة ببيروت –

(٣) التفسير الكبير للرازى ١٦٤/٣١، ٢٠٩ دار الكتب العلمية طهران.

(٤) انظر معانى القرآن ٢٦٠/٣

(٥) التفسير الكبير ٢٠٩/٣١

ثم يلقانا بعد ذلك الإمام محب الدين أبو البقاء **العكبرى** (ت٦١٦هـ) فنراه يجيز التقديم والتأخير مراعاة لرءوس الآيات، إذ يقول عند قول الله تعالى: ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ (البقرة ٣)
"**من**" متعلقة بـ "**بيتفقون**"، والتقدير وينفقون مما رزقناهم، فيكون الفعل قبل المفعول كما فى قوله يؤمنون ويقيمون كذلك، وإنما أخّر الفعل عن المفعول لتتوافق رءوس الآى"(١)

وهذا **ابن أبى الإصبع** المصرى (ت ٦٥٤هـ) يرى أن أحد أسباب التقديم والتأخير الإتيان بمقاطع الكلام مماثلة ما قبلها وما بعدها فيقول فى باب "التهذيب" عند تعرضه إلى قوله تعالى: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تُسمِعُ الصم ولو كانوا لا يعقلون. ومنهم من ينظر إليك أفأنت تَهْدِى العمىَ ولو كانوا لا يُبْصِرُون**﴾ (يونس ٤٢ – ٤٣) "فإن لقائل أن يقول: ما فائدة الفاصلتين وقد أغنى عنهما ما قبلهما؟ فيقال فى الكلام تقديم وتأخير إذا علم سقط معه السؤال، وهو أن يقال: ومنهم من ينظر إليك ولو كانوا لا يبصرون أفأنت تهدى العمى، والأخرى كذلك، ويرد على ذلك قول من يقول: فما الداعى إلى وضع الكلام على التقديم والتأخير الذى هو أحد أسباب التعقيد؟ قلت :الداعى إليه توخى الإتيان بمقاطع الكلام مماثلة ما قبلها وما بعدها من الفواصل، فإن قبلها ﴿**وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون**﴾ (يونس ٤١) وبعدها ﴿**إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون**﴾ (يونس ٤٤) ومعظم فواصل السورة على هذه الزنة والتقفية"(٢)

ومن المفسرين الذين راعوا التوافق الصوتى فى الفواصل، وما يقتضيه من تعديل فى بعض الأساليب والكلمات الإمام **القرطبى** (ت ٦٧١هـ) حيث

---

(١) املاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن . العكبرى ١٢/١ وانظر موضعا آخر ١٥٤/٢

(٢) بديع القرآن ص ١٦١

قال فى قوله تعالى ﴿**ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ (المرسلات ٣٦) "قال **الفراء**..: الفاء نسق أى عطف على "يؤذن" وأجيز ذلك لأن أواخر الكلام بالنون، ولو قال: "فيعتذروا" لم يوافق الآيات وقد قال:﴿**لا يُقضى عليهم فيموتوا**﴾ (فاطر ٣٦) بالنصب وكله صواب ومثله: ﴿**من ذا الذى يُقرِضُ الله قرضا حسنا فيضاعفه له**﴾ (البقرة ٢٤٥) بالنصب والرفع.(١)

ونلاحظ هنا أن القرطبى يردد قول **الفراء** متابعا رأيه فى الحرص على موافقة الفواصل مادام ذلك لا يخل بالمعنى وقرأ به أئمة القراءات(٢)

ثم جاء بعد ذلك "**ابن الصائغ**" (ت ٧٢٠هـ)(٣) فألف كتابه "إحكام الراى فى أحكام الآى)(٤) .. قال فيه: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول، قال: "وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على ما ينيف على الأربعين حكما، وقد نقل السيوطى عنه هذه المواضع فى كتابيه: "الإتقان"، و"معترك الأقران"(٥) ... ومن هذه الوجوه:

الأول: تقديم المعمول إما على العوامل، نحو: ﴿**أهؤلاءِ إيَّاكُم كانوا يعبدون**﴾ (سبأ ٤٠)، قيل: ومنه ﴿**وإياك نستعين**﴾ (الفاتحة ٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/١٩ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) انظر معانى القرآن ٢٢٦/٣ حيث يشير الفراء إلى من قرأ بالرفع (الكسائى وحمزة وهو) ويشير صاحب "الاتحاف" إلى (ابن عامر وعاصم ويعقوب) ممن قرأوا بالنصب (الاتحاف ١٥٩) – انظر هامش (١٠) من معانى القرآن ٢٢٦/٣

(٣) انظر الأعلام للزركلى ٣١٨/٣

(٤) لاحظ حرص ابن الصائغ على مراعاة المناسبة وتناسب المقاطع حتى فى عنوان كتابه (إحكام الراى فى أحكام الآى) حيث سهل الهمزة فى كلمة (الرأى)، فصارت (الراى) لتناسب (الآى). وذلك من تناسب المقاطع.

(٥) الإتقان للسيوطى ٣٣٩/٣ ، وما بعدها، والمعترك ٣٢/١، وما بعدها

الثاني: تقديم ما هو متأخر فى الزمـان، نحـو قولـه تعـالى: ﴿**فللـه الآخـرة والأولى**﴾ (النجـم ٢٥)، ولـولا مراعـاة الفواصـل لقدمـت "الأولى" ؛ كقوله: ﴿**له الحمد فى الأولى والآخرة**﴾ (القصص ٧٠).

وقال "**ابن الصائغ**" فى نهاية هذه الأوجه: "لا يمتنع فـى توجيـه الخـروج عـن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيـم كما جاء فى الأثر – لا تنقضى عجائبه"(١)

يفهم من قول "**ابن الصائغ**" أنه لم يجزم بأن العـدول عـن الأصـل فـى هذه المواضـع مـن أجـلّ المناسبة وحدهـا، بـل احتـاط لدفـع توهـم الإطـلاق والتعميم بهذا التعقيب: "لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل...الخ"، وهـذا الاحتراز وجيه لأنه من أسس البحث العلمى الصحيح.

ولعل عبارة "**ابن الصائغ**" هذه تدفع الباحثين إلىالاجتهاد فى البحـث عن بعض الأمور المهمة التى تتعلـق بـالمعنى، إذ مـن الثـابت أن مراعـاة المعنـى مقدمة على مراعاة اللفظ فى البناء القرآنى. ولنا وقفة مـع **ابـن الصـائغ** فيمـا بعد فى مبحث أفردناه لهذه الأحكام التى أشار إليها.

وممـن ذهبـوا مذهـب **الفـراء**: الإمـام بـدر الديـن **الزركشـى** (ت ٧٩٤هـ)، فقـد تنـاول موضـوع الفواصـل فـى كتابـه "**البرهـان**"، وخـص "**المناسبة**" بحديث طويل، فنراه يقول: "واعلـم أن إيقـاع المناسـبة فـى مقـاطع الفواصل – حيث تطـرد – متـأكد جـدا، ومؤثـر فـى اعتـدال نسـق الكـلام، وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلهـا فى مواضع...(٢)

والألوسى المفسر (ت ١٢٧٠هـ) يراعى جانب المناسبة، ولكنه يؤكد على جانب المعنى، ذلـك أنـه قـال – ردا علـى القـاضى البيضـاوى قولـه فـى

---

(١) الإتقان ٣/٣٤٥، والمعترك ١/٣٩

(٢) انظر هذه المواضع فى البرهان ١/٦٠ وما بعدها.

تفسير قوله تعالى: ﴿**إن الله بالناس لرءوف رحيم**﴾ (الحج ٦٥): ولعله قـدم "الرءوف" وهو أبلغ محافظة على الفواصل"(١) ، "وقول القاضي – بيـض الله تعالى غرة أحواله: لعل تقديم "الرءوف" مع أنـه أبلـغ محافظـة علـى الفواصـل ليس بشيء؛ لأن فواصل القرآن لا يلاحظ الحرف الأخير كالسجع، فالمراعـاة حاصلة على كل حال، ولأن "الرأفة" حيث وردت فى القرآن قدمت ولو فى غير الفواصل كما فى قوله تعالى: ﴿**رأفة ورحمة ورهبانية ٱبْتَدَعُوهَا**﴾ (الحديد ٢٧) فى وسط الآية"(٢)

ونلاحظ هنا أن **الألوسى** يرد على القاضي البيضاوى قوله بأن تقديـم "الرءوف" مع أنه أبلغ لمراعاة الفاصلة فقـط، وهـو يـرى أن المراعـاة حاصلـة، ولكن يراعى أيضا جانب المعنى، وهو أن الرأفـة مقدمـة علـى الرحمـة فـى أى موضع فى القرآن حتى ولو لم يكن ذلك فى الفاصلة، كقولـه تعـالى: ﴿**رأفـة ورحمة ورهبانية ابتدعوها**﴾ وهذا الموضع الوحيد فى القرآن فى غير الفاصلة، أما فى الفواصل فـورد فـى الآيـات (التوبـة ١١٧، ١٢٨)، (النحـل ٧،٤٧)، (الحج ٦٥)، (النور ٢٠)، (الحديد ٩)، (الحشر ١٠).

ومن المحدثين الذيـن تـابعوا **الفـراء** فـى نهجـه هـذا العـالم المستشـرق "نولدكه" فهو يرى أن القرآن التزم الفاصلة بأستعماله الناقص أو الترخيم فـى لفـظ "**سـيناء**"، والزيـادة فـى بنائهـا إلى "**سـينين**" (التـين ٢)، و"**إلياسـين**" (الصافات ١٣٠) بدلا من "**إلياس**"، ويـرى أن المعنـى يخضـع للفاصلـة فيتغـير لتتم الملاءمة، ويضرب مثلا لذلك "تحديد عدد الملائكة الذين يحفـون بـالعرش بثمانية"(٣)

---

(١) أنوار التنزيل ص ٣٠

(٢) روح المعانى ٧/٢

(٣) أثر القرآن فى تطور النقد العربى ص ٣٧٤

هذه الظاهرة استوقفت الشيخ سيد قطب وشدت انتباهه فنراه يقـرر أن ظاهرة "اتزان الايقاع فى الآيات والفواصل تبـدو واضحـة فـى آيـات القـرآن وبخاصة فى فواصله، ومن الأمثلة التـى ذكرهـا حـذف يـاء المتكلـم فـى قولـه تعـالى: ﴿**الـذى خلقنـى فهـو يهديـن. والـذى هـو يطعمنـى ويسـقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذى يميتنى ثم يحيين**﴾(الشعراء٧٨-٨١) محافظة على حرف الفاصلة.(١) وحطف الياء الأصلية من الفعل (**يسرى**) فى آية "**الفجر**" قصدا للانسجام مع (**الفجر. عشر. الوتر. حجر**) ومن الأمثلة التى ذكرها ما فيه حذف الياء فى درج الكلام نحو قوله تعالى: ﴿**يوم يدع الـداع إلى شـىء نكر. خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر**﴾ (القمر ٦ - ٨) يقول: فأنت إذا لم تخطف الآيات فى "**الداع**" أحسست ما يشبه الكسر فى وزن الشعر"(٢) ثم جاء بمثل آخر وهو قوله تعالى: ﴿**ذلك ما كنا نبـغ فـارتدا على آثارهمـا قصصا**﴾ (الكهف ٦٤) حيث يقول: فلو مددت ياء نبغـى كمـا هـو القيـاس لاختل الوزن نوعا من الاختـلال(٣) ومعنـى ذلـك أن الحـذف يقـع فـى درج الكلام لسر إيقاعى يتلاءم وجو الآية.

وأخيرا نلتقى بأستاذنا الدكتور تمام حسان الذى يرى أن مـن أغـراض التقديم والتأخير، الانتفاع بجرس اللفظ، يقول: "أما فـى القـرآن الكريـم فـإن أحد الأسباب يمكن أن يوصف بأنه "**رعاية الفاصلة**" قارن من ذلك ما يلى:

---

(١) التصوير الفنى ٨٩

(٢) التصيور الفنى ٨٩

(٣) السابق ٨٩

	رتبة أصلية	رتبة مشوشة من أجلّ الفاصلة
١	وينفقون مما رزقناهم	﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ (البقرة ٣)
٢	وهم يوقنون بالآخرة	﴿**وبالآخرة هم يوقنون**﴾ (البقرة ٤)
٣	وكانوا يظلمون أنفسهم	﴿**وأنفسهم كانوا يظلمون**﴾ (الأعراف١٧٧)
٤	﴿**فلا يؤمنون إلا قليلا**﴾ (النساء ٤٦، ١٥٥)	﴿**فقليلا ما يؤمنون**﴾ (البقرة ٨٨)

لاحظ على وجه الخصوص رقم "٤" فإنك واجد فيه شاهدين من القرآن اشتملا على ألفاظ بعينها اختلفت رتبتها فى أحدهما عنها فى الأخرى رعاية للفاصلة، وعند التفصيل المشتمل على شيء من الطباق نجد قوله تعالى: ﴿**ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**﴾ (البقرة ٨٧) بدلا من ففريقا كذبتم وفريقا قتلتم ﴿**قال سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين**﴾ (النمل ٢٧) بدلا من "أم كذبت" وقوله: ﴿**قال نَكِّرُوا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون**﴾ (النمل ٤١) بدلا من "أم لا تهتدى" كل ذلك يشهد على أن الفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة معينة فى القرآن الكريم وهذه الوظيفة جمالية تستحق الرعاية ولو تعارضت رعايتها مع بعض أنماط التراكيب النحوية"(١)

ثم يقول: "ومن المقرر فى القواعد أن الألف تنوب عن التنوين الذى بعد الفتحة عند الوقف، كما فى قوله تعالى: ﴿**فلا يؤمنون إلا قليلا**﴾ (النساء ٤٦، ١٥٥)، ولأن التنوين الذى نابت عنه الألف لا يجتمع مع أداة التعريف (ال) خلت النصوص العربية من الجمع بينهما حتى فى قوافى الشعر، لأن الألف التى تجامع (ال) فى قوافى الشعر **ألف إطلاق** وليست ألف إبدال

(١) البيان فى روائع القرآن ص ٢٨٢

أو تعويض. ومع ذلك تأتى ألف الإبدال فى القرآن فى كلمات اقترنت بـأداة التعريف، وكانت الألف فى هذه الحالة لرعاية الفاصلة(١)كما فى قوله تعالى:
﴿**وتظنون با لله الظنونا**﴾ (الأحزاب ١٠)
﴿**ياليتنا أطعنا ا لله وأطعنا الرسولا**﴾ (الأحزاب ٦٦)
﴿**إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا**﴾ (الأحزاب ٦٧).

وبعدُ كما هو الشأن فى طبائع البشر الخلاف فـى الـرأى، فرغـم كـثرة القائلين برأى **الفـراء** نجد من يخالف هذا الرأى ويـرى أن القـول بـالحذف أو الزيادة أو التقديم أو التأخير لرعاية المناسبة غير صحيح، وهؤلاء المخالفون قلة ومن المحدثين، فلم أجد – على حد علمـى – أحـدا مـن القدمـاء أنكـر ذلـك الجانب الشائع فى القـرآن الكريـم ومـن هـؤلاء الإمـام **محمـد عبـده**، فعندمـا تعرض لتفسير قوله تعالى ﴿**إن ا لله بالنـاس لـرءوف رحيـم**﴾ (البقـرة ١٤٣) ينكر أن يكون فى الآيـة تقديـم أو تأخـير مراعـاة للفاصلـة فيقـول: "إن كـل كلمة فى القرآن موضوعة فى موضعها اللائق بها فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة، لأن القول برعاية الفواصل إثبات للضرورة كما قالوا فى كثير من السجع والشعر، إنه قـدم كـذا وأخـر كـذا لأجـلّ السـجع ولأجلّ القافية، والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع، وهو من ا لله الـذى لا تعرض له الضرورة بل هو على كل شىء قدير... وعندى أن الرأفة أثر من آثار الرحمة والرحمة أعمّ، فإن الرحمة لا تستعمل إلا فى حق من وقع فى بلاء، والرحمة تشمل دفع الألم والضر، وتشمل الإحسان وزيـادة الإحسـان، فذكـر الرحمة هنا فيه معنى التعليل والسببية هو مـن قبيـل الدليـل بعـد الدعـوى فهـو واقـع فـى موقعـه كمـا تحـب البلاغـة وترضـى، وكأنـه قـال: إن ا لله رءوف بالناس؛ لأنه ذو الرحمة الواسعة، فلا يضيع عمل عـامل منهـم ولا يبتليهـم بمـا

---

(١) السابق ص ٢٨٣، ٢٨٤

يظهر صدق إيمانهم وإخلاصهم فى اتباع رسوله ليضيع عليهم هذا الإيمان والإخلاص بل ليجزيهم عليه أحسن الجزاء"(١)

إذن فالإمام **محمد عبده** لا يرى فى الآية تقديما،ولا تأخيرا وإنما هكذا جاء نسقها من الله الحكيم الخبير الذى لا تجرى عليه الضرورة ثم يوجه الآية توجيها معنويا يبين من خلاله اهتمامه بالمعنى فالرأفة أثر من آثار الرحمة والرحمة أعم.. فذكر الرحمة هنا فيه معنى التعليل وواقع فى موقعه كما تحب البلاغة وترضى.

ومن الذين خالفوا رأى **الفراء** وشددوا النكير عليه الدكتورة عائشة عبدالرحمن حيث تقول: "وفى البيئة اللغوية والبلاغية اتسع الخلاف بين مذهب **الفراء** فى أن السجع فى القرآن مقصود لذاته، وأنه ربما عدل عن نسق إلى آخر وآثر لفظا على غيره فى معناه قصدا إلى المشاكلة والتوافق بين رؤوس الآيات، وبين من أنكروا – كابن سنان الخفاجى وابن الأثير – أن تكون معانى الفواصل القرآنية تابعة للألفاظ"(٢) .

ونحن نتفق ابتداء مع الدكتورة عائشة على أن الفواصل القرآنية تابعة للمعانى، ولكنا نختلف معها فى فهمها لمذهب **الفراء**، فقد ردت قوله فى آية الفجر ﴿**والليل إذا يسر**﴾ قائلة: "صرح **الفراء** فى (معانى القرآن) بأن ياء العلة حذفت من **يسر**(ى) لمشاكله رؤس الآيات وكذلك ذهب (ابن سنان الخفاجى) فى (سر الفصاحة) إلى حذفها وحذف ياء المنقوص من **بالواد(ى)** قصدا إلى تماثل الفواصل، لأن القاعدة عندهم إثبات ياء العلة فى الفعل المضارع المرفوع وإثبات ياء الاسم المنقوص مجرورا ومرفوعا إذا اقترن بأل أو أضيف"(٣) .

---

(١) تفسير المنار ٢/١٠، ١١

(٢) الإعجاز البيانى للقرآن ص ٢٦٧

(٣) الإعجاز البيانى للقرآن ص ٢٦٧

"ويكفى للرد على من ذهبوا إلى حذف الياء من آيات الفجر لرعاية الفاصلة أن نلفت إلى أن القرآن الكريم لم يقتصر على حذفها هنا فى مقاطع الآيات ليسلم لهم القول بأن الحذف قصد إلى رعاية الفواصل وتماثل رءوس الآيات، وإنما حذفت ياء المضارع المرفوع المعتل الآخر وواوه أيضا وياء المنقوص مضافا ومعرفا بأل فى أواسط الجمل ودرج الكلام كالذى فى الآيات التالية على قراءة حفص"(١)

ومضت الدكتورة تستشهد ببعض الآيات التى وقع فيها الحذف ثم عقبت عليها بقولها "ولا مجال لقول فى هذه الآيات ونظائرها بحذف ياء المنقوص المضاف أو المعرف بأل، وآخر المضارع المرفوع المعتل بالواو أو الياء لرعاية الفواصل ومشاكلة رءوس الآى"(٢)

ومن الآيات التى استشهدت بها، بعضه يجوز الاستشهاد به وبعضه لا يجوز الاستشهاد به فمما يجوز الاستشهاد به قوله تعالى: ﴿**يوم (يأت) لا تُكَلَّم نفس إلا بإذنه**﴾ (هود ١٠٥) وقوله تعالى: ﴿**يوم يدعُ الداعِ إلى شىء نُكُر**﴾ (القمر ٦)

ومما لا يجوز الاستشهاد به قوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودى من شاطىء الوادِ الأيمن﴾ (القصص ٣٠) وقوله ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾ (النمل ١٨) ﴿وما أنت بهادِ العمى عن ضلالتهم﴾ (الروم ٥٣) ﴿إلا من هو صالِ الجحيم﴾ (الصافات ١٦٣) ﴿وله الجوارِ المنشآت فى البحر كالأعلام﴾ (الرحمن ٢٤) ﴿فلا أقسم بالخنس الجوارِ الكُنس﴾ (التكوير ١٤، ١٥).

والسبب فى عدم جوازه أن الحذف وقع للتخلص من التقاء الساكنين، ولقد احترزت الدكتورة من هذا التعليل فسبقت بالقول: "وقد يسبق إلى الظن أن الياء والواو حذفتا فيها للتخلص من التقائهما ساكنتين بساكن

---

(١) الاعجاز البيانى ص ٢٧٠

(٢) السابق ص ٢٧١

بعدهما إلا أننا نلفت إلى آيات "**هود والبقرة والقمر**" والحرف الأخير فيهما غير متلو بحرف ساكن"(١)

وهذا الرأى مع احترامنا للأستاذة بنت الشاطى لا يقوم دليلا قويا على وجهة نظرها لأن حذفها فى درج الكلام فى بعض المواضع لا يعنى تعميم الحكم فى كل موضع وبخاصة إذا كانت له علة أخرى ظاهرة ومقبولة من الوجهة اللغوية .. ذلك أن الشيخ سليمان بن عمر العجيلى المعروف بالجمل قال فى حاشيته على تفسير الجلال السيوطى فى آية (هود ١٠٥) "وقرأ أبو عمرو والكسائى ونافع "يأتى" بإثبات الياء وصلا، وحذفها وقفا، وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلا ووقفا، وباقى السبعة بحذفها وصلا ووقفا، وفى مصحف عثمان حذفها وإثباتها هو الوجه لأنها لام الكلمة وإنما حذفوها فى القوافى والفواصل لأنها محل وقوف"(٢)

يفهم من هذا أن الشيخ **الجمل** يرى أن الحذف أو الإثبات كلاهما جائز فالإثبات صواب من جهة اللغة لأنها لام الكلمة والحذف صواب من جهة الأداء الصوتى فى القراءة كما أشار إلى حذف الياء إذا كانت فى الفاصلة لأنها محل وقوف.

ونراه فى موضع آخر يقول -- وهو بصدد الحديث عن آية القمر - ﴿**فما تغن النذر**﴾ "لا ترسم الياء هنا بعد النون اتباعا لرسم المصحف ووجهه اتباع الرسم للفظ"(٣)

أى أن الرسم فى المصحف الإمام قد لحظ فيه الأداء الصوتى، كما أن أربعة من القراء قرأوا بالإثبات إن وصلا وإن وقفا.

---

(١) السابق ص ٢٧١

(٢) الفتوحات الالهية ٢/٤٢٢ ط دار الفكر بيرو

(٣) السابق ٤/٢٤١

ومن ينظر فى المصحف الإمام يجد علامات اصطلاحية فوق بعض الحروف وبعض الكلمات توجه إلى ضبط القراءة الصحيحة والأداء الصوتى الأمثل الذى يحافظ على ترسل التجويد ونغمات الترتيل.

وعلى هذا فالأدلة التى ذكرتها الأستاذة مستدلة بها على أن الحذف وقع فى وسط الكلام بلا ضرورة فواصل لا ينهض دليلا حيث جاز الحذف فى وسط الكلام كما ورد عن العرب، ولأنها ذكرت هذه الأمثلة و لم تعلل سر هذا الحذف الذى وقع فى درج الكلام و لم تذكر سببا معنويا أو لغويا ينسجم مع ما قالته قبل آيات الفجر وبعدها، ولو أصوبت لفعلت مادام القول برعاية الفاصلة لم يقع من نفسها موقع الرضا، ولعل فى نزوعها الدينى وغيرتها على القرآن وتقديسها له – وبخاصة وهى أستاذة ذات قدم راسخة فى الدراسات الدينية – ما جعلها تتحرج فى قبول مثل رأى **الفراء** الذى ظنته شكليا.

ولكن من الحق والإنصاف أن نذكر قول "بنت الشاطى" فى ختام نقاشها لهذه القضية والذى يفهم منه أنها لا تنكر الجانب الموسيقى ولا تهون من شأنه: "ومنطق الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضى لفظها فى سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه قد نتدبره فنهتدى إلى سره البيانى وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عن إدراكه ولا يظن بى أننى أهون من قيمة التآلف اللفظى والإيقاع الصوتى لهذا النسق الباهر الذى نجتلى فيه فنية البلاغة، تؤدى المعنى بأرهف لفظ وأروع تعبير وأجمل إيقاع"(١)

وبعد إذ ثبت – من خلال هذه المناقشة – ما للفواصل القرآنية من ميزة الانسجام الايقاعى والتوافق الصوتى مع باقى الفواصل السابقة لها واللاحقة بها، فهل يطرد ذلك التوافق فى فواصل القرآن اطرادا يقتضى التعديل فى التعبير أو العدول عن الأصل بتقديم كلمة أو تأخير أخرى أو زيادة حرف أو حذف آخر أو تغيير فى بنية الكلمة أو تفضيل لفظ على آخر؟ هذا ما سنبينه فيما يلى:

---

(١) الإعجاز البيانى ص ٢٧٨

الفصل الخامس

الفاصلة ومراعاة المناسبة

- موقف العلماء من هذه الظاهرة فى فواصل القرآن.
- ابن الصائغ الحنفى ومراعاة المناسبة.

الفاصلة ومراعاة المناسبة

-موقف العلماء من هذه الظاهرة فى فواصل القرآن.

لا شك أن للنسق الموسيقى أثرا لا يخفى، وعناية العرب به لا تقل بحال عن عنايتهم بالمعانى التى يريدون إقرارها وتثبيتها فى النفوس؛ لذلك شغفوا بموسيقى اللفظ وازدانت بها لغتهم منذ نشأتها نظما ونثرا إذ كانوا مفتونين بالوزن، شديدى العناية بالتنغيم فى كلامهم عن طريق التناسب بين المقاطع، والمزاوجة بين العبارات، وقد يخرجون الكلمة عن أوضاعها فيغيرون بنيتها، أو يحذفون منها، أو يزيدون فيها؛ لحسن التعادل وتكافؤ المقاطع.

يقول **سيبويه** (ت ١٨٥هـ): "وجميع ما لا يحذف فى الكلام وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف فى الفواصل والقوافى. فالفواصل قول الله عزّ وجل: ﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر ٤)، و﴿**ما كنا نبغ**﴾(١) (الكهف ٦٤)، و﴿**يوم التناد**﴾ (غافر ٣٢)، و﴿**الكبير المتعال**﴾ (الرعد ٩). والأسماء أجدر أن تحذف؛ إذ كان الحذف فيها فى غير الفواصل والقوافى. وأما القوافى، فنحو قوله - وهو **زهير**-:

وأراكَ تفرِى ما خلقتَ وبعـ ... ـضُ القومِ يخلَق ثـم لا يَفْـرْ

وإثبات الياءات والواوات أقيس الكلامين. وهذا جائز عربى كثير"(٢)

ويقول **الفراء** (ت ٢٠٧هـ): فى قوله تعالى: ﴿... **ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**﴾ (الأحزاب ٦٦).

وقوله: ﴿**وأطعنا الرسولا**﴾ يوقف عليها بالألف وكذلك ﴿**فأضلونا السبيلا**﴾ ﴿**والظنونا**﴾ يوقف عليها بالألف؛ لأنها مثبتة فيهن، وهى مع

---

(١) "ما كنا نبغ" ليس بفاصلة كما ذكر سيبويه.

(٢) كتاب سيبويه ١٨٥/٤

آيات بالألف وكان حمزة والأعمش يقفان على هؤلاء الأحرف بغير ألف فيهن وأهل الحجاز يقفون بالألف، وقولهم أحب إلينا لاتباع المصحف، ولو وصلت بالألف لكان صوابا لأن العرب تفعل ذلك، وقد قرأ بعضهم(١) بالألف في الوصل والقطع.(٢)

فالفراء يرى أن الوقف عليها بالألف أحب إليه وبخاصة أنها جاءت مع آيات بالألف، ولو وصلت بالألف لكان صوابا لأن العرب تفعل ذلك، فيجوز الوقف والوصل بالألف.

ويقول في قوله تعالى: ﴿**لا تخاف دركا ولا تخشى**﴾ (طه ٧٧)
فإن قلت: كيف أثبتت الياء في "تخشى"؟ قلت: في ذلك ثلاثة أوجه: إن شئت استأنفت "ولا تخشى" بعد الجزم، وإن شئت جعلت "تخشى" في موضع جزم وإن كان فيها الياء؛ لأن من العرب من يفعل ذلك، قال بعض بني عبس:(٣)

أ لم يَأْتِيكَ والأنباءُ تَنمِي ... بما لاقتْ لَبُونُ بني زِيادِ

فأثبتت الياء في "يأتيك" وهي في موضع جزم، لأنه رآها ساكنة فتركها على سكونها – فجاز ذلك – والوجه الثالث: أن تكون [الألف](٤) صلة لفتحة الشين، كما توصل القوافي بإعراب رويها كقول الأعشى:

بانت سعادُ وأمسى حبلُها انقطعا

وقول الآخر:

أمن أم أوفى دِمنة لم تكلمي(٥)

---

(١) هم نافع وابن عامر (القرطبي ١٤/٩٥).

(٢) يقصد بالقطع: "الوقف" (معاني القرآن للفراء ٢/٣٥٠).

(٣) هو قيس بن زهير (معاني القرآن ١/١٦١ هامش ٧، ٢/١٨٨).

(٤) في معاني القرآن الياء لتمثيل آخر فجعلناها (الألف) لتوافق التمثيل.

(٥) معاني القرآن ١/١٦٢، ٢/١٨٨ وعجز البيت الأول

واحتلت الغور فالجدّين فالفرعا

وجاء فى تفسير **القرطبى**: أن القراء قد اختلفوا فيها فمنهم من أثبت ألفاتها فى الوقف والوصل كنافع وابن عامر، ومنهم من تمسك بخط المصحف (مصحف عثمان) كأبى عمرو والكسائى، واختاره أيضا أبو عبيدة إلا أنه قال: لا ينبغى للقارىء أن يدرج القراءة بعدهن لكن يقف عليهن، قالوا: ولأن العرب تفعل ذلك فى قوافى أشعارهم ومصاريعها؛ قال:

نحن جلبنا القَرَّح القوافِلا　　　تستنفرُ الأواخرُ الأوائلا(١)

ويؤيد ذلك قول **ابن قتيبة** (ت٢٧٦هـ) "وإنما يجوز فى رءوس الآى أن يزيد هاء للسكت كقوله: ﴿**وما أدراك ماهيه**﴾ (القارعة ١٠) وألفا كقوله: ﴿**وتظنون با لله الظنونا**﴾ (الأحزاب ١٠) أو يحذف همزة من الحرف كقوله تعالى ﴿**أثاثا ورئيا**﴾(٢) (مريم ٧٤) أو ياء كقوله :﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر ٤) لتستوى رءوس الآى على مذاهب العرب فى الكلام إذا تم فآذنت بانقطاعه وابتداء غيره؛ لأن هذا لا يزيل معنى عن جهته ولا يزيد ولا ينقص"(٣) .

ويقول **ابن جنى** (ت ٣٩٢هـ): "ألا ترى أن العناية فى الشعر إنما هى بالقوافى لأنها المقاطع، وفى السجع كمثل ذلك وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمس، والحشد عليها أوفى وأهم،

وعجز البيت الثانى من مطلع قصيدة زهير:

بحومانة الدراج فالمتثلم

(١) تفسير القرطبى ٩٦/١٤

(٢) الرئى: المنظر والاشارة والهيئة – تفسير غريب القرآن ص ٢٧٥ ط بيروت ١١٨

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٤٤٠

وكذلك كلما تطرف الحرف فى القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه"(١)

وذكر **ابن فارس** حديثا مطولا عن سنن العرب التى يسلكونها فى أشعارهم ومخاطباتهم والتى نزل القرآن بها(٢) فيقول: "وقد جاء القرآن بجميع هذه السنن لتكون حجة الله عليهم آكد، ولئلا يقولوا: إنما عجزنا عن الإتيان بمثله؛ لأنه بغير لغتنا وبغير السنن التى نستنها فأنزله جل ثناؤه بالحروف التى يعرفونها بالسنن التى يسلكونها فى أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشهر"(٣).

فمن سنن العرب "التكرير والإعادة" إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عُبَاد:

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال(٤)

فكرر قوله: "قربا مربط النعامة منى" فى رءوس أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الإبلاغ فى التنبيه والتحذير...

قال علماؤنا: فعلى هذه السنة جاء ما جاء فى كتاب الله جل ثناؤه من قوله ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾(٥) (الرحمن مكرر).

والعرب تصف الجمع بصفة الواحد كقوله جل ثناؤه ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ (التحريم ٤).

ويقولون: "قوم عدل ورضىً"

---

(١) الخصائص لابن جنى ٨٥/١

(٢) ذكر السيوطى فى "المزهر" فصلا عن هذه السنن نقلا عن الصاحبى وغيره (انظر المزهر ٣٣٢/١ وما بعدها).

(٣) الصاحبى ٣٢٣

(٤) الصاحبى ٣٤١ – الأمالى ١٣١/٢ وأمالى المرتضى ١٢٦/١ ويقصد بالنعامة اسم فرسه.

(٥) السابق ٣٤٢

قال زهير:

وإن يشتجر قوم يقل سَرَاتهم   هم بيننا فهمُ رضى وهمُ عدل(١)

ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع، فيقال للرجل: "انظروا فى أمرى" .... قال جل ثناؤه ﴿قل رب ارجعون﴾(٢) (المؤمنون ٩٩).

"ومن سنن العرب "**المحاذاه**" ان يجعل كلام بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظا، وإن كانا مختلفين، فيقولون: "الغدايا والعشايا"، فقالوا: "الغدايا" لانضمامها إلى "العشاي"(٣)

ثم نلتقى **بأبى هلال العسكرى** (ت ٣٩٥هـ) حيث يقول فى هذا الصدد: "ينبغى أن تكون فواصل الكلام على زنة واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن... كقول بعضهم: اصبر على حر اللقاء ومضض النزال..

فلو قال على حر الحرب ومضض المنازلة. لبطل رونق التوازن، وذهب حسن التعادل"(٤)

ويمثل ذلك قال **الثعالبى** (ت ٤٢٩هـ): "كانت العرب تزاوج بين كلمات تتجانس مبانيها وتتكافأ مقاطعها ومعانيها، فيقولون: "القلة ذلة، والوحدة وحشة، واللحظة لفظة، والهوى هوان... والرمد كمد"(٥)

وفى "لسان العرب" **لابن منظور** (ت ٧١١هـ) جاء من ذلك قول ابن مقبل:

---

(١) الصاحبى ٣٥١ – انظر البيت ديوان زهير ١٠٧

(٢) السابق ٣٥٣ – انظر تفسير الطبرى ١٨/٤٠،٤١

(٣) الصاحبى ٣٨٤ – انظر المزهر ٣٣٩/١

(٤) كتاب الصناعتين ٢٨٩

(٥) يتيمة الدهر ٢٠٢/٤

هتّاكُ أخبيةٍ ولاجُ أبْوبةٍ   يخلط بالبر منه الجد واللينا

فإنما قال أبوبةٍ للازدواج لمكان أخبيةٍ(١)

ويقول **النويرى** (ت ٧٣٢هـ): "قد نراهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها من أجلّ التوافق النغمى فى الازدواج فيقولون: آتيك بالغدايا والعشايا، وهنأنى الطعام ومرأنى"(٢)

من هذا يتبين لنا أن العرب كانوا شديدى الاهتمام بموسيقى اللفظ وانسجام العبارة، وما التنوين والإعراب سوى بعض آلات الموسيقى اللفظية، وما التسجيع، والتجنيس، والتوازن، والازدواج، وقوانين الإعلال والإبدال، والفك والإدغام، والترقيق والتفخيم، والنبر والتنغيم، وعدم جواز الابتداء بالساكن، وعدم جواز لالتقاء الساكنين، – ما هذه كلها سوى مظاهر أخرى لاهتمامهم المفرط بجمال الرنة، وحُسن الإيقاع".

إذن فلا عجب أن يراعى القرآن ذلك الجانب المؤثر لأنه نزل بلغة العرب، وجرى على ما يستحب العرب من موافقة المقاطع ومراعاة التناسب. ولهذا أتت لغة القرآن محافظة على ذلك التناسب الصوتى – فى كلماته وجمله ومقاطعه وفواصله – ببعض الترخصات اللغوية – كالحذف أو الزيادة أو التغيير فى بنية الكلمة – وببعض صور العدول عن الأصل، كتقديم كلمة، أو تأخير أخرى، أو إيثار صيغة على أخرى مما يثبت أن العطاء الموسيقى أقوى من العطاء اللغوى إن وضع فى مقابله. وكأن للحفاظ على التناسب الصوتى فى القرآن قيمة أكبر من الحفاظ على بعض العلاقات الجزئية ما دام الترخص فيها لا يشكل غموضا أو التباسا أو إخلالا بالمعنى والذهاب ببلاغته وهذا ما أثبتناه وأكدنا عليه من خلال ما أوردنا من آراء العلماء والمفسرين ومناقشة المنكرين.

---

(١) لسان العرب مادة "بوب"" وقيل البيت للقلاخ بن حباية – راجع تفسير التحرير والتنوير ٣٧٨/٢٩، وفيه ورد عجز البيت *يخلط البر منه ....*

(٢) نهاية الأرب ١٠٣/٧ – "الغدايا" إذا أفردت قيل الغدوات و"رأنى" إذا أفردت قيل أمرأنى.

ابن الصائغ الحنفي ومراعاة المناسبة:

ذكرنا فيما سبق رأى **الفرَّاء** ومن تبعه ومنهم **ابن الصائغ** الذى ركز اهتمامه على هذا الجانب ووجه رغبته إلى تتبع الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة (مناسبة الفواصل بعضها لبعض) فعثر على ما ينيف على أربعين حكما ذكرنا بعضها على سبيل التمثيل وأحلنا القارىء على بعضها الآخر فى مظانه وقد أشرنا سابقا بأن لنا وقفة مع **ابن الصائغ** لمناقشته فى هذه الوجوه التى ذكرها فى مبحث أفردناه لذلك.. ومع أن **ابن الصائغ** لم يفته أن ينبه إلى أنه لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات التى ذكرها أمور أخرى تتعلق بالمعنى وترتبط بالسياق مع مراعاة المناسبة، إلا أننا نأخذ عليه:

أولا: المبالغة فى قضية مراعاة المناسبة حتى نقل ما لا يصح وقوعه فى القرآن كقوله فى الحكم (الثانى والعشرين): "الاستغنا بالتثنية عن الإفراد نحو: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ (الرحمن ٤٦) قال **الفرَّاء**: أراد جنة، كقوله: ﴿**فإن الجنة هى المأوى**﴾ (النازعات ٤١) فثنى لأجل الفاصلة.

والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام وقد أنكر ذلك **ابن قتيبة** وأغلظ فيه، وقال: إنما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همزة أو حرف، فأما أن يكون الله وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآى فمعاذ الله وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين، قال: ﴿**ذواتا أفنان**﴾ ثم قال: "فيهما"(١) (الرحمن ٤٨، ٥٠)

---

(١) معترك الأقران ٣٦/١، ٣٧ والاتقان ٣٤٢/٣، والبرهان ٦٥/١ ونص الآية ﴿**فيهما عينان تجريان**﴾

ثانيا: لم يذكر بعض الأمـور الأخرى التى أشـار إليهـا والتـى تتعلـق بالمعنى وترتبط بالسياق بل صرف همه وجهده إلى المناسبة اللفظية وحدها إلى الحد الذى يقول معه: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربيـة يرتكـب لها أمور من مخالفة الأصول..."(١)

والحق ألا ينظر إلى بلاغة القرآن هذه النظرة الضيقة التى لا تكاد تجـاوز الألفاظ والصيغ بل يجب تأملها وتدبرها لمعرفة ما اكتن فيها من بدائع الأسرار ودقائق الأغراض.

وقد نبّـه إلى ذلـك الإمـام **عبدالقـاهر** الجرجـانى بقولـه: "... وكذلـك صنعوا فى سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون فـى الحـذف والتكـرار والاظهـار والإضمار والفصل والوصـل، ولا فـى نـوع مـن أنـواع الفـروق والوجـوه إلا نظرك فيما غيره أهم لك، بـل فيمـا إن لم تعلمـه لم يضـرك ... وهـل يكـون أضعف رأيا وأبعد من حسن التدبـر منـك إذا أهمـك أن تعـرف الوجـوه فـى "أأنذرتهم" وتعرف "الصراط" و"الزراط" وأشباه ذلك مما لا يعدو علمك فيـه اللفظ وجرس الصوت ولا يمنعك -إن لم تعلمه - بلاغة"(٢)

ويقول فى موضع آخـر: "لا يكفـى فـى علـم الفصاحـة أن تنصـب لها مقياسا، وأن تصفها وصفا مجملا، وتقول فيها قولا مرسلا، بل لا تكـون مـن معرفتها فى شىء حتى تفصل القول وتحصل، وتضع اليد على الخصائص التـى تعرض فى نظم الكلام، وتعدها واحدة واحدة، وتسميها شيئا شـيئا، وتكـون معرفتك معرفة الصانع الحاذق، الذى يعلم علم كل خيط من ابـر الابـر يسـم الذى فى الديباج، وكل قطعة من القطـع المنجـورة فـى البـاب المقطـع، وكـل آجر من الآجر الذى فى البناء البديع، وإذا نظـرت إلى الفصاحـة هـذا النظـر، وطلبتها هذا الطلب، احتجت إلى صـبر علـى التـأمل، ومواظبـة علـى التدبـر،

---

(١) نفسه ٣٣/١

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٠٩، ١١٠ تحقيق محمود شاكر.

وأبيت إلا أن تكون هنالك، فقد أممت إلى غرض كريم، وتعرضت لأمر جسيم، وآثرت التى هى أتم لدينك وفضلك وأنبل عند ذوى العقول الراجحة لك وذلك أن تعرف حجة الله تعالى من الوجه الذى هو أضوأ لها وأنوه لها وأخلق بأن يزداد نورها سطوعا"(١)

وذكر **الزمخشرى** فى كشافه القديم أنه "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعانى على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة فى السمع، السَّلِسَة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة، فأما أن تُهمَل المعانى ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه على بال فليس من البلاغة فى فتيل أو نقير.."(٢)

وفيما يلى سنعرض الأحكام التى وقف عليها **ابن الصائغ** حكما حكما معقبين عليها بإظهار بعض الأغراض والدقائق واللطائف البلاغية التى تتعلق بالمعنى من حيث ارتباط الفاصلة بقرينتها كما يمليه علينا السياق وحسبما يتيسر لنا من الاستعانة بالمصادر والمراجع المتخصصة.

قال **ابن الصائغ**: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول... وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف وأربعين حكما".(٣)

أحدها: تقديم المعمول، إما على العامل، نحو: ﴿**أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**﴾ (سبأ ٤٠). قيل: ومنه: ﴿**وإياك نستعين**﴾ (الفاتحة ٥) أو على الفاعل، نحو: ﴿**ولقد جاء آل فرعون النذر**﴾ (القمر ٤١)
ومنه تقديم خبر كان على اسمها: ﴿**ولم يكن له كفوا أحد**﴾ (الاخلاص٤)

---

(١) نفسه ص ٣٧ – ٣٨

(٢) البرهان للزركشى ٧٢/١ ولم أجد هذا القول فى الكشاف.

(٣) الاتقان ٣٣٩/٣ وما بعدها ومعترك الأقران ٣٢/١ وما بعدها.

فى قوله تعالى: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ "الخطاب للملائكة وهو تقويع للكفار وارد على المثل السائر: إياك أعنى واسمعى ياجارة - وهو نحو قوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأُمِّىَ إلهين من دون الله﴾ (المائدة ١١٦) وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين بُرَآءَ مما وجهه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ، وخجلهم أعظم، وهَوَانهم ألزم، ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه"(١) وفيه إقناط للمشركين عما علقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم، وتخصص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتوهم عن عباداتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الأولوية.(٢)

إذن فتقديم المعمول "إياكم" على العامل "يعبدون" اقتضاه المعنى كما يفهم من السياق هذا فضلا عن مراعاة المناسبة وفى قوله تعالى ﴿وإياك نستعين﴾ لم يكن تقديم المعمول لغرض الفاصلة بالدرجة الأولى وإنما مراعاة المعنى تقتضى ذلك .. فإذا أتم الحامدُ حَمْدَ ربه يأخذ فى التوجه إليه بإظهار الإخلاص له انتقالا من الإفصاح عن حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده من إفراده بالعبادة والاستعانة .... والحصر المستفاد من تقديم المعمول فى قوله تعالى: "إياك نعبد" حصر حقيقى لأن المؤمنين الملقنين لهذا الحمد لا يعبدون إلا الله، .. "وإياك نستعين" جملة معطوفة على جملة "إياك نعبد"، وإنما لم تفصل عنها بطريقة تعداد الجمل مقام التضرع ونحوه من مقامات التعداد والتكرير كُلاً أو بعضا للإشارة إلى خطور الفعلين جميعا فى إرادة المتكلمين بهذا التخصيص، أى نخصك بالاستعانة أيضا مع تخصيصك بالعبادة.. والمقصود هنا الاستعانة على الأفعال المهمة كلها التى أعلاها تلقى الدين وكل ما يعسر على المرء تذليله من توجيهات النفوس إلى الخير وما

---

(١) الكشاف٣/٢٩٢، ٢٩٣

(٢) تفسير أبى السعود ٧/١٣٦، ١٣٧

يستتبع ذلك من تحصيل الفضائل، وقرينة هذا المقصود رسمه فى فاتحة الكتاب ووقوع تخصيص الإعانة عقب التخصيص بالعبادة، ولذلك حذف متعلق نستعين الذى حقه أن يذكر مجرورا بـ"على" وقد أفاد هذا الحذف الهام عموم الاستعانة المقصودة على الطلب من الله تأدبا معه تعالى .. والحصر المستفاد من التقديم فى قوله ﴿**وإياك نستعين**﴾ حصر ادعائى للمبالغة لعدم الاعتداد بالاستعانات المتعارفة بين الناس بعضهم ببعض فى شئونهم، ومعنى الحصر هنا، لا نستعين على عظائم الأمور التى لا يتسعان فيها بالناس إلا بالله تعالى، ويفيد هذا القصر فيهما التعريض بالمشركين الذين يعبدون غير الله ويستعينون بغيره ولما كان مقام هذه الآية مقام مفتتح الوحى والتشريع واستهلال الوعظ والتقريع ناسب تأكيد الحكم بالقصر مع التعريض بحال الشرك الشنيع.(١)

أما عن قوله تعالى : ﴿**ولقد جاءَ آلَ فرعونَ النذر**﴾ حيث تقدم المعمول "آل فرعون" على الفاعل، وأخر الفاعل "النذر" لأجل الفاصلة، لا يكفى القول بمرعاة الفاصلة لأن للمعنى دوره فى ورود النظم القرآنى على ما هو عليه؛ إذ لمّا .. لما كثرت الانذارات وتكررت لآل فرعون، لأنهم كفروا بالله وأفسدوا فى الأرض وكذبوا بالآيات (المعجزات) التى أُعطِيَها موسى - عليه السلام - ، كان الاهتمام هنا بتقديم ذكرهم لإبراز موطن العناد والتكذيب اللذين بهما استحقوا العذاب، لذلك صُدِّرت قصتهم بالقسم المؤكد لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغايةٍ عَظُمَ ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لا قوه من العذاب ولعل فى ذلك مسرة ووعظا عندما يعلم الناس أن آل فرعون الطغاة البغاة أُخِذوا أخذ عزيز مقتدر.

أما بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿**ولم يكن له كفوا أحد**﴾ قال **الزمخشرى**: ﴿**ولم يكن له كفوا أحد**﴾ تقرير لنفى الشبه والمجانسة (المماثلة) للحكم به فإن قلت الكلام العربى الفصيح أن يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ولا يقدم، فما باله مقدما فى أفصح كلام وأعربه؟ قلت: هذا الكلام إنما سيق

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١/١٧٧ - ١٨٥ (بتصرف).

لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه، وهذا المعنى مصبُّه ومركزه هو وهذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه"(١)

إذن فالغرض الذى يرمى إليه المعنى من هذا التقديم هو تقرير نفى المكافئة والمماثلة عن ذاته عز وجل.

الثانى :تقديم ما هو متأخر فى الزمان نحو: ﴿**فلله الآخرة والأولى**﴾ (النجم ٢٥) ولولا مراعاة الفواصل لقدمت "الأولى" كقوله: ﴿**له الحمد فى الأولى والآخرة**﴾ (القصص ٧٠) لإدراك الملحظ البيانى فى تقديم الآخرة على الأولى فى آية النجم ننظر إلى الآيات المصاحبة للآية حتى يساعدنا السياق على فهم المعنى الصحيح – قال تعالى: ﴿**إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى. وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾ (النجم ٢٥، ٢٦)

"**أم للإنسان ما تمنى**" أم منقطعة مقدرة بـ "بل" وهى للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهو أنفسهم إلى بيانِ أن ذلك لا يجدى نفعا لهم فى الآخرة، فليست لهذه الأصنام شفاعة عند الله، والهمزة للإنكار والنفى، أى بل ليس للإنسان كل ما يتمناه .. وفى تقديم الآخرة تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان كل ما يتمناه حتما، فإن اختصاص ملك أمور الآخرة والأولى به تعالى مقتضٍ لانتفاء أن يكون للإنسان أمر ما، وقدمت الآخرة لقطع أهم أطماعهم عندهم منَ الفوز فيها لذا أردف ذلك بقوله تعالى :﴿**وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا**﴾، وإقناطهم عما طمعوا به من شفاعة الملائكة (عليهم السلام) موجب لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق أولى، "وكم" خبرية مفيدة للتكثير ... وجمع الضمير فى

(١) الكشاف ١/٢٩٩ وراجع أيضا روح المعانى ٣٠/٢٧٧ وتفسير أبى السعود ٩/٢١٣

شفاعتهم مع إفراد الملك باعتبار المعنى وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ فى قوله ﴿**فلله الآخرة والأولى**﴾ يفيد القصر بأن الأمور تسير وفق إرادة الله تعالى لا وفق ما يتمناه الإنسان.(١)

وإذا كان ما يتمناه هؤلاء من شفاعة الأصنام لهم - وهذا لا يكون إلا فى الآخرة وعند الحساب - مستحيلة لأن أحداً لا يملك الشفاعة إلا من أذن له الله بها؛ لذلك قدمت الآخرة على الأولى فى هذا الموضع.

إذن فتقديم الآخرة على الأولى فى هذا الموضع هو الأنسب والذى يقتضيه السياق ولأنه يتسق لفظيا مع الايقاع الموسيقى للفاصلة فضلا عن اتساقه المعنوى.

الثالث: تقديم الفاضل على الأفضل، نحو: ﴿**برب هارون وموسى**﴾ (طه ٧٠) وتقدم ما فيها.

ولكى نتبين العلة المعنوية والغرض من التقديم فى هذه الآية وآية الشعراء حيث تقدم ذكر موسى على هارون. نذكر الآيات التى ورد فيها السياق، ففى سورة طه ﴿**فأوجس فى نفسِه خيفةً موسى. قلنا لا تخفْ إنك أنت الأعْلى. وألق ما فى يمينك تلقفْ ما صنعوا، إنما صنعوا كيدُ ساحر ولا يُفْلِحُ السَّاحرُ حيثُ أتى. فأُلْقِيَ السحرةُ سُجَّدا قالوا آمنا برب هارون وموسى**﴾ (طه ٦٧ - ٧٠)

وفى سورة الشعراء: ﴿**فَأَلْقَى موسى عصاهُ فإذا هى تلقف ما يأفِكون. فأُلْقِيَ السحرةُ ساجدين. قالوا آمنا بِرب العالمين. ربِ موسى وهارون**﴾ (الشعراء ٤٥ - ٤٨)

صحيح أن أواخر الآى فى سورة (طه) تقتضى أن يكون (موسى) فى آخر الآية، وفى الشعراء تقتضى أن تكون كلمة (هارون) هى الفاصلة ولكن هناك

---

(١) تفسير أبى السعود ١٥٨/٨، ١٥٩ والألوسى ٥٨/٢٧، ٥٩

ملحظا آخر يقتضى تقديم ما قدم وتأخير ما أخر وهذا يدعونا إلى استعراض سياق القصتين فى السورتين:

أولا: أن ذكر **(هارون)** تكرر فى سورة **(طه)** كثيرا وقد جعله الله شريكا لموسى فى تبليغ رسالته فى حين لم يرد فى سورة الشعراء إلا قليلا. من ذلك ما نقرأه فى سورة "طه":

قوله تعالى: ﴿**وَٱجْعَل لِى وزيرًا مِّنْ أَهْلِى. هارونَ أخى. ٱشْدُدْ بِه أزرِى. وَأَشْرِكْهُ فى أمرى**﴾ (٢٩ - ٣٢)

وقوله: ﴿**اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى**﴾ (طه ٤٢). فقد أمر كلا من موسى وهارون بالذهاب بآياته ولم يخص موسى بذاك.

وكرر ذلك فقال: ﴿**إذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**﴾ (٤٣ - ٤٤).

وكان الجواب صادرا منهما معا: ﴿**قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى**﴾ (٤٥)

وقد طمأنهما ربهما فقال: ﴿**قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى**﴾ (٤٦).

وأمرهما معا فقال: ﴿**فائتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك**﴾ (٤٧)

وكان خطاب فرعون لهما معا: ﴿**قال فمن ربكما ياموسى**﴾ (٤٩) ولم يقل له: فمن ربك؟

ونسبهما كليهما إلى السحر فقال: ﴿**إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾ (٦٣).

وقد ورد تخليف موسى لهارون فى قومه فنصح لهم فى غيبته. قال تعالى:

﴿**وقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى**﴾ (٩٠)

ولقد عاتب موسى أخاه هارون بشده: ﴿**قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا. ألا تتبعن**﴾ (٩٢ - ٩٣).

فى حين لم يرد هارون فى سورة "الشعراء" إلا قليلا وهو قوله تعالى:

﴿**فأرسل إلى هارون**﴾ (١٣) وقوله تعالى:

﴿**فاذهبا بآياتنا أنا معكم مستمعون**﴾ (١٥)

وفيما كان الخطاب – فى آيات طه – موجها إلى موسى وهارون معا كان موجها إلى موسى وحده فى الشعراء: ﴿**قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين**﴾ (٢٩).

وقد نسب موسى وحده إلى السحر ولم ينسب معه هارون كما جاء فى "**طه**" فقال جلّ ثناؤه: ﴿**إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره**﴾ (٣٤ – ٣٥) ولم يرد ذكر لهارون بعد هذا.

فأنت ترى أن القصة فى "طه" مبنية على التثنية وأنها فى "الشعراء" مبنية على الأفراد.

ذكر فى آيات "طه" خوف موسى ﴿**فأوجس فى نفسه خيفة موسى**﴾ (٦٧) ولم تذكر حالة الخوف فى "الشعراء" بمعنى أنه ذكرت جوانب الكمال والقوة فى "موسى" فى "الشعراء" ولم تذكر حالة الضعف البشرى الذى اعتراه. فاقتضى كل ذلك المغايرة فى التعبير بين القصتين.(١) لذلك كان التقديم والتأخير بين الاسمين حسبما يقتضيه السياق ويتطلبه المعنى ويؤكده الايقاع.

ومما ذكر أيضا فى بيان ذلك: "أن بدأهم بمن ليس أفضل دال على إظهار قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها، وذلك أن الآية لم تظهر على يد هارون، ولم يكن هو الغالب، وليس فى تقديم موسى الذى لقفت عصاه ما صنعوا شيء يلفت لأنه هو الأصل (وهو صاحب المعجزة) أما تقديم من لا دخل له فى المعجزة التى عليها آمنوا فهو الأمر اللافت لأنه جاء على خلاف الأصل"(٢)

وعندما نقرأ القصة ونتابع السياق نجد أن اهتماما كبيرا من السحرة ويقينا مطلقا بغلبتهم بدليل قوله تعالى ﴿**فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإن**

---

(١) التعبير القرآنى ص ١٩٩ – ٢٠٠

(٢) الإعجاز البلاغى فى تراث أهل العلم ١٩٩ – ٢٠٠

لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين. قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين﴾ (الشعراء ٤١ - ٤٢) فلما جاء الأمر على خلاف ما أيقنوا وأمّلوا كان من المناسب أن يقلبوا القضية فيقدموا الفاضل على من هو أفضل وعلى هذا فالتقديم أفاد تأكيد الإيمان بموسى عليه السلام (صاحب المعجزة) وكذلك الإيمان بهارون، كما أفاد الدلالة على هول المفاجأة مما أدى إلى قلب الاعتقاد لدى السحرة من يقين بالنصر إلى هزيمة منكرة شنعاء، فكأن قلب الحقيقة فى التعبير دل على قلب الحقيقة فى الاعتقاد، وبذلك تناسب هذا التعبير بما فيه من تقديم مع حالتهم النفسية.

وللأستاذ عبدالكريم الخطيب تعليل طريف إذ يقول: "والأمر عندنا أهون من هذا وأقرب متناولا فهذه المقولات الثلاث التى حكاها القرآن على لسان السحرة هى جميعها من مقولاتهم فى تلك الحال فقال بعضهم **﴿رب هارون وموسى﴾** وقال بعض آخر **﴿رب موسى وهارون﴾** وقال بعض ثالث: **﴿رب العالمين﴾** وقال بعض رابع ... وخامس ... وهكذا. قالوا جميعا مقولات تدل على الإيمان با لله، قالوها بأساليب مختلفة وبصور متباينة .. جهر بها بعضهم، وخافت بها بعضهم .. ومحال أن يكونوا جميعا قالوا قولا واحدا على صورة واحدة، وكان الذى حكاه القرآن من مقولاتهم هو الوجه الغالب فيها .. وهذا ما يتفق وصدق القرآن وإعجازه"(١)

وعلاوة على ذلك هناك وجه آخر وهو أن سورة **(طه)** تبدأ بالحرفين: **الطاء والهاء**. وسورة الشعراء تبدأ بـ **(طسم)**. فكلتا السورتين تبدأ **بالطاء** غير أن الحرف الأخير من **(طه)** هو **الهاء** وهو أول حرف من هارون وليس فيها حرف من حروف موسى. والحرف الأخير من(طسم) هو **الميم** هو أول حرف من حروف (موسى) وليس فيها حرف من حروف هارون. **أفلا** يزيد حسنا على حسن تقديم هارون على موسى فى طه وتقديم موسى على هارون فى **الشعراء**؟

---

(١) إعجاز القرآن للخطيب ٢١٩/٢ ، ٢٢٠

وقد ترى ذلك إغراقا فى التعليل وربما كان ذاك إلا أن العجيب أن كل سورة تبدأ بالطاء ترد فيه قصة موسى فى أوائلها مفصلة قبل سائر القصص مثل **طه، وطس، وطسم (القصص)، وطسم (الشعراء)** وليس فى المواطن الأخرى مما يبدأ بالحروف المقطعة مثل ذلك. فالقاسم المشترك فيما يبدأ بالحرف (**ط**) قصة موسى مفصلة فى أوائل السورة. والملاحظة الأخرى أن ما يبدأ بـ (**طسم**) تكون قصة موسى فيها أطول مما يبدأ بـ (**طس**) فكأن زيادة الميم أشعار بزيادة القصة. فانظر يرعاك الله أى سر من أسرار التعبير هذا؟(١)

الرابع: تقديم الضمير على ما يفسره نحو:﴿ **فأوجس فى نفسه خيفة موسى**﴾ (طه ٦٧) والحاصل هنا أن تأخير الفاعل وتقديم المفعول ليس لمراعاة الفاصلة فحسب "وإنما للتأخير حكمة أخرى وهى أن النفس تتشوق لفاعل "**أوجس**" فإذا جاء بعد أن أخر وقع من النفس بموقع"(٢)

وهذا التعليل يغلب عليه طابع العموم، والحق أن موسى مؤيد من ربه فهو – سبحانه – معه يسمع ويرى ولما كان توجُّس الخوف يشعر بدنو منزلة موسى – عليه السلام – فى هذا الموقف أشعر النظم الكريم بأن ذلك ينبغى أن يكون بعيدا عنه لذلك أعقبه بقوله ﴿**قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى**﴾ والأعلى لا ينبغى أن يخاف ظاهرا ولا باطنا، وتقديم الجار والمجرور (**فى نفسه**) على المفعول (خيفة) لبيان أن الخيفة كانت فى نفسه و لم تكن ظاهرة وإن كان لفظ "**أوجس**" يوحى بكون الخوف فى نفسه، لكن النظم الكريم حرص على التصريح به ليؤكد المعنى ولا يظهر موسى فى مقام الخائف لاسيما فى هذا الموقف أمام أعدائه.

الخامس: تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو: ﴿**ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا**﴾ (الأسراء ١٣)

---

(١) التعبير القرآن ص ٢٠١

(٢) البرهان ٦٢/١

يرى **ابن الصائغ** أن جملة (يلقاه) نعت لـ(كتابا)، وأن "منشــورا" نعـت مفرد، وقدم النعت الجملة على النعت المفرد من أجـل رعايـة الفاصلـة، وأرى أن هذا تعسف وتحميل للفاصلة ما لا تحتمل، فَلِمَ لا تكون "منشورا" حالا من الضمـير فى "يلقاه"؟ وبهذا يسـتقيم المعنـى مـع البنـاء الـتركيبى ومـع التنغيـم الموسيقى للفاصلة.

قال العكبرى: "منشورا" حال من الضمير المنصــوب، ويجـوز أن يكـون نعتا للكتاب(١)

السادس: حذف ياء المنقوص المعرف، نحو: ﴿**الكبير المتعال**﴾ (الرعد ١٠) ﴿**يوم التناد**﴾ (غافر ٢٣)

الســابع: حـذف يـاء الفعـل غـير المجـزوم، نحـو ﴿**والليـل إذا يســر**﴾ (الفجر ٤)

الثامن: حـذف يـاء الإضافـة، نحـو: ﴿**فكيـف كـان عذابى ونـذر**﴾ (القمر ١٨) ﴿**فكيف كان عقاب**﴾ (الرعد ٣٢، غافر ٥)

والحق أن حذف الياء فى كل هذه الشواهد (الآيات) لا يؤثر فى المعنى وليس حذف الياءات قاصرا على الفواصل ففــي القـرآن أمثلـة كثـيرة لحـذف الياءات فى درج الكلام كقوله تعـالى: ﴿**فتـولَّ عنهـم يـوم يـدعُ الـداعِ إلى شىءٍ نُكُر**﴾ (القمر ٦) وقوله: ﴿**وله الجوارِ المنشآت فى البحر كـالاعلام**﴾ (الرحمن ٢٤) وغيرها(٢) فالحذف فيها لا يؤثر فى وظيفة الكلمة ولا يغير من معناها ولكنه على كل حال يؤدى إلى تحقيق النسق الموسيقى الناتج عن اتفاق المقطع الأخير فى الفواصل كما يؤدى إلى رعاية النسق الموسـيقى أيضـا بعـدم

---

(١) املاء ما من به الرحمـن (التبيـان فـى إلإعـراب القـرآن) ٢/٨٩ – البحـر المحيـط ٦/١٤ والكشاف ٢/٤٤١

(٢) انظر على سبيل المثال الآيات (هود ١٠٥، الإسراء٨، ق ٤١، الروم ١٥٣).

كسر البناء اللغوى فى الكلمات غير الفواصل. "والعرب تفعل هذا فى كلامها إذا تم فآذنت بانقطاعه وابتداء غيره؛ لأن هذا لا يزيل المعنى عن جهته ولا يزيد ولا ينقص"(١)

التاسع: زيادة حرف المد نحو: الظنونا، والرسولا، والسبيلا"(٢) ومنه إبقاؤه مع الجازم نحو ﴿**لا تخاف دَرَكًا وَلَا تخشى**﴾ (طه ٧٧).

يقول **الفرَّاء** فى قوله تعالى: ﴿**... ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**﴾ (الأحزاب ٦٦)

وقوله: ﴿**وأطعنا الرسولا**﴾ يوقف عليها بالألف وكذلك ﴿**فأضلونا السبيلا**﴾ ﴿والظنونا﴾ يوقف عليها بالألف؛ لأنها مثبتة فيهن، وهى مع آيات بالألف وكان حمزة والأعمش يقفان على هؤلاء الأحرف بغير ألف فيهن وأهل الحجاز يقفون بالألف، وقولهم أحب إلينا لاتباع المصحف، ولو وصلت بالألف لكان صوابا لأن العرب تفعل ذلك، وقد قرأ بعضهم بالألف فى الوصل والقطع.(٣)

فالفرَّاء يرى أن الوقف عليها بالألف أحب إليه وبخاصة أنها جاءت مع آيات بالألف، ولو وصلت بالألف لكان صوابا لأن العرب تفعل ذلك، فيجوز الوقف والوصل بالألف.

قالو: ولأن العرب تفعل ذلك فى قوافى أشعارهم ومصاريعها؛ قال:

نحن جبلنا القرح القوافلا   تستنفر الأواخر الأوائلا

ويقول الفرَّاء فى قوله تعالى: ﴿**لا تخافا دركا ولا تخشى**﴾ (طه ٧٧)

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٤٤٠

(٢) "الظنونا" فى قوله تعالى: ﴿**وتظنون با لله الظنونا**﴾ (الأحزاب ١٠).
و"الرسولا" فى قوله تعالى: ﴿**ياليتنا أطعنا ا لله وأطعنا الرسولا**﴾ (الأحزاب ٦٦).
و"السبيلا" فى قوله تعالى: ﴿**فأضلونا السبيلا**﴾ (الأحزاب ٦٧),

(٣) يقصد بالقطع: "الوقف" (معانى القرآن للفراء ٢/٣٥٠).

فإن قلت: كيف أثبتت الياء فى "**تخشى**"؟ قلت: فى ذلك ثلاثة أوجه: إن شئت استأنفت "ولا تخشى" بعد الجزم، وإن شئت جعلت "تخشى" فى موضع جزم وإن كان فيها الياء؛ لأن من العرب من يفعل ذلك، قال بعض بنى عبس:(١)

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

فأثبتت الياء فى "يأتيك" وهى فى موضع جزم؛ لأنه رآها ساكنة فتركها على سكونها.

والوجه الثالث: أن تكون [الألف](٢) صلة لفتحة الشين، كما توصل القوافى بإعراب رويها كقول الأعشى.

* بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا*(٣)

يقول أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب معلقا على هذه الآية: "ولست أرى هنا ما يمنع من جعل "لا" نافية وليست ناهية بدليل أنها معطوفة على لا النافية فى قوله: "لا تخاف"(٤)

العاشر: صرف ما لا ينصرف، نحو ﴿**قواريرا. قواريرا**﴾ (الإنسان ١٥، ١٦)

قال **الفرَّاء**: "وكما قال "**سلاسلا**" و"**قواريرا**" بالألف فأجروا ما لا يجرى(٥) وليس بخطأ؛ لأن العرب تجرى ما لا يجرى فى الشعر، فلو كان خطأ ما أدخلوه فى أشعارهم، قال متمم بن نويرة.

---

(١) هو قيس بن زهير (معانى القرآن ١٦١/١ هامش ٧)

(٢) فى معانى القرآن الياء لتمثيل آخر فجعلناها (الألف) لتوافق التمثيل

(٣) معانى القرآن ١٦٢/١

(٤) مجلة منبر الإسلام ع١ س ٤١ ص ١٥ من مقال بعنوان "فواصل الآيات بين المعنى والنغم الموسيقى".

(٥) يقصد بقوله أجروا ما لا يجرى: صرفوا ما لا ينصرف

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدى لاعبينا

وقال لبيد:

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغاليق متشابه أجسامها

وقال لبيد أيضا:

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها

فصرف **مخاريق، ومغاليق ورغائب**[١] ،وهى على صيغة منتهى الجموع

وخلاصة القول أن الأمر راجع إلى القراءات وإلى طريقة العرب وقد جاء القرآن على ما يستحب العرب والقراءات مشتملة على جميع لهجات العرب وتساير لغتهم وعلى هذا لا يعد صرفها خروجا عن اللغة وليس فيه زراية على الإعراب، والله أعلم.

الحادى عشر والثانى عشر: إيثار تذكير الجنس، كقوله تعالى: ﴿**أعجاز نخل منقعر**﴾ (القمر ٢٠) وإيثار تأنيثه، كقوله تعالى: ﴿**أعجاز نخل خاوية**﴾ (الحاقة ٧)

كِلا الآيتين بصدد وصف العذاب الذى أصاب قوم عاد، فالريح التى أصابتهم ريح عاتية قوية (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم فتكبهم وتدق رقابهم ﴿**كأنهم أعجاز نخل منقعر**﴾ منقلع عن مغارسه، وفى هذا التشبيه إشارة إلى جثثهم الطوال العظام، ويجوز أن الريح كانت تقطع رءوسهم فتبقى أجسادا بلا رءوس كأعجاز النخل أصولا بلا فروع، قال النحويون: "اسم الجنس الذى تميز واحده بالتاء جاز فى وصفه التذكير – كما فى هذه الآية -- والتأنيث – كما فى قوله تعالى: ﴿**أعجاز نخل خاوية**﴾ .. هذا مع أن كُلاً من السورتين وردت على مقتضى الفواصل"[٢]

---

(١) تفسير القرطبى ٨٠/١٩، ٨١ وراجع الكشاف ١٩٥/٤، ١٩٨

(٢) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ٧٠/٢٧، وانظر كشاف الزمخشرى ٣٩/٤

نلاحظ هنا أن النيسابورى أشار إلى ملحظ بيانى يتعلق بالمعنى، كما أشار إلى ملحظ لغوى (نحوى) أيضا يبرر إيثار التأنيث أو التذكير، وأخيرا يشير إلى الملحظ اللفظى، وهو مراعاة الفواصل فى كلا السورتين.

قال **أبوالسعود**: ﴿**كأنهم أعجاز نخل منقعر**﴾ أى منقلع عن مغارسه، وشبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع؛ لأن الريح كانت تقلع رءوسهم فتبقى أجسادا بلا رءوس، وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله تعالى: ﴿**أعجاز نخل خاوية**﴾ للنظر إلى المعنى"(١) ..
ويفهم من ذلك أن صفة الانقعار مناسبة لقوله (تنزع الناس)، كما أن الوصف بالخواء مناسب لقوله (صرعى) لأن الصريع جسد بلا رُوح فهو يشبه النخل الخاوية.

الثالث عشر: الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرىء بهما فى السبع فى غير ذلك كقوله: ﴿**فأولئك تحروا رَشَدا**﴾(الجن ١٤) [و لم يجىء رشدا فى السبع، وكذا: ﴿**وهيىء لنا من أمرنا رشدا**﴾ (الكهف ١٠)] فإن الفواصل فى السورتين لحركة الوسط وقد جاء فى قوله تعالى : ﴿**وإن يَرَوْا سبيل الرُّشد**﴾ (الأعراف ١٤٦) وبهذا يبطل ترجيح الفارسى قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم، ونظير ذلك قراءة ﴿**تبت يدا أبى لهب**﴾ (المسد آية ١) بفتح الهاء وسكونها، و لم يقرأ: ﴿**سيصلى نارا ذات لَهْب**﴾ (المسد ٣) إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة.

جاء فى لسان العرب: "**اللّهَبُ واللّهيبُ واللُّهَابُ واللّهَبَان**: اشتعال النار إذا خَلَصَ من الدُّخَان ... واللهب: لهب النار وهو لسانها، والتهبت النار وتلهَّبت أى اتَّقدت. قال **ابن سيده**: اللهبان شدة الحر فى الرمضاء ونحوها، ويوم لهبان شديد الحر"(٢)

---

(١) تفسير أبى السعود ١٧١/٨

(٢) لسان العرب مادة (لهب).

جاء فى تفسير النيسابورى:"قال ابو الليث: اللهْب واللهَب لغتان كالنهْر والنهَر، ولكن الفتح أوجه ولهذا قرأ به أكثر القراء وأجمعوا فى قوله "ذات لهب" على الفتح رعاية للفاصلة"(١)

ويبدو لى أن اللهَب بالتحريك فيها إيحاء بشدة اللهب وكثرة الاشتعال كما أن "فى (النهر) بالتحريك دلالة على السعة والكثرة"(٢) كما يفهم من قوله تعالى ﴿**إن المتقين فى جناتٍ وّنَهَر**﴾

وواضح مما جاء فى المادة أن الهاء محركة غالبا بالفتح وبذلك تفيد المادة معنى الاتقاد والاشتعال وشدة الحر فذكر اللهب فى قوله تعالى: ﴿**سيصلى نارا ذات لهب**﴾ يصور النار ويشخصها ويوحى بتوقدها وتلهبها واشتعالها، وهذا ما لا تفيده كلمة (لهب) بسكون الهاء، وكأن احتباس الهاء بالسكون فيه إيحاء باحتباس النار عن الاشتعال وضعف لهيبها.
هذا فضلا عن التناسق الملحوظ والمسموع فى (أبو لهب ... ذات لهب ... حمالة الحطب... حبل من مسد)

الرابع عشر: إيراد الجملة التى ورد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة فى الاسمية والفعلية كقوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا با لله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾ (البقرة ٨) لم يطابق بين قولهم "آمنا" وبين ما ورد به فيقول "لم يؤمنوا" أو "ما آمنوا" لذلك.

وقبل أن نعرض لدقة النظم فى الآية نشير إلى سبب نزولها لما له من أهمية فى فهم النص. قال ابن عباس نزلت هذه الآيات فى منافقى أهل الكتاب منهم (عبدا لله بن أبى) (ومعتب بن قشير) و(الجد بن قيس) كانوا إذا

---

(١) تفسير النيسابورى ١٩٧/٣

(٢) معجم الاعلام والألفاظ القرآنية مادة (نهر).

لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان والتصديق ويقولون: إنا لنجد في كتابنا نعته وصفته.(١)

وأما نظم الآية ففي منتهى الدقة والروعة البيانية، **(من الناس)** يقصد من هؤلاء المشار إليهم في سبب النزول ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق [والعدول إلى **(الناس)** للايذان بكثرتهم كما يُنبيءُ عنه التبعيض] "من يقول" (مَنْ) موصوفة، كأنه قيل ومن الناس ناسٌ يقولون كذا، كقوله تعالى **﴿من المؤمنين رجال﴾** (الأحزاب ٢٣) إن جعلت اللام للجنس، وإن جعلتها للعهد صارت (من) موصولة، كقوله تعالى **﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾** (التوبة ٦١) والمقصود اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة وما يتعلق به من الصفات لا كونهم ذوات أولئك المذكورين [وتوحيد الضمير في "يقول" باعتبار لفظة (من) وجمعه في **﴿آمنا با لله وباليوم الآخر﴾** وما بعده باعتبار معناه] فإن قلت: لم اختص بالذكر الإيمان با لله والإيمان باليوم الآخر ؟ قلت: اختصاهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة [حيث لم يكن إيمانهم بواحد منهما إيمانا حقيقيا إذ كانوا مشركين با لله بقولهم: عزير بن ا لله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم: "لن تمسنا النار إلا أياما معدودة" فكان قولهم آمنا با لله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها. وفي تكرير الباء [لادعائهم أنهم قد حازوا الإيمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه وأنهم قد آمنوا بكل منهما على الأصالة والاستحكام] فإن قلت: كيف طابق قوله: (وما هم بمؤمنين) قولهم (آمنا با لله وباليوم الآخر) والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ قلت: القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريقا أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان، وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٦١/٢

هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا اثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع، ونحو قوله تعالى: ﴿**يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها**﴾ هو أبلغ من قولك: وما يخرجون منها.

ويؤكد هذا قول **أبى السعود**: "وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة فى الرد بانتفاء الايمان عنهم فى جميع الأزمنة لا فى الماضى فقط كما تفيده الجملة الفعلية"(١)

ويضيف **الزمخشرى**: "فإن قلت: فلم جاء بالإيمان مطلقا فى الثانى وهو مقيد فى الأول؟ قلت: يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه، وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان فى شىء قط، لا من الإيمان با لله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما"(٢)

أين هذا الفهم الذى يبرز المعنى ويتعلق بالملحظ البيانى من القول بأنه عدل عن كذا لأجل الفاصلة؟ فكل آية لها فاصلة ولكن الفاصلة تابعة للمعنى ويستدعيها السياق فضلا عما لها من أيقاع موسيقى يتناغم مع الآيات التى بصحبتها.

الخامس عشر: إيراد القسمين غير مطابق للآخر كذلك، نحو ﴿**فَلَيَعلَمَنَّ الله الذينَ صَدَقُوا وليعلمن الكَاذِبين**﴾ (العنكبوت ٣) و لم يقل "الذين كذبوا"

وهنا فى نظم الآية ملحظ بيانى دقيق فقد عبر الحق سبحانه عن الصادقين بلفظ الفعل (**الذين صدقوا**) وعن الكاذبين باسم الفاعل (الكاذبين) للإشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر وأن الكذب راسخ فيهم وصفة ملازمة لهم بخلاف الذين صدقوا فإن الفعل يفيد التجدد والحدوث.

---

(١) تفسير أبى السعود ١/٤٠

(٢) الكشاف ١/١٦٦ – ١٧٠ (بتصرف).

قال الفخر الرازى: "إن اسم الفاعل يدل فى كثير من المواضع على ثبوت المصدر ورسوخه فيه، والفعل الماضى لا يدل عليه، كما يقال: فلان شرب الخمر، وفلان شارب الخمر فإنه لا يفهم من صيغة الفعل الثبوت والرسوخ"(١)

السادس عشر: إيراد أحد جزأى الجملتين على غير الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الأخرى، نحو: ﴿**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ (البقرة ١٧٧) هاتان الجملتان تذييل لآية كبيرة (طويلة) وهى قوله تعالى: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .... الآية**﴾.
(**أولئك**) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مرّ مِرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم (الذين صدقوا) أى فى الدِّين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الأحوال و لم تزلزلهم الأهوال ﴿**وأولئك هم المتقون**﴾ عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الإشارة لزيادة التنويه بشأنهم وتوسط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم.

وأرى أن التعبير بالفعل (**صدقوا**) (وهو جملة الخبر) لإفادة التحقيق وأن ذلك وقع منهم واستقر. والخبر الثانى جملة اسمية (**هم المتقون**) فضمير الفصل (**هم**) لإفادة التخصيص وانحصار التقوى فيهم والتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبوت والملازمة وكأنه صار سجية لهم هذا فضلا عن مراعاة الفاصلة.

والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا أو تلويحا لما أنها – مع تكثر فنونها وتشعب شجونها – منحصرة فى خلال ثلاث (صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة مع العباد، وتهذيب النفس) وقد أُشِيرَ إلى الأولى بالإيمان بما فصل، وإلى الثانية بإيتاء المال، وإلى الثالثة بإقامة الصلاة الخ. ولذلك وُصف الحائزون لها بالصدق نظرا إلى إيمانهم واعتقادهم،

---

(١) تفسير الرازى ٢٩/٢٥

وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق، وإليه يشير قوله ﷺ "من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان"(١)

السابع عشر: إيثار أغرب اللفظتين، نحو: ﴿**قسمة ضيزى**﴾ (النجم ٢٢) ولم يقل جائرة، ﴿**لينبذن في الحطمة**﴾ (الهمزة ٤) ولم يقل "جهنم" أو "النار"، وقال في "المدثر" ﴿**سأصليه سقر**﴾ (آية ٢٦) وفي سأل ﴿**إنها لظى**﴾ (المعارج ١٥) وفي القارعة ﴿**فأمه هاوية**﴾ لمراعاة فواصل كل سورة.

بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿**قسمة ضيزى**﴾ عدها **ابن الأثير** من الألفاظ الغريبة التي حسنت بحسن موقعها ثم علل ذلك بأنها جاءت على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه وغيرها لا يسد مسدها، وقد يكون هناك لفظة أحسن منها مثل جائرة أو ظالمة، ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة، لأنها تكون خارجة عن حرف السورة، فلو قلنا: ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ظالمة، لم يكن النظم كالنظم الأول، وصار الكلام كالشيء المعْوَز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام"(٢)

وهذا كلام صائب مسلم بحكم السمع والذوق معا، ولكن ما يؤخذ على ابن الأثير هو ما أخذناه على غيره، من أنه أرجع الحسن إلى شيء لفظي محض، وهو مراعاة التقارب في مقاطع الفواصل، ليتم لها الائتلاف والانسجام الإيقاعي. ولكن **الرافعي** نظر إليها نظرة عميقة شاملة تناولتها من ناحيتيها في إفاضة وحسن عرض قال – رحمه الله – : "وفي القرآن لفظة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موضعها، وهي كلمة "**ضيزى**" ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها – وهي سورة

---

(١) تفسير أبي السعود ١/١٩٣، ١٩٤

(٢) المثل السائر ١/١٧٦ – ١٧٨

النجم – مفصلة كلها على حروف (الياء) فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل..

ثم هى فى معرض الإنكار على العرب، إذ وردت فى ذكر الأصنام، وزعمهم فى قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع وأدهم البنات فقال تعالى – ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذا قسمة ضيزى**﴾ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة التى أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور فى هيئة النطق بها، الإنكار فى الأولى والتهكم فى الأخرى وكان هذا التصوير أبلغ ما فى البلاغة، وخاصة فى اللفظة الغريبة التى تمكنت فى موضعها من الفصل، ووصف حال المتهكم فى إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها، وجمعت – إلى ذلك – غرابة الإنكار لغرابتها اللفظية، والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام وله نظائر فى لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا فى موضعها، ولا يكون حسنها – على غرابتها – إلا أنها تؤكد المعنى الذى سيقت إليه بلفظها وهيئةمنطقها، فكأن فى تأليف حروفها معنى حسيا، وفى تأليف أصواتها معنى مثله فى النفس.

ثم يقول: وإن تعجب فعاجب نظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه على ما قبلها، إذ هى مقطعان: أحدهما مدٌّ ثقيل، والآخر مد خفيف، وقد جاءت عقب غنتين فى "إذاً" و"قسمةٌ" وإحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاوبة صوتية لتقطيع الموسيقى، وهذا معنى رابع للثلاثة التى عددناها آنفا، أما خامس هذه المعانى، فهو أن الكلمة التى جمعت المعانى الأربعة إنما هى أربعة أحرف أيضا"(١)

فالرافعى يلفتنا إلى الأداء الدقيق لكلمة "ضيزى" فى هذا التركيب البيانى المعجز، فهى متناسقة مع غيرها من الفواصل مما يبرز جمال الإيقاع

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢/٢٣٠ – ٢٣١

الذى انتظم فواصل السورة كلها عدا بعض آيات فى آخرها. ورغم ثقلها فى ذاتها فإن انسجامها مع اللفظتين السابقتين عليها جعلها سهلة فى نطقها إذ أعقبت غنتين فى "إذا" و"قسمة" فألفت مع غيرها مجاورة صوتية لتقطيع موسيقى. هذا إلى ما أوحت به غرابة اللفظة إلى غرابة القسمة فأتت مناسبة لجو الكراهة والإنكار الذى صورته الآية فى معرض إنكارها على المشركين قسمتهم الجائرة

ويرى الدكتور "تمام حسان" ملحظين آخرين – غير رعاية الفاصلة – أحدهما: الإيحاء بما فى "الضاد" من تفخيم بأن الجور فى هذه القسمة لا يزيد عليه. وثانيهما: ما فى "ضيزى" وهى للتفضيل من زيادة فى معناها على معنى "جائرة" التى هى صفة مشبهة.(١)

فلله در البيان الأعلى يستعمل الكلمة فى موضعها فتكون أمس رحما بالمعنى وأوضح فى الدلالة عليه وأشد إيحاء به.

أما قوله تعالى: ﴿**لينبذن فى الحطمة**﴾ .. الحطمة هى اسم من أسماء النار، كما ذكر من أسمائها فى مواضع أخرى جهنم، وسقر، ولظى.. وهى من شأنها أن تحطم العظام، وتأكل اللحم (وفى ذلك إشارة إلى غاية تعذيب الهمزة اللمزة)، ويقال للرجل الأكول "حطمة" ووزنها فُعَلَة كهمزة ولمزة .. كأنه قيل له كنت همزة لمزة فقابلناك بالحطمة، وأيضا فى الحطمة معنى الكسر، والهمّاز اللماز يكسر الناس بالاغتياب والعيب أو يأكل لحومهم كما يأكل الرجل الأكول(٢)

والقرآن يغنينا عن تأويل بما تولى من بيان الحطمة فى الآيات بعدها، وتبدأ بالسؤال "وما أدراك ما الحطمة؟" ويأتى الجواب ببيان مناط الرهبة والهول فى قوله تعالى: ﴿**نار الله الموقدة. التى تطلع على الأفئدة**﴾ (الهمزة

---

(١) البيان فى روائع القرآن ٢٨٨

(٢) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ١٦٢/٣٠، ١٦٣

٧،٦) وباستقراء الاستعمال القرآنى للنار نلحظ غلبة مجيئها لنار الجحيم فى الآخرة، ومع كثرة هذا الاستعمال لم تأت مضافة إلى الله تعالى إلا فى "الهمزة"، فشهد ذلك بفداحة النكر لفتنة المال...."(١)

وفى قوله: ﴿**سأصليه سقر**﴾ (المدثر٢٦) الضمير فى الآية يعود على الوليد بن المغيرة الذى أنعم الله عليه وبسط له فى الأموال والأولاد، والبساتين النضرة، وبسط الدنيا بين يديه، ويسر له مظاهر الجاه والعز والسيادة ومع ذلك فقد كفر وجحد، فتوعده الحق سبحانه بعذاب جهنم، عبر عنه بقوله: ﴿**سأصليه سقر**﴾ أى سأدخله جهنم يتلظى حرها، ويذوق عذابها، "وإنما سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته، ولوحته، وأحرقت جلد وجهه – قال ابن عباس: هى الطبق السادس من جهنم"(٢)

وزاد هذا الوعيد تهويلا بتجهيل سقر، ﴿**وما أدراك ما سقر**﴾ استفهام للتهويل والتفظيع ... إنها شىء أعظم وأهول من الإدراك، "لا تبقى ولا تذر" لا تبقى من فيها حيا ولا تذره ميتا، "لواحة للبشر" .. كأنما تقصد إثارة الفزع فى النفوس بمنظرها المخيف.

وفى قوله: ﴿**كلا إنها لظى**﴾ فى "المعارج".. كلا: ردع للمجرم عن تمنى المحال من الافتداء ببنيه، وصاحبته، وأخيه.. "إنها": والضمير للنار، و لم يجر لها ذكر، لأن ذكر العذاب دل عليها.. (**لظى**) علم للنار منقول من اللظى بمعنى (اللهب) فهى نار تتلظى، وتتحرق، وتنزع الجلود عن الوجوه والرءوس، تدعو المجرمين إليها وتلتقطهم التقاط الحب"(٣)

وفى القارعة ﴿**فأمه هاوية**﴾ يعنى جهنم، وسماها أمًّا لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه .. قاله ابن زيد، ومنه قول أمية بن أبى الصلت:

---

(١) التفسير البيانى ١٧٥/٢ – ١٧٧ (بتصرف).

(٢) تفسير القرطبى ٥٣/١٩

(٣) الزمخشرى . الكشاف ١٥٨/٤

فالأرض معقلنا وكانت أمنا   فيها مقابرنا وفيها نولد

وسميت النار هاوية لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها ... والهاوية: المهواة، وتقول هوت أمه، فهى هاوية أى ثاكلة، قال كعب بن سعد الغنوى:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا   وماذا يؤدى الليل حين يئوب

وتهاوى القوم: إذا سقط بعضهم فى إثر بعض.(١)

إذن فليس استخدام القرآن لكل لفظة من هذه لغرض مراعاة الفاصلة فى كل سورة فحسب، وإنما هناك معنى بحسب المقام يقتضيه السياق، فكل لفظة من هذه لو أدرت اللغة عليها ما صلح لموضعها غيرها، وبهذا يتضح لنا تصريف القرآن بالقول بحسب المقام فلله در التنزيل ﴿**تنزيل من حكيم حميد**﴾.

الثامن عشر: اختصاص كل من المشتركين بموضع، نحو ﴿**وليذكر أولو الألباب**﴾ (إبراهيم ٥٢) وفى سورة "طه" ﴿**إن فى ذلك لآيات لأولى النهى**﴾ (طه ١٢٨)

يرى **ابن الصائغ** أن آية إبراهيم ختمت بـ ﴿**أولو الألباب**﴾ من أجل مراعاة الفاصلة، وللسبب نفسه ختمت آية طه بـ ﴿**أولى النهى**﴾ وكأنه لم يجد توجيها يطمئن إليه لتعليل اختصاص المشتركين فى آية إبراهيم بأولى الألباب، والمشتركين فى آية طه بأولى النهى سوى مراعاة الفاصلة، وهذا ملحظ شكلى؛ لأن الفاصلة لا تخلو من ملحظ بيانى يتطلبه المعنى؛ لأن الفاصلة خاضعة للمعنى أولا.

ومع الاستقراء القرآنى وجدنا أن استخدام الفاصلة "أولى الألباب" غالبا ما تأتى مرادا بها التذكر والتدبر أو النظر والتفكر أو الحث على الهداية والاعتبار.

---

(١) تفسير القرطبى ١١٤/٢٠

قال **الكرماني**: "خُصَّ أولو الألباب بالذكر؛ لأن المراد فى الآية التذكر والتدبر والتفكر ... وإنما يأتى ذلك منهم"(١)

والفاصلة "أولى النهى" - قد وردت فى موضعين من سورة "طه" (٥٤، ١٢٨) - غرضها تنبيه العقول ولفت الأنظار للعظة والعبرة للانتهاء عن القبائح. جاء فى لسان العرب: "والنُّهَى: العقل، يكون واحدا وجمعا، والنُّهْيَةُ: العقل، سميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح، ورجل ذو نُهْية: أى ذو عقل ينتهى به عن القبائح"(٢)

ونعيش مع السياق والجو العام الذى وردت فيه آية "ابراهيم" من قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمونَ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مقنعى رءوسِهم لا يرتد إليهم طرفُهُم وأفئدتهم هواء. وأنذِرِ النّاسَ يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبعِ الرُّسلَ أو لم تكونوا أقسمتم من قبلُ ما لكم من زوال. وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال. وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لِتزُولَ منه الجبال. فلا تحسبن الله مُخْلِفَ وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام. يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار. وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد. سرابيلهم من قطران وتغشى وجوهَهُم النّار. ليجزىَ الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب. هذا بلاغ للناس وَلِيُنْذَرُوا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب**﴾ (إبراهيم ٤٢ - ٥٢ آخر السورة).

---

(١) البرهان فى متشابه القرآن ٢٣٦ وانظر "بصائر ذوى التمييز" ١/٢٧٠ وراجع الآية (٢٦٩ البقرة - ٧، ١٩٠ آل عمران - ١١١ يوسف - ١٩ الرعد - ٥٢ إبراهيم - ٢٩ ص - ٩، ١٢ الزمر)

(٢) لسان العرب مادة "نهى".

قال المفسرون: "هذا" أى ما ذكر من قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الله غافلا** ... **إلى** ... **سريع الحساب**﴾ "بلاغ للناس" كفاية لهم فى الاتعاظ والتذكير "ولينذروا به" عطف على مقدر، واللام متعلقة بالبلاغ أى كفاية لهم فى أن ينصحوا وينذروا به... "وليعلموا" بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة من إهلاك الأمم وإسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق والحق "أنما هو إله واحد" لا شريك له، وتقديم الإنذار لأنه الداعى إلى التأمل المؤدى إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر فى قوله تعالى: ﴿**وليذكر أولو الألباب**﴾ ... وفى تخصيص التذكر بأولى الألباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بـ "هذا" ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم ... وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمرا حادثا وبالنسبة إلى أولى الألباب الثبات على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن الأول بالعلم، وعن الثانى بالتذكر وروعى ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم"(١)

أما فى آية "طه" وهى قوله تعالى ﴿**أَفَلَمْ يَهْدِ لهم كم أهلكنا قبلَهم من القرونِ يمشُون فى مسَاكِنهم إنّ فى ذلك لآياتٍ لأُولى النُّهَى**﴾ (طه ١٢٨).

قال بعض المفسرين ﴿**أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون**﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى: ﴿**وكذلك نجزى من أسرف**﴾ (طه ١٢٧) والهمزة للإنكار التوبيخى، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ... والمعنى: أفلم يهد لهم إهلاكنا القرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين فى مساكنهم إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم "إن فى ذلك" تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك إشارة إلى مضمون قوله تعالى: "كم أهلكنا"، (لآيات) كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق "لأولى

---

(١) تفسير أبى السعود ٥/٦٢

النهى" لذى العقول الناهية عن القبائح التى من أقبحها إعراض كفار مكة عن آيات الله وتعاميهم عنها..."(١)

بهذا يتضح لنا السر البلاغى الذى اقتضاه المعنى فى ختم آية إبراهيم بـ "أولى الألباب" وختم آية "طه" "بأولى النهى" ولا ننكر على **ابن الصائغ** قوله برعاية الفاصلة فذلك جانب مرعى تماما فى فواصل القرآن الكريم.

التاسع عشر: حذف المفعول نحو، ﴿**فأما من أعطى واتقى**﴾ (الليل ٥) ﴿**ما ودعك ربك وما قلى**﴾ (الضحى ٣) ومنه حذف متعلق "أفعل التفضيل" نحو ﴿**يعلم السر وأخفى**﴾ (طه ٧) ﴿**خير وأبقى**﴾ (الأعلى ١٧)

بالنسبة إلى حذف المفعول فى قوله تعالى : ﴿**فأما من أعطى واتقى**﴾ قال **أبو حيّان**: "المقصود من حذف مفعولى "أعطى" الثناء على المعطِى دون تعرض للمعطَى والعطية، وظاهره بذل المال فى واجب ومندوب ومكرمة"(٢) فالإعطاء فى الآية مقابل بالبخل، وكل بخل فى القرآن يتعلق بالمال وبما آتى الله من فضل، باستقراء مواضع وروده فى المصحف وعددها أحد عشر موضعا... وإنه لكذلك، الإعطاء للمال والبخل به فى آيتى الليل ﴿**فأما من أعطى واتقى**﴾ ﴿**وأما من بخل واستغنى**﴾ بشاهد من النص بعدهما فيمن بخل ﴿**وما يغنى عنه ماله إذا تردى**﴾، وفيمن أعطى ﴿**الذى يؤتى ماله يتزكى**﴾ وإعطاء المال أو البخل به، إنما يكونان فيما يجب أن ينفق فيه المال من وجوه الخير وأداء حق الله فيه إلى من يستحقونه زكاة وصدقة وبرا على ما هو بين من تدبر الاستعمال القرآنى للمال والأموال.(٣)

---

(١) تفسير أبى السعود ٦/ ٤٤، ٤٩ وروح المعانى ٢٧٩/١٦

(٢) البحر المحيط ٤٧٨/٨

(٣) التفسير البيانى ١٠٥/٢، ١٠٦

وبالنسبة إلى حذف المفعول فى قوله تعالى : ﴿**ما ودعك ربك وما قلى**﴾
وقف المفسرون طويلا عند حذف ضمير الخطاب فى "قلى" فقال **الزمخشرى**: "إنه اختصار لفظى لظهور المحذوف"(١) ونظّر له بقوله تعالى: ﴿**والذاكرين الله كثيرا والذاكرات**﴾ (الأحزاب ٣٥)
وهو قريب من قول **الطبرى** فى تعليل الحذف" إنه اكتفاء بفهم السامع لمعناه إذ كان قد تقدم ذلك قوله: ما ودعك، فعرف بذلك أن المخاطب نبى الله ﷺ"(٢)

وقال **النيسابورى** مضيفا سببا آخر غير الاختصار وهو رعاية الفاصلة"(٣) وبذلك قال **الفرَّاء** فى "معانى القرآن" بأن يكتفى بالكاف الأولى – فى ودّعك – من إعادة الأخرى، ولمشاكلة رءوس الآيات بالياء"(٤) وتقول الدكتور عائشة عبدالرحمن: "وأما تعليل الحذف رعاية للفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآنى على اعتبار لفظى محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوى بلاغى، يقويه الأداء اللفظى دون أن يكون الملحظ الشكلى هو الأصل، ولو كان البيان القرآنى يتعلق بمثل هذا – لما عدل عن رعاية الفاصلة فى آخر سورة الضحى ﴿**فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ وليس فى السورة كلها "**ثاء**" فاصلة بل ليس فيها حرف "ثاء" على الاطلاق ولم يقل – الحق سبحانه – فخبِّر (بدلا من فحدث) لتتفق الفواصل أو لتتشاكل رءوس الآيات على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به.

---

(١) الكشاف ٤/٢٦٣، ٢٦٤
(٢) تفسير الطبرى ١٤٧/٣٠
(٣) غرائب القرآن ١٠٨/٣٠
(٤) معانى القرآن ٢٧٣/٣

ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة فى اللطف والإيناس هى تحاشى خطابه تعالى لرسوله وحبيبه المصطفى ﷺ فى مقام الإيناس بصريح القول "**وما قلاك**" لما فى القِلَى من حسّ الطرد والإبعاد وشدة البغض أما التوديع فلا شىء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوى فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء"(١)

ولهذا نظير فى القرآن الكريم من اللطف فى الخطاب مع النبى ﷺ حتى فى أشد مواضع العتاب نحو قوله تعالى: ﴿**عبس وتولى. أن جاءه الأعمى**﴾ فلم يواجهه بالعبوس والتولى(٢)

---

(١) انظر التفسير البيانى ٣٥/١، ٣٦ والإعجاز البيانى ٢٦٨، ٢٦٩ ومن أمثلة حذف المفعول قوله تعالى ﴿**قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون – الشعراء ٧٢ – ٧٣**﴾ فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضر. وقد تظن أنه إنما فعل ذلك لفواصل الآى، ولا شك أنه لو ذكر المفعول به لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآى، ولكن الحذف اقتضاه المعنى أيضا فقد ذكر مفعول النفع فقال (ينفعونكم) لأنهم يريدون النفع لأنفسهم. وأطلق الضضر لسببين:

الأول: ان الإنسان لا يريد الضرر لنفسه وإنما يريده لعدوه.

والآخر: ان الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضّر موضع اطلاق، فخص النفع وأطلق الضر. والمعنى أن هذه الآلهة لا تتمكن من الاضرار بعدوكم كما انها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها، ولو ذكر المفعول به فقال (أو يضرونكم) لما أفاد هذين المعنيين – فانظر كيف أن الاطلاق فى الضر اقتضاه المعنى علاوة على الفاصلة، (التفير القرآن ٢٠١).

(٢) قال القرطبى: جاء" بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيما له، ولم يقل: عبست وتوليت. ثم أقبل عليه بمواجهة المخاطب تأنيسا له فقال: ﴿**وما يدريك**﴾ أى يعلمك ونظير هذه الآية فى العتاب قوله تعالى: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى**﴾ ٥٢) وكذلك قوله: ﴿**ولا تعد عيناك عنهم**﴾ (الكهف ٢٨) (تفسير القرطبى ١٣٩/٩ – ١٤٠ وجاء فى حاشية الصاوى "إنما أتى بضمائر الغيبه

وأما بالنسبة إلى قوله تعالى ﴿**يعلم السر وأخفى**﴾ (طه ٧) وقوله ﴿**خير وأبقى**﴾ (طه٧٣، ١٣١) حيث حذف متعلق اسم التفضيل وذلك ليترك للنفس أن تذهب فيه كل مذهب وكأنما جعل الحذف لضيق البيان عن تحديد ذلك المتعلق أو وصفه وتركت النفوس تقدر ما تشاء ولن تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك"(١) ومنه قوله تعالى: ﴿**وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى**﴾ أَى إعادة الخلق بالنسبة إلى الله تعالى أهون بكثير من بدء الخلق إذ خلق الخلق بأمره كن فيكون.

وهنا تتجلى حكمة الحذف فى هذه المواضع وما تضيفه للكلام من بلاغة وحكمة.

يقول **عبدالقاهر**: "ما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف فى الحال ينبغى أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هنالك أحسن من ذكره، وترى إضماره فى النفس أولى وآنس من النطق به"(٢)

العشرون: الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو: ﴿**فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾ (طه ١١٧)

الخطاب فى هذه الآيات فى معظمه لآدم، إذ الآيات بعد ذلك ﴿**إن لك ألا تجوع فيها ولا تَعْرَى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تَضْحَى**﴾ (طه ١١٨ - ١١٩)

قال **الفرَّاء**: ولم يقل: "فتشقيا"؛ لأن آدم هو المخاطب، وفى فعله اكتفاء من فعل المرأة(٣)

تلطفا به ﷺ واجلالا له لما فى المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة والصعوبة (حاشية الصاوى على الجلالين ٢٩٢/٤).

(١) الاتقان ١٩٠/٣

(٢) دلائل الاعجاز ١٥٢، ١٥٣

(٣) معانى القرآن ١٩٣/٢

وقال **القرطبى**: "و لم يقل فتشقيا؛ لأن المعنى معروف وآدم عليه السلام هو المخاطب وهو المقصود، وأيضا لما كان الكادُّ عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص... ومن ذلك يعلم أن نفقة الزوجة على الزوج، وأن النفقة التى تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة: الطعام والشراب والكسوة والمسكن".(١)

الحادى والعشرون الاستغناء بالإفراد عن الجمع، نحو﴿**واجعلنا للمتقين إماما**﴾ (الفرقان ٧٤) و لم يقل "أئمة" كما قال: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ (الأنبياء ٧٣) ومنه قوله تعالى: ﴿**إن المتقين فى جنات ونهر**﴾ أى أنهار. (القمر ٥٤)

قال **الفرَّاء**: و لم يقل: "أئمة"، لأنه يجوز فى الكلام أن تقول :أصحاب محمد أئمة الناس وإمام الناس كما قال ﴿**إنا رسول رب العالمين**﴾ (الشعراء ١٦) للاثنين ومعناه: اجعلنا أئمة يقتدى بنا.

وقال **القرطبى** قول الأخفش: الإمام جمع من آم يؤم على "فِعَال" نحو صَاحب وصِحَاب وقائم وقيام.(٢)

وقال **أبو السعود**: "وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس(٣) كقوله تعالى : ﴿**ثم يخرجكم طفلا**﴾ (غافر ٧)

وقال **الألوسى**: وأفرد مع لزوم المطابقة لأنه اسم جنس فيجوز إطلاقه على معنى الجمع مجازا، أو لأن المراد واجعل كل واحد منا "إماما" أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم ... فالظاهر أنه صدر عن كل

---

(١) تفسير القرطبى ١٦٨/١١ (بتصرف فى النص).

(٢) تفسير القرطبى ٥٦/١٣

(٣) تفسير أبى السعود ٢٣١/٦

واحد قول واجعلنى للمتقين إماما فعبر عنهم للإيجاز بصيغة الجمع وأبقى إماما على حاله.(١)

أما بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿**إن المتقين فى جنات ونهر**﴾
قال ابن عباس: النَّهَر: "السعة" واستشهد بقول الشاعر:
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها   يرى قائم من دونها ما وراءها(٢)
وكلمة "نهر" بفتح الهاء ومعناه: الضياء والسعة أى (فى سعة من الرزق والمقام وفى ضياء)(٣)

وتضيف الدكتورة عائشة عبدالرحمن(٤) "ويبقى للنهر مع هذه الدلالة المجازية على السعة ملحظ من خير ونعمة فى حس العربي للنهر واحد الأنهار، مياهها عذبة، ويضفى عليها القرآن معنى البركة والخير فى الجنة ﴿**تجرى من تحتها الأنهار**﴾ وهو الغالب على الاستعمال القرآنى...

وعلى هذا فمعنى الكلمة (نهر) مع جنات للمتقين يحتمل معنى الفيض من الخير والبركة والنعيم وسعة الرزق وهذا أولى بالمقام ﴿**فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾

ويؤكد ذلك الشيخ "سيد قطب" بقوله(٥) : "وهى صورة للنعيم بطرفيه نعيم الحس والجوارح فى تعبير شامل "فى جنات ونهر" يلقى ظلال النعماء واليسر حتى فى لفظه الناعم المناسب، وليس لمجرد إيقاع (الفاصلة)(٦)

---

(١) روح المعانى ٥٣/١٩

(٢) البحر المحيط ١٨٢/٨ وروح المعانى ٩٥/٢١

(٣) معجم الألفاظ والاعلام القرآنية ص ٥٤٤

(٤) الإعجاز البيانى ص ٣٧٦، ٣٧٧

(٥) فى ظلال القرآن تفسير سورة القمر ٣٤٤٢/٦

(٦) ذكرها (القافية).

تجيء كلمة "نهر" بفتح الهاء بل كذلك لإلقاء ظل اليسر والنعومة في جرس اللفظ وإيقاع التعبير".

الثانى والعشرون والثالث والعشرون: الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ (الرحمن ٤٦) قال **الفرَّاء**: أراد جنة(١) كقوله تعالى: ﴿**فإن الجنة هى المأوى**﴾ (النازعات ٤١) فثنى لأجل الفاصلة.

ونظير ذلك قول **الفرَّاء** فى قوله تعالى: ﴿**إذ انْبَعَثَ أشقاها**﴾ (الشمس ١٢) فإنهما رجلان قُدار وآخر معه، ولم يقل: "أشقياها" للفاصلة.

بالنسبة لآية "الرحمن" أنكر **ابن قتيبة** (ت ٢٧٦ هـ) على **الفرَّاء** ما ذهب إليه من تثنية لفظة "جنة" لأجل الفاصلة أو لغرض الايقاع لأن ذلك يجعل الحقيقة فى جانب والايقاع فى جانب آخر ويصير المعنى تابعا للايقاع، وكلام الله - عز وجل - يجل عن هذا يقول **ابن قتيبة** "وهذا من أعجب ما حُمل عليه كتاب الله، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف ونجيز على الله جل ثناؤه - الزيادة والنقصان فى الكلام لرأس الآية، وإنما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء للسكت كقوله تعالى ﴿**وما أدراك ماهيه**﴾ (القارعة ١٠) أو "ألف" كقوله ﴿**وتظنون بالله الظنونا**﴾ (الأحزاب ١٠) أو "حذف همزة" من الحرف، كقوله تعالى ﴿**أثاثا ورئيا**﴾ (مريم ٧٤) أو "ياء" كقوله تعالى : ﴿**والليل إذا يسر**﴾ (الفجر ٤) لتستوى رءوس الآى على مذاهب العرب فى الكلام فأما أن يكون الله - عز وجل - وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى فمعاذ الله(٢) وكيف هذا وهو يصفهما

---

(١) جاء فى معانى القرآن قول الفراء: وقد يكون فى العربية جنة تثنيها العرب فى أشعارها (١١٨/٣).

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٤٤٠

بصفات الاثنين، قال: ﴿**ذواتا أفنان**﴾ ثم قال: ﴿**فيهما عينان تجريان**﴾(١) (الرحمن ٤٨، ٥٠).

ذكر **الألوسى** عدة أوجه فى المقصود بالجنتين: قيل: بستانان: بستان داخل قصره، وبستان خارجه، وقيل: منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتوفر دواعى لذته وتظهر ثمار كرامته، وقيل: جنة لعقيدته وجنة لعمله، أو إحداهما روحانية والأخرى جسمانية ... الخ.

وقد أخرج "**البيهقى**" فى **شعب الإيمان** عن الحسن أنه كان شاب على عهد عمر - رضى الله عنه - ملازم للمسجد والعبادة، فعشقته جارية، فأتته فى خلوة، فكلمته فحدثته نفسه بذلك فشهق شهقة فغشى عليه فجاء عمٌّ له فحمله إلى بيته، فلما أفاق قال: ياعم انطلق إلى عمر فأقرئه منى السلام وقل له: ما جزاء من خاف مقام ربه؟ فانطلق فأخبر عمر وقد شهق الفتى شهقة أخرى فمات، فوقف عليه عمر - رضى الله عنه - فقال: لك جنتان: لك جنتان.(٢)

هل بعد هذا يقال إن التثنية مقصودة لرعاية الفاصلة، إن المسألة مسألة المقام والسياق أولا بجانب رعاية الايقاع ثانيا.

ومن أحسن ما قيل فى ذلك ما جاء فى تفسير (الفخر الرازى) أنه سبحانه لما ذكر قبل هذه الآية عن جهنم التى عاينها المجرمون أنهم يطوفون بينها وبين حميم آن، ويفهم منه أنهم كلما فارقوا عذابا وقعوا فى آخر - وفى ذلك مضاعفة العذاب - ذكر هنا أن من خاف مقام ربه له جنتان والخائفون لا يطوفون بالجنة، وإنما هم فيها، كما أنهم ملوك فى جناتهم يُخدَمون ولا يخدِمون تقديرا لهم وإجلالا.

---

(١) معترك الأقران ١/٣٦، ٣٧

(٢) تفسير الألوسى ٢٧/١١٦

وبهذه المقارنة يظهر البَوْن الشاسع بين جزاء كل من الفريقين ولذلك استدعى المقام ذكر الجنتين(١) أى أن مضاعفة النعيم لمن خافوا ربهم يناسب ما ذكر قبله من مضاعفة العذاب للمجرمين.

أما بالنسبة لآية "الشمس" ﴿**إذ انبعث أشقاها**﴾.

قال **الفرَّاء**: و لم يقل: "أشقياها" وذلك جائز لو أتى؛ لأن العرب إذا أضافت أفعل التى يمدحون بها وتدخل فيها (من) إلى أسماء وَحَّدُوها فى موضع الاثنين والمؤنث والجمع فيقولون للاثنين: هذان أفضل الناس، وهذان خير الناس، ويُثَنُّون أيضا، أنشدنى فى تثنيته أبو القمقام الأسدى:

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد　　　بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

فإن تسلونى بالبيان فإنــــه　　　أبو معقل لا حى عنه ولا حــــدد

قال **الفرَّاء** : أى لا يكفى عنه حيٌّ، أى لا يقال: حيٌّ على فلان سواه، ولا حدد: أى لا يحد عنه: لا يحرم، وأنشدنى آخر فى التوحيد وهو يلوم ابنين له:

يا أخبث الناس كل الناس قد علموا　　　لو تستطيعان كنا مثل معضاد

فوحد، و لم يقل يا أخبثى، وكل صواب، ومن وحد فى الاثنين قال فى الأنثى أيضا هى أشقى القوم، ومن ثنى قال: هى شقيا النسوة على فعلى وأنشدنى المفضل الضبى:

غبقتك عظماها سناما أو انبرى　　　برزقك براق المتون أريب(٢)

إذن فـ**الفرَّاء** لم ينص على أن عدم التثنية لأجل الفاصلة كما زعم **ابن الصائغ**، بل قال: وذلك جائز وأيّد رأيه بما جاء فى شعر العرب الفصحاء. ويفههم من هذا أن أفعل التفضيل المضاف إلى معرفة مثل أشقاها يجوز فيه – فى العربية – المطابقة وعدمها فتقول – فى عدم المطابقة – الزيدان أفضل القوم، والزيدون أفضل القوم، وهند أفضل النساء، والهندان أفضل النساء، والهندات أفضل النساء – وتقول (فى المطابقة): الزيدان أفضلا القوم،

---

(١) تفسير الرازى ٢٩/١٠٨ – ١٠٩

(٢) معانى القرآن ٣/٢٦٨

والزيدون أفضلو القوم وأفاضل القوم، وهند فُضْلَى النساء، والهندان فُضْليا النساء، والهندات فُضَّلُ النساء أو فُضْلَياتُ النساء.
وقد ورد الاستعمالان في القرآن؛ فمن استعماله غير مطابق قوله تعالى: ﴿**ولتجدنهم أحرص الناس على حياة**﴾ ومن استعماله مطابقا قوله تعالى ﴿**وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها**﴾ (الأنعام ١٢٣) وقد اجتمع الاستعمالان فى قوله ﷺ "ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم منى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون"(١)

وبعد إذا كان هذا جائزا فى العربية وواردا فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة وفى شعر العرب فلا مبرر للقول بأن فيه عدولا عن الأصل لأجل الفاصلة كما يزعم ابن الصائغ

وقد نقل **ابن الصائغ** عن **الفرّاء** أنه أراد جنات، فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة ثم قال: وهذا غير بعيد، قال: وإنما أعاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو **الثالث والعشرون**.
ولست أرى بعد الذى قدمناه ضرورة للتأويل والتمحل فى التماس أوجه شكلية فى كلام الله عز وجل وإنما هما جنتان كما أراد الحق سبحانه وتعالى.

الرابع والعشرون: الاستغناء بالجمع عن الإفراد نحو: ﴿**لا بيع فيه ولا خلال**﴾ (إبراهيم ٣١) أى ولا خلة كما فى الآية الأخرى(٢) وجمع مراعاة للفاصلة.

---

(١) انظر "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" ١٨١/٣ مكتبة دار التراث، وراجع "قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام ص ٢٨١ المكتبة العصرية بيروت.

(٢) يقصد بالآية الأخرى قوله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة**﴾ (البقرة ٢٥٤)

قال **الراغب** فى "خلال" قيل هو مصدر من خاللت، وقيل هو جمع، يقال خليل وأخله وخلال.[١]

وقال **ابن منظور**: "والخلال والمخالة: المصادقة..

قال امرؤ القيس:

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلى الخلال ولا قالى[٢]

وبمثل ذلك قال **الزمخشرى**[٣] **والرازى**.[٤]

ووضح **الألوسى**: المقصود بالإفراد أو الجمع بقوله: "والمراد واحد وهو نفى أن يكون هناك خليل ينتفع به بأن يشفع له أو يسامحه بما يفتدى به"[٥]

ولو تأملنا عبارة **الألوسى** هذه نجد أنها تنفى الخلة وكل ما يشابهها أو يتعلق بها كالشفاعة أو المسامحة أو الافتداء بشىء.

إذن فعلى القول بالجمع – فى آية إبراهيم – لا منافاة بينه وبين الافراد فى آية البقرة لأن المراد نفى الجنس فى كليهما، ولعل وجه إيثار الجمع – فى إبراهيم – على المفرد – فى البقرة – أنه لما لم يذكر "شفاعة" فى إبراهيم كما ذكرت فى البقرة ذكر الجمع ليتناول نفى الخلة وكل ما يشابهها أو يرتبط بها كالشفاعة وغيرها، ولا يغيب عنا ما بين الخلة والشفاعة من ارتباط.

الخامس والعشرون: إجراء غير العاقل مجرى العاقل، نحو: ﴿**رأيتهم لى ساجدين**﴾ (يوسف ٤).

---

(١) مفردات الراغب – انظر مادة (خلل)

(٢) لسان العرب مادة "خلل".

(٣) الكشاف ٣٧٨/٢

(٤) التفسير الكبير ٩٩/١٩

(٥) روح المعانى ٢٢٢/١٣

قال **الشريف الرضى**: "هذه استعارة لأن الكواكب والشمس والقمر مما لا يعقل فكأن الوجه أن يقال: ساجدة، لكنها لما أطلق عليها فعل من يعقل جاز أن توصف بصفة من يعقل لأن السجود من فعل العقلاء، وهذا كقوله سبحانه: ﴿**يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم**﴾ (النمل ١٨) فلما كانت النمل فى هذا القول مأمورة أمر من يعقل جرى الخطاب عليها جريه على من يعقل... وقد يجوز أيضا أن يكون قوله تعالى فى ذكر الكواكب والشمس والقمر ﴿**رأيتهم لى ساجدين**﴾ إنما حسن على تأويل تلك الرؤيا وتأويلها تناول من يعقل من إخوة يوسف وأبويه فجرى الوصف على تأويل الرؤيا ومصير العقبى وهذا موضع حسن، و لم يمض بىلمن تقدم"(١)

وقريب من هذا قول **الزمخشرى**: فإن قلت : فلم أجريت مجرى العقلاء فى ﴿**رأيتهم لى ساجدين**﴾؟ قلت: لأنه لما وصفها بما هو خالص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة. وهذا كثير شائع فى كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة والمقاربة"(٢)

فالزمخشرى هنا يلحظ ملحظا بيانيا - كالشريف الرضى - فى إجراء غير العاقل مجرى العاقل وهو تلبسه بصفة من صفات العقلاء فأعطى حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة، وزاد الرضى وجها آخر بأن جرى الوصف على تأويل الرؤيا بمن يعقل من إخوة يوسف وأبويه، وهو وجه حسن تفرد به الرضى. وهكذا يكون المعنى ذا أثر كبير فى فاصلة الآية بجانب ما تحققه من إيقاع يتناسب والفواصل المصاحبة لها.

السادس والعشرون: إمالة ما لا يمال كآى طه والنجم.

---

(١) تلخيص البيان ١١٣، ١١٤

(٢) الكشاف ٢/٣٠٢، ٣٠٣.

واعتقد أن **الإمالة** غرضها الأساسى قصد المناسبة(١)

وقد عبر **ابن يعيش** عن الغرض من الإمالة بعدة تعبيرات فقال: الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل"(٢)

وقال: الغرض من الإمالة إنما هو مشاكلة أجراس الحروف والتباعد عن تنافيها"(٣)

إذن فالواضح من هذه الأقوال أن الغرض من الإمالة يتعلق بالناحية الصوتية (مراعاة الإيقاع الموسيقى للآيات) وهو جانب مهم وجزء من الاهتمام بالفاصلة.

أما كون الإمالة لها ملحظ بيانى معنوى فلم أقف على ذلك.

السابع والعشرون: الاتيان بصيغة المبالغة كقدير، وعليم، مع ترك ذلك فى نحو: ﴿**هو القادر**﴾ (الانعام ٦٥) و ﴿**عالم الغيب**﴾ (المؤمنون ٩٢) ومنه ﴿**وما كان ربك نسيا**﴾ (مريم ٦٤)

الآية كاملة ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا**﴾ (مريم ٦٤)

ولعله من المفيد أن نعرف سبب نزول الآية لنعيش مع السياق "سأل المشركون رسول الله ﷺ عن أشياء، فلم يدر الجواب عنها فوعدهم أن يجيب عليهم، و لم يقُل: "إن شاء الله"، فاحتبس الوحى عنه أربعين يوما – وقيل خمسة عشر يوما – فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فلما نزل جبريل قال له النبى ﷺ: أبطأت عني حتى ساء ظنى واشتقت إليك، قال: كنت إليك أشوق، ولكنى عبد مأمور، إذا بعثت

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٥/٣

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٥٣/٩

(٣) نفسه ٥٧/٩ وراجع ما كتبناه عن "الامالة" ص من هذا البحث.

نزلت وإذا احتبست احتبست، فأنزل الله الآية ﴿**وما نَتَنَزَّلُ إلا بأمر ربك...**﴾ وأنزل قوله تعالى: ﴿**ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**﴾ (الكهف ٢٣) وأنزل سورة "الضحى" ومعنى التنزُّل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل ... ولا يكون إلا بأمر الله عز وجل(١) "النَّسِيُّ: كثير النسيان، يكون فَعِيلا وفَعُولا، و"فعيل" أكثر، لأنه لو كان فعولا لقيل نسو أيضا. وقال **ثعلب**: رجل ناس ونسى، كقولك: حاكم وحكيم، وعالم وعليم وشاهد وشهيد، وسامع وسميع، وفى التنزيل ﴿**وما كان ربك نَسِيا**﴾ أى لا ينسى شيئا، وقال الزجاج: معناه والله أعلم. ما نسيك ربك يامحمد، وإن تأخر عنك الوحى"(٢) فعدم النزول لم يكن إلا لعدم الأمر به لحكمة بالغة فيه، ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة – وفى إعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ إلى الكمال اللائق مضافا إلى ضميره ﷺ من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى"(٣)

وأرى أن المقام هنا إيناس لرسول الله ﷺ وإدخال السرور عليه وإشعاره بأن ربه ما تركه وما قلاه ونفى المبالغة هنا قد يبدو فى ظاهره إثبات لأصلها مع أن أصلها مستحيل على الله تعالى، وعلى ذلك يكون المناسب هو اسم الفاعل لا صيغة المبالغة، ولكن الواقع أن النسيان هنا مجاز عن الترك وعلى هذا تكون المبالغة منصرفة إلى طول مدة الترك، وأما أصل الترك فثابت لحكمة بالغة يعلمها الحق سبحانه وتعالى، ولذلك كان عدم التنزل إذن فلم يكن عدم التنزل لأن الله تركك أو نسيك وإنما لحكمة بالغة هو يعلمها بدليل قوله بعد ذلك ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ ففيه بيان لاستحالة

---

(١) تفسير النيسابورى ٦٠/١٦ وتفسير الزمخشرى ٥١٦/٣ مع تصرف يسير فى النص.

(٢) لسان العرب مادى (نسى).

(٣) تفسير أبى السعود ٢٧٣/٥ ط بيروت وانظر روح المعانى ١١٤/١٦ – ١١٥

النسيان عليه تعالى، فإن من بيده ملكـوت السـموات والأرض ومـا بينهمـا لا يعقل أن يحوم حول ساحة عظمته الغفلة أو النسيان.

أما قوله ﴿**هو القادر**﴾ فى (الانعام) و﴿**عالم الغيب**﴾ فـى (المؤمنـون) فليستا بفاصلة.

الثامن والعشرون

ومن الأوجه التى ذكرها **ابـن الصـائغ**: إيثـار بعـض أوصـاف المبالغـة على بعض(١)

نحو: "إن هذا لشيء عُجَاب" (سورة ص ٥) أوثر على عجيب لذلك.

ليس من الانصاف للبيان الأعلى والكلام المعجز أن يلتفت إلى النسق اللفظى دون الالتفـات إلى الملحـظ البيـانى الـذى يقتضيـه المعنـى وحينمـا نسـتعرض السياق الذى وردت فيه الآية الكريمة ﴿**وعَجِبُوا أنْ جَاءهم منذر منهم فقـال الكـافرون هـذا سـاحر كـذاب. أجعـل الآلهـة إلهـاً واحـداً إن هـذا لشـىء عُجَاب**﴾ (سورة ص ٤، ٥).

فالكافرون أَلِفوا تعدد الآلهة وحياة الهمجية، فلما جاءهم محمـد ﷺ يدعوهـم إلى عبادة إله واحد أحد وترك عبـادة الأصنـام التـى ألفوهـا ووجـدوا آبـاءهم يعبدونها، فكان هذا بالنسبة لهم شيئا عجيبا أشد العجب، بل شـيئا بليغـا فـى العجب "أى مبالغة فى العجب، فإن فُعالا بناء مبالغة كرجل طُـوال وسُـراع، ووجه تعجبهم أنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على تعدد الآلهة، وواظبوا على عبادتها، وقد كان مدارهم فى كل ما يـأتون ويـذرون التقليـد، فيعدون خلاف ما اعتادوه عجبا بل محالا"(٢)

"قال صاحب "**العين**" بين العَجيب والعُجـاب فـرق، أمـا العجيـب: فـالعجب يكون مثله، وأما العجاب: فالذى تجاوز حد العجب(٣)

---

(١) المعترك ٣٧/١ والاتقان ٣٤٣/٣

(٢) روح المعانى ١٦٦/٢٣ وانظر الكشاف ٣٦٠/٤ والتفسير الكبير ١٥٥/٢٦

(٣) لسان العرب مادة عجب.

واستدل بقوله تعالى ﴿**إن هذا لشيء عجاب**﴾.

جاء في "**البرهان**" قول المعري في "اللامع العزيزي":(١) "فَعِيل" إذا أريد به المبالغة نقل به إلى "فُعَال" وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا: "فُعَّال" ذلك من عَجِيب وعُجَاب وعُجّاب، وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي: ﴿**إن هذا لشيء عُجّابا**﴾ (سورة ص آية ٥) بالتشديد(٢).

جاء في سورة "**ق**" قوله تعالى: ﴿**بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب**﴾

فمناط العجب هنا كون الرسول منهم وكونه بشرا مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقد كانوا يظنون أن يكون الرسول ملكا.

وجاء في سورة "**ص**" قوله تعالى: ﴿**أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**﴾. عدول من صيغة "فَعيل" إلى صيغة "فُعال" للدلالة على شدة التعجب لأن الرسول أتاهم بغير ما ألفوه واعتادوه فكانت نسبة العجب أشد.

وجاء في سورة "نوح" ﴿**ومكروا مكرا كُبَّارا**﴾ (نوح ٢٢)

فـ "كبّار" بالتشديد "فعال" عدل إليها لإفادة شدة المكر.

قال **الراغب** "والكُبَار" أبلغ من "الكبير" و"الكُبَّار" أبلغ من ذلك(٣) واستدل بقوله تعالى: ﴿**ومكروا مكرا كبارا**﴾ وبمثل ذلك قال **الزمخشري**.(٤)

---

(١) اللامع العزيزي كتاب لأبي العلاء المعري في شرح غريب شرح أبي الطيب المتنبي، عمل الأمير عزيز الدولة ثابت بن الأمير معز الدولة أبي العوان (إنباه الرواة ٦٥/١)

(٢) البرهان ٥١٣/٢، ٥١٤

(٣) مفردات الراغب ص ٤٢٣

(٤) الكشاف ١٦٤/٤

إذن فليس العدول عن صيغة إلى أخرى – فى البيان المعجز – سببه مراعاة الفاصلة فحسب وإنما حسبما يتطلب المعنى من الدلالة على العجب ودرجة شدته.

التاسع والعشرون: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، نحو: ﴿**ولولا كلمةٌ سبقتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسمًّى**﴾ (طه ١٢٩)

قال **الزمخشرى**: الكلمة السابقة هى العِدَة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول: لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة، واللزام إما مصدر لازم وصف به، وإما فِعَال بمعنى مَفْعل أى ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه "وأجل مسمى" لا يخلو من أن يكون معطوفا على "كلمة" أو على الضمير المستكن فى "كان"، أى: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود فتوجيه **الزمخشرى** للآية ذو شقين:

الأول: أن يكون "أجل مسمى" معطوفا على "كلمة" وعليه ففى الآية فصل بين المتعاطفين.

الثانى: أن يكون معطوفا على الضمير المستكن فى "كان" وبناء على ذلك فلا فصل فى الآية، وتقدير المعنى حينئذ "ولولا كلمة سبقت من ربك لكان الأخذ العاجل والآجل لازمين لهما كما كانا لازمين لعاد وثمود.

إذن فالوجه الثانى أقرب إلى الفهم وبعيد عن التأويل ولا يلزم عليه تقديم ولا تأخير فيسقط الاستدلال به.

إذن فلا داع لأن يقال فيه فصل وتقديم وتأخير من أجل الفاصلة.

الثلاثون: إيقاع الظاهر موقع المضمر، نحو: ﴿**والذين يُمَسِّكُون بالكتابِ وأقاموا الصلاةَ إنَّا لا نُضِيعُ أجرَ المُصْلِحين**﴾ (الأعراف ١٧٠).

لم يكن إيقاع الظاهر فى هذه الآية موقع المضمر غرضه – بادىء ذى بدء – مراعاة الفاصلة وإنما غرضه بيان كمال العناية بالمظهَر "المصلحون" فلم يقل

"أجرهم" تنبيها على أن صلاحَهم علة لنجاتهم"(١) "وفيه إشارة إلى وصفهم بالصلاح حين تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة وهو معنى لا يتأدى؛ بالضمير"(٢) العائد، ولهذا أوثر إبراز "المصلحين" بدلا من الضمير العائد عليهم لبيان أن عدم إضاعة الأجر بسبب صلاحهم فى كونهم تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة.

الحادى والثلاثون: وقوع مفعول موقع فاعل. نحو: ﴿**حجابا مستورا**﴾ (الإسراء ٤٥) أى ساترا. ﴿**كان وعده مأتيا**﴾ (مريم ٦١) أى آتيا.

جاءت آية الإسراء فى سياق آيات روى فواصلها راء مسبوقة بحرف "مد" والحجاب يكون ساترا لا مستورا، فكان أن يقال "ساترا" وهذا ما جعل **ابن الصائغ** يرى أن وقوع مفعول موقع فاعل من أجل الفاصلة. وهذا وهم. إنما الداعى إلى ذلك هو المبالغة فى قوة المعنى وتأكيده وأن الحجاب الذى جعل بين الكافرين وبين الرسول ﷺ وما يتلوه من آيات بينات، لعدم انتفاعهم بها وشدة نفورهم عنها، كاد يكون لقوة ستره مستورا. أى أن أثره تعدى موضعه حتى شمل الحجاب نفسه، ففى التعبير تخييل على حد قول الشاعر:

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله

لكن لشعرى فيك من نفسه آيات شعر

ففى العبارة مجاز عقلى(٣) ، وكذلك يقال فى قوله تعالى: ﴿**كان وعده مأتيا**﴾ (مريم ٦١) ففى هذا العدول مبالغة فى قوة المعنى وتأكيده بأن وعد الله آت لا محالة.

---

(١) البرهان ٤٩٣/٢

(٢) مجلة منبر الإسلام ع١ س٤١ ص ١٦ من مقال بعنوان "فواصل الآيات بين المعنى والنغم والموسيقى".

(٣) خصائص التعبير القرآنى ٢١٧/١، ٢١٨

الثاني والثلاثون: ووقوع فاعل موقع مفعول، نحو ﴿**في عيشة راضية**﴾ (الحاقة ٢١) ﴿**من ماء دافق**﴾ (الطارق ٦) يأتي كثيرا في العربية (اسم الفاعل) بمعنى (اسم المفعول) قال تعالى: ﴿**لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم**﴾ (هود ٤٣) أي لا معصوم وقال: ﴿**أو لم يروا أنّا جعلنا حرما آمنا**﴾(العنكبوت ٦٧) أي مأمونا فيه وقال: ﴿**وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾(الإسراء ١٢) أي مبصرا بها.

والعرب تقول: (ليل نائم، وسر كاتم) بهذا المعنى أيضا. ومما أذكره من قبيل هذا قول **الحطيئة**:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي المطعوم المكسو. أما عن قوله تعالى: ﴿**في عيشة راضية**﴾ قال **الفرّاء**: والعرب تقول: هذا ليل نائم وسر كاتم، وماء دافق، فيجعلونه فاعلا وهو مفعول في الأصل، وذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم(١)

وقال **ابو عبيدة** عيشة راضية مجاز مرضية فخرج مخرج لفظ صفتها، والعرب تفعل ذلك إذا كان من السبب في شيء، يقال: نام ليله وإنما ينام هو فيه.(٢)

وقال **الشريف الرضي**: "وكان الوجه أن يقال: في عيشة مرضية، ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم شعرٌ شاعر، وليلٌ ساهر ... وقال بعضهم: إنما قال تعالى: ﴿**في عيشة راضية**﴾؛ لأنها في معنى ذات رضا، كما قالوا لذى الدرع دَارِع ولذى النّبل نابل ولصاحب الفرس فارِس، وإنما جاءوا به على النسب ولم يجيئوا به على الفعل وعلى ذلك قول النابغة الذبياني:

كليني لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكب

---

(١) معاني القرآن ١٨٢/٣

(٢) مجاز القرآن ٢٦٨/٢

أى ذى نصب، فكأن العيشة أعطيت من النعيم حتى رضيت فحسن أن يقال راضية لأنه لمنزلة الطالب للرضا..."(١)

وخلاصة القول :إذا كانت تلك عادة العرب، والقرآن نزل بلغة العرب ونزل على ما تستحب العرب من القول، فلا داعى لقولهم إن السبب فى وقوع اسم الفاعل موقع اسم المفعول أو عكسه مراعاة الفاصلة فحسب وإنما لمقصود المعنى ودقة النظم الهدف الأسمى وهذا من تصريف القرآن للقول بحسب المقام.

الثالث والثلاثون: الفصل بين الموصوف والصفة: نحو: ﴿**والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى**﴾ (الأعلى ٤،٥) إن أعرب أحوى صفة للمرعى. أى حالا.
الذى أخرج المرعى وهو الكلأ الأخضر مما ترعاه الدواب غضا طريا "فجعله" بعد ذلك غثاء وهو ما يبس من النبات فحملته الأهوية، وطيرته الرياح، والظاهر أن أحوى صفة للغثاء، والحوَّة: السواد إذا يبس واستولى البرد عليه جعل يضرب إلى السواد وقد يحتمله السيل فيلصق به أجزاء كدرة.

قال **الفرَّاء** وأبو عبيدة "الأحوى" هو الأسود لشدة خضرته وعلى هذا يكون حالا من ضمير المرعى أى صيره فى حال حوته غثاء"(٢) وقال جار الله - يقصد **الزمخشرى** - هو حال من المرعى أى أخرجه أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حوته.(٣) وكأن المعنى على هذا: أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، فيكون مؤخرا معناه التقديم(٤)

---

(١) تلخيص البيان ٣٣٠

(٢) تفسير النيسابورى ٣٠/٧٠، ٧١ وانظر معانى القرآن ٣/٢٥٦.

(٣) الكشاف ٤/٢٤٣

(٤) معانى القرآن ٣/٢٥٦

الرابع والثلاثون: إيقاع حرف مكان غيره، نحو ﴿**بأن ربك أوحى لها**﴾ (الزلزلة ٥) والأصل "إليها"

قال أبو حيان – بمثل ما قال **ابن الصائغ** – فى هذه الآية قال: "وعدى أوحى باللام، وإن كان المشهور تعديتها بإلى لمراعاة الفواصل"(١) وتلتفت الدكتورة عائشة عبدالرحمن فى تفسير هذه الآية إلى ملحظ طريف فتقول: "ونستقرىء مواضع فعل الإيحاء فى القرآن كله فلا نراه يتعدى "إلى" إلا حين يكون الموحى إليه من الأحياء، يطَّرد ذلك فى كل آيات الإيحاء بإلى وعددها سبع وستون آية.

وأما حين يكون الموحى له جمادا، فالفعل يتعدى باللام كآية الزلزلة أو بحرف فى كما فى آية فصلت ﴿**وأوحى فى كل سماء أمرها**﴾ (فصلت ١٢) ودلالة اللام الايحاء المباشر على وجه التسخير ودلالة "فى" البث والملابسة.

وأما الإيحاء بـ "إلى" فيأخذ دلالته الخاصة فى المصطلح الدينى للوحى إذا كان الموحى إليه من الأنبياء، وإلى غير الأنبياء بشرا أو حيوانا يكون الإيحاء بمعنى الالهام. وللجماد بمعنى التسخير ومن هنا كان إيثار التعدية باللام لما فى معنى اللام من اختصاص وإلصاق وصيرورة وتقوية الإيصال وهى معان عرفها اللغويون أنفسهم فيها وعدوها فيما عدوا من معانيها التى أحصاها (ابن هشام) فى (مغنى اللبيب) وإن لم يلتفتوا إليها هنا فى البيان القرآنى بل قالوا إن "اللام" تقوم مقام "إلى" بشاهد من آية الزلزلة: "أوحى لها"(٢)

إذن فلا يكون الإيحاء للأرض فى هذه الآية عدولا عن أوحى إليها لمراعاة الفاصلة بل التعدية باللام هنا متعينة مقصودة لأن الموحى إليه جماد كما هدى الاستقراء القرآنى.

---

(١) البحر المحيط ٥٠١/٨

(٢) انظر الاعجاز البيانى ٣٧٧ والتفسير البيانى ٩٢ وراجع مغنى اللبيب لابن هشام ١٩٣/١

الخامس والثلاثون: تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ، منه "الرحمن الرحيم" و"رءوف رحيم" لأن الرأفة أبلغ من الرحمة.

قال **الزمخشرى:** "فإن قلت: فَلِمَ قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه؟ والقياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم نحرير وشجاع باسل، وجواد فياض؟ قلت: لما قال "الرحمن" تناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه "الرحيم" كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف"(١)

وقريب من هذا قول **ابى السعود** – وهو متأثر **بالزمخشرى** – "وتقديمه مع كون القياس تأخيره رعاية لأسلوب الترقى إلى الأعلى كما فى قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض، لأنه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بأن يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وإفراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة"(٢)

وفى تقديم "رءوف" على "رحيم" قال **أبو السعود:** "وتقديمه على "رحيم" مع كونه أبلغ منه لما مرّ فى وجه تقديم "الرحمن" على "الرحيم"، وقيل "الرحمة" أكثر من "الرأفة" فى الكمية والرأفة أقوى منها فى الكيفية لأنها عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة إيصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الألم كقطع العضو المتآكل ..."(٣)

إذن فالعلة البلاغية التى يقتضيها المعنى الترقى من الأدنى إلى الأعلى.

السادس والثلاثون: حذف الفاعل ونيابة المفعول، نحو قوله تعالى: **﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾** (الليل ١٩)

---

(١) الكشاف ٤٥/١

(٢) تفسير أبى السعود ١١/١

(٣) السابق ١٧٤/١

يرى **ابن الصائغ** – كما يرى بعض المفسرين – أن مجيء "تجزى" مبنيا للمفعول لكونه فاصلة، وكان أصله نجزيه إياها أو نجزيها إياه، وأعتقد أن هذا ملحظ شكلي لا يجزيء أن يقال بمثله في البيان الأعلى وإنما لابد أن هناك ملحظا بيانيا ومقتضى معنويا في هذا النص المعجز يفهم من السياق. **فالآية** استئناف مقرر لما أفاده الكلام السابق من كون إيتائه للتزكي خالصا لله تعالى أي ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإيتاء ما يؤتى مجازاتها، ويعلم ما ذكر أن بناء تجزى للمفعول؛ لأن القصد ليس لفاعل معين.(١)

قال **الزمخشري**: ويجوز أن يكون "ابتغاء وجه" مفعولا له على المعنى لأن معنى الكلام: لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة(٢) وهو في هذا متأثر **بالفرَّاء** "لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده، ولكنه أنفقها ابتغاء وجه ربه"(٣)

وخلاصة القول أن بناء الفعل "تجزى" للمجهول جاء لمقتضى معنوى وهو أن البذل هنا لم يكن عن قصد جزاء لأحد، أو من أحد على الإطلاق وإنما هو خالص لوجه الله وواضح من الآية أن المال المبذول لم يؤته من تزكى جزاء على نعمة سبقت لأحد عنده وإنما قصد من الانفاق والتزكى وجه الله تعالى.

السابع والثلاثون: إثبات هاء السكت نحو: ماليه. سلطانيه. ماهيه (الحاقة ٢٨، ٢٩ والقارعة ١٠) هذه الهاءات تصور بنغمتها جزءا من ظلال الموقف الذي ترسمه الآيات، وحينما نستمع إلى الآيات في أثناء قراءتها. **﴿ياليتنى لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه. ياليتها كانت القاضية. ما**

---

(١) روح المعاني ١٥٢/٣٠

(٢) الكشاف ٢٦٢/٤ وانظر البحر المحيط ٤٧٩/٨

(٣) معاني القرآن ٢٧٢/٣

أغنى عنى ماليه. هلك عنى سلطانيه﴾ نسمع نغمة يائسة ولهجة بائسة توحى بالتفجع والتحسر، لأن ثمة رنة حزينة حسيرة مديدة نسمعها فى هذه الهاء الساكنة (الفاصلة) وفى الياء قبلها بعد المد بالألف ولا شك أن هذا جزء من ظلال الموقف العصيب الموجى بالحسرة والأسى ساعد على إظهاره وسماعه تلك الهاء الفاصلة.

الثامن والثلاثون: الجمع بين المجرورات، نحو: **﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾** (الإسراء ٦٩) فإن الأحسن الفصل بينهما، إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير "تبيعا".

لكى نصل إلى الفهم الصحيح نعيش مع الآيات التى قبل هذه الآية لمراعاة السياق العام قال تعالى: **﴿وإذا مسكمُ الضُّرُّ فى البحر ضَلَّ مَنْ تدعونَ إلا إياه فلما نجَّاكُم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا. أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يُرسلَ عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا. أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصِفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾** (الإسراء ٦٧ – ٦٩)

إن جملة "وإذا مسكم الضر..." خبر مستعمل فى التقرير وإلزام الحجة إذ لا يخبر أحد عن فعله إخبارا حقيقيا، وجملة "فلما نجاكم إلى البر أعرضتم" خبر مستعمل فى التعجب والتوبيخ، وجملة وكان الإنسان كفورا" اعتراض وتذييل لزيادة التعجب منهم ومن أمثالهم، والكفور صيغة مبالغة أى كثير الكفر والنكران لنعمة الله، لذلك كان من آداب النفس فى الشريعة تذكيرها بنعم الله، فقوله: "أفأمنتم أن يخسف بكم..." تفريع على جملة "أعرضتم" وما بينهما اعتراض، وفرع الاستفهام التوبيخى على إعراضهم عن الشكر وعودهم إلى الكفر،، و"الباء" فى "يخسف بكم" لتعديه "يخسف" بمعنى المصاحبة.. والوكيل: الموكل إليه القيام بمهام موكله، والمدافع عن حقه، أى لا تجدوا لأنفسكم من يجادلنا عنكم أو يطالبنا بما ألحقناه بكم من الخسف أو الاهلاك بالحاصب.. و"أم" عاطفة الاستفهام وهى للإضراب الانتقالى، أى بل أأمنتم أى وهل كنتم آمنين من العود إلى ركوب البحر مرة أخرى فيرسل

عليكم قاصفا من الريح.. والباء في "بما كفرتم" للسببية وما مصدرية أي "بكفركم" و"ثم" للترتيب الرتبي كشأنها في عطفها الجمل وهو ارتقاء في التهديد بعدم وجود منفذ لهم، بعد تهديدهم بالغرق لأن الغريق قد يجد منفذا و"التبيع" مبالغة في التابع أي المتتبع غيره المطالب لاقتضاء شيء منه أي لا تجدوا من يسعى إليه ولا من يطالب لكم بثأر، ووصف تبيع يناسب حال الضر الذي يلحقهم في البحر، لأن البحر لا يصل إليه رجال قبيلة القوم وأولياؤهم، فلو راموا الثأر لهم لركبوا البحر ليتابعوا آثار من ألحق بهم ضرا، فلذلك قيل هنا "تبيعا" وقيل في التي قبلها "وكيلا" كما تقدم. وضمير "به" عائد إما إلى الإغراق المفهوم من "يضركم" وإما إلى المذكور من إرسال القاصف وغيره.

ولعل في التعبير بـ "تبيعا" من مجاز القرآن في إقامة صيغة مكان أخرى كإطلاق فاعل بمعنى مفعول وعكسه أو إطلاق فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى "وكان الكافر على ربه ظهيرا" أو إطلاق فعيل بمعنى "فاعل" لقصد المبالغة في التهديد والتوبيخ كالآية التي معنا "ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا"

التاسع والثلاثون: العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الإستقبال، نحو: **﴿ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾** (البقرة ٨٧) والأصل قتلتم.(١)
والآية الكاملة: **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وَقَفَّينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ٱبنَ مريم البينات وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكمُ ٱسْتكبرتُم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾**

قال **أبو السعود:** (ففريقا) منهم (كذبتم) من غير تعرض لهم بالمضار، والفاء للسببية أو للتعقيب (وفريقا) آخر منهم (تقتلون) غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام، وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم، وإيثار صيغة الاستقبال في القتل

---

(١) المعترك ١/٣٩

لاستحضار صورته الهائلة أو للإيماء إلى أنهم بَعْدُ على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام..."(١)

ويؤيد هذا قول **الزمخشرى**: "فإن قلت: هلا قيل: وفريقا قتلتم؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره فى النفوس وتصويره في القلوب، وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد ﷺ إلا أنى أعصمه منكم..."(٢)

قال **ابن المنير**: "والتعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضى كقوله تعالى ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء**﴾ فعبر بالماضى ثم قال ﴿**فتصبح الأرض مخضرة**﴾ (الحج ٦٣) فعدل عنه إلى المضارع إرادة لتصوير اخضرارها فى النفس"(٣)

على كل حال ذلك شائع وكثير فى القرآن الكريم: ومنه ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسَوْنَ أنفسكم**﴾ (البقرة ٤٤) ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين**﴾ (البقرة ١٠٢) أى: **تلت** ﴿**ولقد نعلم...**﴾ (الحجر ٩٧، والنحل ١٠٣) أى: **علمنا** ﴿**قد يعلم ما أنتم عليه**﴾ (النور ٦٤) ﴿**فلم تقتلون أنبياء الله من قبل**﴾ (**البقرة ٩١) أى: قتلتم**. ﴿**ويقول الذين كفروا لست مرسلا**﴾ (الرعد ٤٣) أى: **قالوا**(٤)

الأربعون: تغيير بنية الكلمة، نحو: ﴿**وطور سينين**﴾ والأصل وطور سيناء – جاء فى تفسير النيسابورى: "وأما طور سينين، فالطور: جبل موسى عليه السلام، وسينين: الحسن بلغة الحبشة...

---

(١) تفسير أبى السعود ١٢٦/١.

(٢) الكشاف ٢٩٥/١

(٣) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٢٩٥/١

(٤) معترك الأقران ٢٥٨/١ وتمام آية "الحجر" ﴿**ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون**﴾ وتمام آية النحل ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين**﴾

وقال **مجاهد**: المبارك، **وقال الكلبى، ومقاتل**: كل جبل منه شجر مثمر **فهو** سينين، و"سيناء" بلغة النبط.(١) قال الواحدى: الأولى أن يكون سينين **اسما** للمكان الذى فيه الطور، **سمى** بذلك لحسنه أو لبركته ثم أضيف إليه الطور للبيان، ولا يجوز أن يكون "سينين" نعتا للطور لإضافته إليه"(٢)

قال **أبو السعود**: "طور سينين" هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه، وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك أضيف إليهما، وسينون كبيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية.(٣)

إذن فالكلمتان "سينين" و"سينا" لغتان، فالأولى بلغة الحبشة والثانية لغة النبط..

وبعد إذا كنا نأخذ على **ابن الصائغ** وغيره **كالفرّاء** وبعض المفسرين أنهم يجعلون مراعاة الفاصلة سببا ظاهرا فى تقديم كلمة أو تأخير أخرى أو حذف حرف أو زيادة حرف ويسمون ذلك عدولا عن الأصل – وهذا اعتبار لفظى بحت لا يليق أن نفهم على أساسه روائع التعبير فى البيان الأعلى فحسبه أنه مجتهد، والمجتهد لا يخلو من الأجر – إن حسنت النية – أخطأ أم أصاب، وبين الأجرين فرق ما بين الصواب والخطأ.

ومن الحق أن نقول: إن **ابن الصائغ** لم يجزم بأن هذا العدول من **أجلّ** المناسبة أو مراعاة الفاصلة فحسب بل احتاط لدفع توهم الإطلاق والتعميم فتجده يقول فى نهاية هذه الأحكام: "لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم – كما جاء فى الأثر – لا تنقضى عجائبه".

---

(١) تفسير القرطبى ٧٦/٢٠

(٢) تفسير النيسابورى ١٢٠/٣٠ على هامش تفسير ... دار الحديث.

(٣) تفسير أبى السعود ١٧٥/٩

ولعل هذا القول – مع إيماننا بالإعجاز البيانى للقرآن فى نظمه وكلمه وحروفه – هو ما دفعنا إلى التنقيب لتتبع الأمور الأخرى التى أشار إليها **ابن الصائغ** وهى أمور تتعلق بالمعنى والمبنى للفاصلة كما اقتضاها السياق الذى وردت فيه.

ومن نافلة القول، أن نذكر أن النظم القرآنى لم يخرج عن مقتضى الظاهر فى التركيب اللغوى مراعاة للفاصلة دون المعنى، ولكن المعنى فرض الخروج عن هذا (المقتضى) وكانت الفاصلة نتيجة من نتائج الوفاء بالمعنى، فالأمر كله سياق عام يؤدى معنى معينا يتطلب تركيبا معينا، فالعلماء هنا يصفون مدى ارتباط الشكل بالمضمون، وموسيقى الفاصلة جزء من الشكل وجزء من المضمون.

ومن الجدير بالذكر أنه ما من فاصلة قرآنية إلا يقتضى لفظها فى سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه قد نتدبره فنهتدى إلى سره البيانى وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عن إدراكه ﴿**قل لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾ (الإسراء ٨٨)

الفصل السادس

علاقات الفاصلة

أولا: علاقة الفاصلة بقرينتها (التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال)

ثانيا: علاقة التناسب.

ثالثا: علاقة الفاصلة بالمقطع.

رابعا: علاقة إيقاع موسيقي.

خامسا: علاقة الفاصلة بالسورة.

علاقات الفاصلة

أولا: علاقة الفاصلة بقرينتها:

من مزايا الفواصل فى القرآن الكريم شدة ارتباطها بما قبلها من الكلام، وقوة تعطف الكلام عليها، كأنهما معا جملة مفرغة يسرى فيها روح واحد ونغم واحد ينحدر إلى الأسماع انحدارا. وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها لتتمم معناه وحتى لتبلغ من وقوعها موقعها واطمئنانها فى وضعها أنها لو حذفت لاختل معنى الكلام، واضطرب فهمه، واستغلق بيانه، ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختم بها انسياقا مع الطبع الملهم والذوق السليم.

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن طريق الشعبى عن زيد بن ثابت، قال: أملى على رسول الله - ﷺ - هذه الآية **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نُطْفةً فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر﴾** فقال معاذ بن جبل: **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** فضحك رسول الله ﷺ! فقال معاذ: مم ضحكت يارسول الله؟ قال: بها ختمت(١) (المؤمنون ١٢ - ١٤)، بل قد يبلغ من تعينها فى مكانها وفرض نفسها عليه أنه لو بُدِّل بها غيرها لأدرك السامع الحصيف، الثاقب الفطنة أن كلاما غريبا ينقصه لتناسب حل محلها؛ فأنكر ذلك سمعه وضاق به صدره.

روى أن أعرابيا سمع شخصا يقرأ: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم).
فقال: ما ينبغى أن يكون الكلام هكذا، فقيل له: إن القارىء غلط، والقراءة **﴿والله عزيز حكيم﴾** (المائدة ٣٨).

---

(١) الاتقان ٣/٣٤٦، ٣٤٧

فقال: نعم هكذا تكون فاصلة هذا الكلام فإنه لما عزَّ حكم فقطع(١)

وقريب من هذا، أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: (وحملناه على ذات ألواح ودسر(٢) تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كَفر) – قرأها بفتح الكاف. فقال الأعرابى: لا يكون! فقرأهاعليه بضم الكاف وكسر الفاء، فقال الأعرابى: يكون.(٣)

هذه العلاقة الوطيدة بين الفاصلة وقرينتها، أطلق عليها العلماء

"ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه سائر الكلام"(٤)

قال **الزركشى**: "اعلم أن من المواضع التى يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشىء فيها بما يشاكله، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض.. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يتسخرج بالتأمل للبيب"(٥) وهى منحصرة فى أربعة أشياء: التمكين والتوشيح والايغال والتصديز. والفرق بينها، أنه إن كان تقدم لفظها بعينه فى أول الآية سمى تصديرا وإن كان فى أثناء الصدر سمى توشيحا، وإن أفادت معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام سمى إيغالا.(٦)

---

(١) البحر المحيط ٣/٤٨٤ وخزانة الأدب للحموى ص ٩٧

(٢) الدسر: جمع دسار وهو المسمار.

(٣) البيان والتبيين ٢/١٧٤، والآيتان: ﴿**وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر**﴾ (القمر ١٣، ١٤)

(٤) بديع القرآن ٨٩ والبرهان ١/٧٨

(٥) البرهان ١/٧٨

(٦) البرهان ١/٧٨، ٧٩ وبديع القرآن ٨٩

النوع الأول: التمكين:

وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتى به الفاصلة ممكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها، مطمئنة فى موضعها غير نافرة ولا قلقة،متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**وردَّ ا لله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى ا لله المؤمنين القتال وكان ا لله قويا عزيزا**﴾ (الأحزاب ٢٥) "فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله: ﴿**وكفى ا لله المؤمنين القتال**﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار فى اعتقادهم أن الريح التى حدثت كانت سبب رجوعهم، و لم يبلغوا ما أرادوا، وأن ذلك أمر اتفاقى، فأخبر سبحانه فى فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين ويزيدهم يقينا وإيمانا على أنه الطالب الممتنع، وأن حزبه كذلك، وأن تلك الريح التى هبت ليست اتفاقا بل هى من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته وأنه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانا وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر، وتارة بالريح كيوم الأحزاب، وتارة بالرعب كبنى النضير، وطورا ينصر عليهم كيوم أحد، تعريفا لهم أن الكثرة لا تغنى شيئا، وأن النصر من عنده كيوم حنين"(١)

قال تعالى: ﴿**لقد نصركم ا لله فى مواطنَ كثيرةٍ ويومَ حُنَيْنٍ إذْ أعجبتكم كثرتُكم فلم تُغْنِ عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ثم وليتم مُدبرين. ثم أنزل ا لله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعَذَّبَ الذين كفروا وذلك جزاءُ الكافرين. ثم يتوبُ ا لله من بعد ذلك على من يشاء وا لله غفور رحيم**﴾ (التوبة ٢٦ – ٢٨).

ولعلك تلاحظ تمكن الفاصلة ﴿**وذلك جزاء الكافرين**﴾ بعد قوله ﴿**وعذّب الذين كفروا**﴾ وتمكن الفاصلة ﴿**وا لله غفور رحيم**﴾ بعد قوله ﴿**ثم يتوب ا لله من بعد ذلك على من يشاء**﴾ فالغفران مترتب على التوبة، فمن تاب وأناب غفر له فرحمة ا لله واسعة.

---

(١) البرهان ٧٩/١

ومن شواهد تمكين الفاصلة قوله تعـالى: ﴿**وما كـان لرسـول أن يـأتىَ بآيةٍ إلا بإذن ا لله فإذا جاءَ أمرُ ا لله قُضِىَ بالحق وخَسِـرَ هنـالك ألْمُبْطِلُـون**﴾ (غافر ٧٨)

وقوله تعالى: ﴿**فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة ا لله التى قد خلـت فى عباده وخسر هنالك الكافرون**﴾ (غافر ٨٥).

فقد ختم الآية الأولى بقوله "المبطلون" وختم الآيـة الثانيـة بقولـه "الكـافرون" وذلك لأن كل كلمة مناسبة للسياق الـذى وردت فيـه، فـالأولى وردت فـى سياق الحق ونقيض الحق الباطل، والثانيـة وردت فـى سياق الايمـان ونقيـض الإيمان الكفر، قال تعالى فى الآيـة الأولى ﴿**فـإذا جـاء أمـر ا لله قُضِـى بـالحق وخسر هناك المبطلون**﴾ وقال فى الآية الثانية ﴿**فلمـا رأوا بأسـنا قـالوا آمنـا با لله وحده وكفرنا بما كنا به مشـركين. فلـم يـك ينفعهـم إيمـانهم لمـا رأوا بأسنا سنة ا لله التى قد خلت فى عباده وخسـر هنـالك الكـافرون**﴾ (غـافر ٨٤ - ٨٥).

جاء فى **البرهان للكرمانى** فى اختيار هاتين الفاصلتين أن "الأول متصل بقوله "قضى بـالحق" ونقيـض الحـق البـاطل. والثـانى متصـل بإيمـان غـير مجـد ونقيض الإيمان الكفر.(١)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أو لم يهد لهـم كـم أهلكنـا مـن قبلهـم مـن القـرون يمشون فـى مسـاكنهم إن فـى ذلـك لآيـات أفـلا يسـمعون. أو لم يـروا أنـا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُزِ فَنُخْرِجُ به زرعا تأكل منه أنعـامُهم وأنفسُـهم أفلا يبصرون**﴾ (السجدة ٢٦ - ٢٧).

فانظر إلى قوله فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعيـة ﴿**أو لم يهـد لهـم**﴾ و لم يقل "أو لم يروا". وقال بعد ذكر الموعظة ﴿**أفلا يسمعون**﴾ لأنـه تقـدم ذكـر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهو مما يسمع. وكيف قال فى صـدر

---

(١) البرهان للكرمانى ٣٢٦ والبصائر ٤١٢/١

الآية التى موعظتها مرئية ﴿**أو لم يروا**﴾ وقال بعدها ﴿**افلا يبصرون**﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئى"(٢)

ومنه قوله تعالى فى أول سورة الجاثية: ﴿**إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين.وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون. واختلاف الليل والنهار وما أنزل ا الله من السماء من رزق فَأَحْيَا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون**﴾ (الجاثية ٣ – ٥) فإن البلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الأولى (**للمؤمنين**)، لأنه سبحانه ذكر العالم بجملته حيث قال: (**السموات والأرض**) ومعرفة الصانع من الآيات الدالة على أن المخترع له قادر عليم حكيم، وإن دل على وجود صانع مختار لدلالتها على صفاته مرتبة على ذاته، فلابد أولا من التصديق بذاته؛ حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته، لتقدم الموصوف وجودا واعتقادا على الصفات وكذلك فى الآية الثانية: (**لقوم يوقنون**)، فإن سر الإنسان وتدبر خلقة الحيوان أقرب إليه من الأول، وتفكره فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الأول. وكذلك معرفة جزئيات العالم؛ من اختلاف الليل والنهار، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ورصانته، لنعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع العالم الكلى التى هى أجرامه وعوارض عنه ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضا فقد قام البرهان على أن للعالم الكلي صانعا مختارا فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة: (**لقوم يعقلون**) وإن احتيج إلى العقل فى الجميع؛ إلا أن ذكره ها هنا أنسب بالمعنى الأول؛ إذ بعض من يعتقد صانع العالم ربما قال :إن بعض هذه الآيات يصنع بعضا فلابد إذا من التدبر بدقيق الفكر وراجح العقل(١)

---

(٢) البرهان ١/٨٠

(١) البرهان للزركشى ١/٨٢ – ٨٣ وانظر درة التنزيل وغرة التأويل ٢٧٥

وقد تجتمع الفواصل في موضع واحد ويخالف بينها وقد جاء ذلك فى مواضع عديدة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿**وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون. وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون. وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**﴾ (الأنعام ٩٧ – ٩٩).
إن حساب الشمس والقمر والنجوم والاهتداء بها فى ظلمات البر والبحر لما يختص بالعلماء فناسب ختمه بـ "**يعلمون**".

ومما يؤكد أن هذه الفاصلة متمكنة فى مكانها. ومستقرة فى موضعها، أنها جاءت بعد آيات نبهت على معرفة الله تعالى. وهى قوله: ﴿**إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلك الله فأنى تؤفكون. فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ (الأنعام ٩٥ ، ٩٦).
فكل ذلك مما يدفع إلى البحث عن العلم، والكشف عن أسراره، ولما كان العلم بالله وبوحدانيته هو أشرف معلوم عبر عن الآيات التى نصبت للدلالة عليه باللفظ الأشرف فكان ختام الآية: ﴿**قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون**﴾
"وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى مستقر ومستودع ثم إلى حياة وموت والنظر فى ذلك والتفكير فيه أدق فناسب ختمه بـ (**يفقهون**) لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة وهو اشتغال الذهن بما يتوصل به إلى غيره، فيتوصل بالنظر فى ذلك إلى صحة وقوع البعث والنشور بثواب أو عقاب، ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق

والأقوات والثمار وأنواع ذلك، ناسب ذلك ختمه بالإيمان الداعى إلى شكره تعالى على نعمه"(١)

فمهمة الماء ظاهرة لكل الناس لكل الناس ويعلمها كل من عنده إدراك البدوى والحضرى والماء يشارك فى إخصاب التربة ونضج الثمرة فيخرج الله به نبات كل شيء ﴿**فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا**﴾ الخضر والحب المتراكم كالسنابل والنخيل ذات القِنو والأعناب والزيتون والرمان. ويوجه الله تعالى إلى ما فى هذا من الجمال الذى يدل على جمال الصنعة وتناسق الخلقة فيقول تعالى: ﴿**انظروا إلى ثمره إذا أثمر وَيَنْعِه**﴾ ولهذا كان ختام الآية: ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾ فالإيمان هو الذى ينير البصيرة ويفتح مغاليق القلوب، وينبه أجهزة الاستقبال فى الفطرة الإنسانية إلى الإيمان بالله خالق كل شيء.

ومن أمثلته قوله – تعالى –: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون، ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون**﴾ (يونس ٤٢، ٤٣)، فإن الصمم مرتبط بالعقل، والعمى مرتبط بالبصر.
وفوق ذلك فى الآية ما يسمى "**بالمضاعفة**" وهى أن يتضمن الكلام معنيين: معنى مصرح به ومعنى كالمشار إليه(١) .
فالمعنى المصرح به هنا أنه لا يقدر أن يهدى من عمى عن الآيات وصم عن الكلم البينات، بمعنى أنه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها. والمعنى المشار إليه أنه فضل السمع على البصر؛ لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل، ومع العمى فقدان النظر فقط.(٢) وهذا من معجزات القرآن الكريم ومن البراهين الساطعة على صدق من جاء به فربط السمع بالعقل وإشارته إلى

---

(١) كشف المعانى ص ١٦٤ والاتقان ٣٤٩/٣ ودرة التنزيل ١٢٦

(١) اصناعتين لأبى هلال ص ٤٧٧

(٢) كتاب الصناعتين ٤٧٧

أفضليته على البصر يؤيده العلم الحديث وتقرره المشاهدة فالعمى لم يقعد بصاحبه يوما عن بلوغ مراتب النبوغ والعبقرية بل لعله من المرشحات لها.(٣) لذلك يقول ابن خلدون "إن السمع أبو الملكات اللسانية"(٤)

وقد تختلف الفاصلتان فى موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة، كقوله – تعالى – فى سورة إبراهيم: **﴿وإن تعدوا نعمة ا لله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾** (إبراهيم ٣٤) ثم قال فى سورة النحل :**﴿وإن تعدوا نعمة ا لله لا تحصوها إن ا لله لغفور رحيم﴾**. (النحل ١٨).

فقد تظن أن ختم آية ابراهيم بقوله (**كفّار**) مراعاة لفواصل الآى فى هذه السورة وختم آية النحل بـ (**رحيم**) مراعاة لفواصل الآى فيها ولا شك أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم موسيقيا مع الآيات فيهما ولكن السياق أيضا يقتضى الفاصلة التى فصلت فيها كل آية من الآيتين ذلك أن الآية فى سورة إبراهيم فى سياق وصف الإنسان وذكر صفاته فختم الآية بصفة الإنسان، وأن الآية فى سورة النحل فى سياق صفات ا لله تعالى فذكر صفاته. فقد قال فى سور إبراهيم: **﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، جهنم يصلونها وبئس القرار. وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار. قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال. ا لله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة ا لله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾** (إبراهيم ٢٨ – ٣٤).

---

(٣) صور البديع. فن الأسجاع ١٩٤/٢ – ١٩٥

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥١٥

فأنت ترى أن الكلام على صفات الإنسان فهو قليل الشكر لنعم الله تعالى المتعددة التى أنعم بها عليه فاقتضى ذلك ختم الآية بصفة الإنسان وقال فى سورة (النحل): ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل اثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس ... هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومن شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر .. وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه... وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون. أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم**﴾ (النحل ٥ - ١٨)

فأنت ترى أن الكلام على صفات الله ونعمه على الإنسان فختمه بصفته قال ابن المنير: "كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحلَّ لك عند أخذها وصفان: كونك ظَلُوما. وكونك كفّارا: يعنى لعدم وفائك بشكرها.

ولى عند إعطائها وصفان، وهما: أنى **غفور رحيم** أقابل ظلمك بغفرانى وكفرك برحمتى؛ فلا اقابل تقصيرك إلا بالتوقير ولا أجازى جفاءك إلا بالوفاء"(١)

وقال غيره: إنما خصّ سورة **ابراهيم** بوصف المنعم عليه وسورة **النحل** بوصف المنعِم لأنه فى سورة "إبراهيم" فى مساق وصف الإنسان وفى سورة "النحل" فى مساق صفات الله وإثبات لألوهيته.(٢)

---

(١) الاتقان ٣/٣٥٠ ولم أجد هذا القول فى الانتصاف لابن المنير بهامش الكشاف فى تفسير هاتين الآيتين. راجع المعترك ١/٤٤ وملاك التأويل ٢/٥٨٠، ٥٨١

قال فى (**البرهان**): "ما الحكمة فى تخصيص آية النحل بوصف المنعِم وآية إبراهيم بوصف المنعَم عليه.

والجواب أن سياق الآية فى سورة إبراهيم فى وصف الإنسان وما جبل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه.

وأما آية النحل فسيقت فى وصف ا لله تعالى وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته فناسب ذكر وصفه سبحانه"(٣)

وقد يحدث عكس هذا؛ **وهو أن تتفق الفاصلتان والمحدث عنه مختلف**، كقوله – تعالى –: ﴿**يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين ا لله لكم الآيات وا لله عليم حكيم. وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين ا لله لكم آياته وا لله عليم حكيم**﴾ (النور ٥٨، ٥٩).

فقد اتفقت الفاصلتان لأنهما يتعلقان بغرض واحد وهو أدب الاستئذان فى وقت الخلوة. إلا أن فى الأولى إشارة إلى ما تقدم ذكره فيما أوله ﴿**يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغو الحلم منكم**﴾ إلى قوله ﴿**ثلاث عورات لكم**﴾ وجعل الأوقات الثلاثة آيات لهم وعلامات للمنع من دخول المماليك والأطفال على النساء وجوازه فيما سواها وعبر عنها **بالآيات** لما لم يكن تبيين الأوقات من الأفعال التى تتخصص بقدرته، ولما كان بلوغ الحُلُمَ مما يختص بفعله و لم يقدر فاعل على مثله، أضافه إلى نفسه

---

(٢) الاتقان ٣٥٠/٣ ولم أجد هذا القول فى الانتصاف لابن المنير بهامش الكشاف فى تفسير هاتين الآيتين. راجع المعترك ٤٤/١ وملاك التأويل ٥٨٠/٢، ٥٨١

(٣) البرهان ٨٦/١، ٨٧

فقال: ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته**﴾ ويفهم من ذلك أنه لما قدم "الآيات" أي العلامات على أحكامه تعالى، ولما قدم الثانية (بلوغ الأطفال) وهو من فعله تبارك وتعالى لا من فعل العبد نسب الآيات إلى نفسه فقال "آياته" لاختصاصه تعالى بذلك"(١)

وقد يشكل على غير المتأمل علاقة الفاصلة بما قبلها، فيخيل إليه أن المناسبة بينهما مفقودة، حتى إذا دقق النظر ظهر له الارتباط كاملا وان الفاصلة واقعة موقعها، مستقرة في قرارها، كقوله -- تعالى --: ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ (المائدة ١١٨).
فإن قوله: "وإن تغفر لهم، يقتضى أن تكون الفاصلة: "**الغفور الرحيم**". ولكن تظهر النكتة البليغة إذا علمنا أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، وهو العزيز: أي الغالب، وأن الحكيم هو الذى يضع الشيء في محله، وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال، فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن: أي إن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، لأن الحكمة فيما فعلته.(٢)

ونظير ذلك قوله في سورة التوبة ﴿**أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾ (التوبة ٧١) وفي سورة الممتحنة: ﴿**واغفر لنا ربنا إنك انت العزيز الحكيم**﴾ (الممتحنة ٥) وفي غافر: ﴿**ربنا وأدخلهم جنات عدن**﴾ إلى قوله ﴿**إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ (غافر ٨).
وفي النور : ﴿**ولولا فضل الله عليكن ورحمته وأن الله تواب حكيم**﴾ (النور ١٠) فإن بادىء الرأى يقتضى أن تكون الفاصلة "**تواب رحيم**" لأن الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة.

---

(١) انظر درة التنزيل ص ٣٢٢، ٣٢٣ وكشف المعاني ص ٢٧٣
(٢) الاتقان ٣/٣٥٢

ويفهم من ذلك أنه أوثر ذكر الحكمة على التوبة لإظهار مزيد حكمة المشرع الحكيم وإبراز كمال فضله وتمام رحمته فهو حكيم فى جميع أفعاله وأحكامه التى من جملتها ما شرّع من حكم اللعان. فلله در التشريع الاسلامى ﴿**ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**﴾ (المائدة ٥٠)

ومن خفى ذلك أيضا: قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم**﴾ (البقرة ١٩) وفى آل عمران: ﴿**قل إن تخفوا ما صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله على كل شىء قدير**﴾ (آل عمران) فإن المتبادر إلى الذهن فى آية **البقرة** الختم **بالقدرة** وفى آية **آل عمران** الختم **بالعلم** والجواب: أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت، والخالق – على الوصف المذكور – يجب أن يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا، ناسب ختمها بصفة العلم.

وآية **آل عمران** لما كانت فى سياق الوعيد على موالاة الكفار وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب، ناسب ختمها بصفة القدرة(١)

ومن بديع ذلك قوله – تعالى – ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ (طه ١١٨ – ١١٩).

فإن المناسب فى الظاهر: أن يجتمع الجوع والظمأ والعرى والضحو ولكن فى هذا النسق الإلهى أسراراً دقيقة نبينها فيما يلى:

• – فى ذكر الآية على هذا الترتيب تناسب معنوى دقيق، فإن الجوع خلو باطنى من الطعام، والعرى خلو ظاهر من اللباس، فكلاهما عرى والظمأ حرقة داخلية فى الجوف، والضحو حرقة خارجية فى الجسد فكلاهما حرارة.

---

(١) الاتقان ٣/٣٥٣

• - إن الشبع والرِّى والكسوة والسكن هى الأقطاب التى يدور عليها كفاف الإنسان فذكَّر آدم استجماعها له فى الجنة، وأنه مكفى لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب، لما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا، وذكرها بلفظ النفى لنقائضها التى هى الجوع والعرى والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامى صنوف الشِّقوة التى حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها"(١)

• - جاء فى "**خزانة الأدب**" لم يراع - سبحانه - مناسبة الرى للشبع والاستظلال للبس فى تحصيل المنفعة بل راعى مناسبة اللبس للشبع فى حاجة الإنسان إليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للرى فى كونهما تابعين للبس والشبع"(٢)

• - أجرى الخطاب على مستعمل العادة، لأن العادة أن يقال: جائع عريان و لم يستعمل فى هذا الموضع عطشان ولا ظمآن.

• وقوله تعالى: "**تظمأ**" "**وتضحى**" متناسب، لأن الضاحى هو الذى لا يستره شىء عن الشمس، والظمأ من شأن من كانت هذه حاله، وقد قال **الجاحظ**: "فى القرآن معان لا تكاد تفترق، من مثل الصلاة والزكاة والخوف والجوع والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والنصار والجن والإنس والسمع والبصر"(٣)

• - فى هذا الترتيب سر بديع من البلاغة يسمى "**قطع النظير عن النظير**"، وذلك أن قطع الظمأ من الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها، ولو قرن كُلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة... على أن فى هذه الآية سرا

---

(١) الكشاف ٥٥٦/٣

(٢) خزانة الأدب ٩٧

(٣) البيان والتبيين ٢١/١

لذلك زائدا على ما ذكر وهو قصد تناسب الفواصل، ولو قرن الظمأ بالجوع فقيل: إن لك ألا تجوع فيها ولا تظمأ لانتثر سلك رءوس الآى، وأحسن به منتظما، وا لله أعلم"(١)

النوع الثانى: التصدير:

هو عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالبا أو معنوية – نادرا – تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمى كل كلام.(٢)

ويسمى "**رد العجز على الصدر**" وقيل: هو ثلاثة أقسام(٣) :

الأول: توافق آخر الآية وآخر كلمة فى الصدر نحو قوله تعالى: ﴿**... أنزله بعلمه والملائكة يشهدون، وكفى با لله شهيدا**﴾ (المائدة ١٦٥)

الثانى: توافق آخر الآية وأول كلمة فى الصدر نحو قوله تعالى: ﴿**وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب**﴾ (آل عمران ٨)، وقوله تعالى: ﴿**قال إنى لعملكم من القالين**﴾ (الشعراء ١٦٨).

الثالث: توافق آخر الآية مع كلمة أخرى، نحو قوله تعالى:

﴿**ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون**﴾ (الأنعام ١٠) صدر الآية ﴿**ولقد استهزىء برسل من قبلك**﴾ تسلية لرسول ا لله ﷺ عما يلقاه من قومه، وتبين الآية مصير هؤلاء الذين استهزءوا برسلهم أن حاق بهم ﴿**ما كانوا به يتسهزئون**﴾ وهو تعبير مجازى حيث صور استهزاءهم بصورة عذاب أحاط بهم أو نزل بهم فإن معناه يدل على الشمول واللزوم، و"**ما**" موصولة مفيدة للتهويل وهى "**فاعل**" مقدم، والتقديم للمسارعة إلى بيان لحوق الشر بهم، وتقديم الجار والمجرور (**به**) على الفعل (يستهزىء) لبيان أن الجزاء

---

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٣/٥٥٦ – ٥٥٧

(٢) بديع القرآن ٣٦

(٣) البديع ٤٧

من جنس العمل فيكون صداه أقوى زجرا وأشد إبعادا، وكقوله تعالى: ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**﴾ (الاسراء ٢١)

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾ (نوح ١٥).

النوع الثالث: التوشيح:

عرفه قدامة (ت ٣٣٧هـ) بقوله: "وهو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به، حتى إن الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته"(١)

ويسمى به لكون الكلام نفسه يدل على آخره، نزّل المعنى منزلة الوشاح ونزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح؛ ولهذا قيل فيه: إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها.(٢)

وسماه **ابن وكيع** "المطمع"، لأن صدره مطمع فى عجزه، كقوله تعالى: ﴿**ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ (المؤمنون ١٤) وقوله: ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**﴾ (آل عمران ٣٣) فإن معنى اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين. وقوله: ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مُظْلِمون**﴾ (يس٣٧) فإنه من كان حافظا لهذه السورة متيقظا إلى أن مقاطع فواصلها النون المردوفة وسمع فى صدر هذه الآية ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار**﴾ علم أن الفاصلة "مظلمون" فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم مادامت تلك الحال.

---

(١) نقد الشعر ص ١٦٧

(٢) قال ابن حجة وهذا النوع فرعه قدامه من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت، خزانة الأدب ١٢٦ وانظر نقد الشعر لقدامة ص ١٦٧ بتحقيق د.خفاجى، وانظر البديع فى نقد الشعر ص ٨٩ بتحقيق د. بدوى وآخرين

وقوله: ﴿**يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾ (الزلزلة ٦ – ٨) فإن قوله تعالى ﴿**ليروا أعمالهم**﴾ يدل على التقسيم.

وقد اعترض أبو هلال على هذه التسمية وقال: "وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى، ولو سُمِّيَ "**تبيينا**" لكان أقرب .. وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبيء عن مقطعه وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد لعجزه..."(١)

ومنه قوله تعالى: ﴿**وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون**﴾ (يونس ١٩) فإذا وقفت على قوله تعالى **فيما** عرف السامع أن بعده "**يختلفون**" لما تقدم من الدلالة عليه، وهكذا قوله تعالى: ﴿**قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون**﴾ (يونس ٢١) فإذا وقفت على (**يكتبون**) عرف أن بعده (**ما تمكرون**) لما تقدم من ذكر المكر.(٢)

النوع الرابع: الإيغال:

سمي بذلك لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذى هو فيه وبلغ زيادة على الحد، يقال: أوغل فى الأرض: إذا بلغ منتهاها فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه، فقد أوغل(٣) ، ومن أمثلته فى القرآن: ﴿**أفحكمَ الجاهليةِ يَبْغُون. ومن أحسنُ من الله حكما لقوم يوقنون**﴾ (المائدة ٥٠) فإن الكلام تم بقوله ﴿**من أحسن من الله حكما**﴾ ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى فلما أتى بها أفاد معنى زائدا.

---

(١) كتاب الصناعتين ٤٢٥

(٢) نفسه ٤٢٥ – ٤٢٦

(٣) البرهان ٩٦/١

ومنه قوله تعالى: ﴿**إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين**﴾ (النمل ٨٠) فإن المعنى قد تم بقوله ﴿**ولا تسمع الصم الدعاء**﴾ ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال: ﴿**إذا ولّوْا مدبرين**﴾ فإن قيل ما معنى "مدبرين" وقد أغنى عنها "**ولوا**" قلت: لا يغنى عنها "ولوا" فإن التولى قد يكون بجانب دون جانب بدليل قوله تعالى ﴿**أعرض ونأى بجانبه**﴾ (الإسراء ٨٣ وفصلت ٥١) وإن كان ذكر الجانب هنا مجازا، ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليهم فى حال الخطاب لينفى عنهم الفهم الذى يحصل من الإشارة، فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة ثم إن التولى قد يكون بجانب مع لحاظه بالجانب الآخر فيحصل له إدراك بعض الإشارة فجعل الفاصلة "مدبرين" ليعلم أن التولى كان بجميع الجوانب بحيث صار ما كان مستقبلا مستدبرا فاحتجب المخاطب عن المخاطب أو صار من ورائه فخفيت عن عينيه الإشارة كما صمت أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة من عدم الإسماع بالكلية.(١)

ومنه قوله تعالى : ﴿**اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون**﴾ (يس ٢١) فإن المعنى تم بقوله "**أجرا**" ثم زاد الفاصلة لمناسبة رءوس الآى فأوغل بها حتى أتى بها تفيد معنى زائدا على معنى الكلام.(٢)

ثانيا: علاقة التناسب:

ومما يجدر بنا أن ننبه إليه – ونحن بصدد الحديث عن العلاقة بين الفاصلة وقرينتها – ما نلحظه من تناسب بين الفاصلة وقرينتها من حيث الطول أو القصر، فالفاصلة القرآنية فى الآيات الطويلة – سواء أكانت فى السور الطوال أو غيرها – تأخذ سمة الاستقلال بمعنى أنها تأتى بعد تمام المعنى

---

(١) البرهان ٩٦/١، ٩٧

(٢) نفسه ٩٧/١، ٩٨

فتكون بمثابة تعقيب عليها أو إضاءة أو تعليل أو توكيد أو زيادة إيضاح فكأنها رجع الصدى أو إجابة الداعي إذا دعا، وهي غالبا ما تكون في هذا النوع جملة مستوفية الأركان، ويغلب عليها أن تكون اسمية. أما في الآيات القصيرة – سواء أكانت في السور الطوال أو غيرها – فتكون الفاصلة عبارة عن كلمة واحدة مكملة لمعنى الآية التي هي فاصلتها وتعد معمولة من حيث الحكم النحوي لعامل فيها وليس لها سمة الاستقلال لأنها ليست جملة. وقد تكون جملة قصيرة، فعليه أضمر فيها فاعلها، ويغلب مجيء هذه الفواصل في السور القصار وما قارب ذلك(١) وأرى أن نصطلح على تسمية هذه العلاقة **"علاقة تناسب"**

وفيما يلي نضع بين يدي القارئ عدة أمثلة (شواهد) من القرآن الكريم لتوضيح هذه العلاقة (علاقة التناسب) بين الفاصلة وقرينتها.

<u>أولا: فواصل الآي الطوال:</u>

ونأخذ من أمثلتها: آية الدَّيْن؛ قال تعالى: ﴿**ياأ يها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب العدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا، فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل، واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله، ذلكم أقسط عند الله، وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها، وأشهدوا إذا تبايعتم، ولا**

---

(١) خصائص التعبير القرآن: ٢٣٥

يضار كاتب ولا شهيد، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم، واتقول الله، ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم﴾ (البقرة ٢٨٢).

فانظر كم مسألة تشريعية عالجتها الآية، وكم معنى صورته، ولم تنس أن تبين علل بعض الأحكام الواردة فيها كعلة اشتراط اجتماع المرأتين في الشهادة مع الرجل الواحد وهي أن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت.
وذلك حرص من الإسلام على صيانة المرأة حيث لم يبح للرجل – وهو شريك لها في شهادة الواقعة – أن يذكرها. فاحتاط لذلك بشهادة اثنتين لهذا الغرض. وكاشتراط الرضا بشهود الواقعة من الطرفين المتعاقدين وكبيان العلة في التشريع نفسه فهو أقسط عند الله، وأقوم للشهادة، وأدنى ألا نرتاب في نفي الحق أو أجَله المضروب. وقد مزجت الآية التشريع في المعاملات بالتوجيه الأخلاقي في مواضع كثيرة منها"(١)
ولذلك احتاجت الآية إلى فاصلة مستقلة. وقد مهد لها – أي لهذه الفاصلة – بما هو في قوة الفاصلة: **﴿واتقوا الله، ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم﴾** (البقرة ٢٨٢)

وقوله تعالى: **﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم، كتاب الله عليكم، وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة، إن الله كان عليما حكيما. ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات، والله أعلم بإيمانكم، بعضكم من بعض، فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان، فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب، ذلك لمن خشي العنت منكم، وأن تصبروا خير**

---

(١) خصائص التعبير القرآني ص ٢٤٣، ٢٤٤

لكم، وا لله غفور رحيم. يريد ا لله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم، وا لله عليم حكيم﴾ (النساء ٢٤ - ٢٦).

فأنت ترى فى هذه الآيات الثلاث وقد اختلفت فيما بينها فى الطول، وأن فاصلة كل آية منها مستقلة فجملة الفاصلة فى الأولى: ﴿**إن ا لله كان عليما حكيما**﴾ لأنها أعقبت تشريعا خالصا.

وفى الثانية: ﴿**وا لله غفور رحيم**﴾ لأنها أعقبت تشريعا فى حالات المخالفات التى توجب حدا يقام على المخالف. وذلك يشعر بوقوع الخطأ من بعض المكلفين.

وفى الثالثة كانت الفاصلة: ﴿**وا لله عليم حكيم**﴾ متفقة مع الأولى إلا فى حكم الإعراب لأنها أعقبت بيانا لما يريده ا لله من التشريع للناس والغاية العظمى للشارع من فرض الأحكام"(١) والتشريع للناس فضل من ا لله على العباد ونعمة منه حيث يدلهم سبحانه على طريق الخير ويهديهم إليه لذلك قدم صفة العلم على الحكمة وقس على ذلك(٢) حيثما يكون الأمر متعلقا بالدلالة الربانية للبشرية.

ونأخذ مثالا آخر قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس ضُرِبَ مثلٌ فَٱسْتَمِعُوا له إن الذين تَدْعُون من دون ا لله لن يخلقوا ذُبابا ولو ٱجتمعُوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقِذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**﴾ (الحج ٧٣)
فالفاصلة هنا ﴿**ضعف الطالب والمطلوب**﴾ جملة مستقلة وهى بمثابة **تذييل** يؤكد مضمون الآية ... والآية تضمنت مثلا ما زال معجزا للعلم والعلماء

---

(١) خصائص التعبير القرآن ٢٣٧

(٢) ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**قالوا سبحانك لا علم لن إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾ (البقرة ٣٢) وقوله: ﴿**فضلا من ا لله ونعمة وا لله عليم حكيم**﴾ (الحجرات ٨) وقوله ﴿**قد فرض ا لله لكم تحلة أيمانكم وا لله مولاكم وهو العليم الحكيم**﴾ (التحريم ٢)

بعد ألف سنة من تطور العلم والتكنولوجيا. فمن يستطيع أن يخلق ذبابة على هوانها وتفاهتها؟ ... وإذا سلبتك الذبابة حياتك بمرض تنقله إليك فمن يستطيع أن يرد لك تلك الحياة ... بل إنها لو سلبتك ذرة من النشا من طعامك .. فإن عباقرة الكيمياء لو اجتمعوا لا يستطيعون استرداد هذه الذرة من أمعائها لأنها تتحول فورا إلى سكر بفعل الخمائر الهاضمة "... فما أضعف الطالب والمطلوب.

ما أضعف عبقرى الكيمياء .. وما أهون الذبابة .. وما أتفه ذرة من النشا فى عالم هائل بلا حدود .. بل عوالم وأفلاك مترامية خلقها الخالق الذى أحاط بكل شىء علما.(١)

ثم آيتا النور: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** (النور ٣٠ – ٣١)

نلاحظ أن الآية الأولى ختمت بالفاصلة **﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾** وهى جملة مستقلة تعد تذييلا فيه حث على الامتثال بأمر الله عز وجل لأنه لا يخفى عليه شىء مما يعملون، وقد جاء نظم التذييل قويا فى الدلالة على المقصود، حيث أكد ب "إن"، وعبر فيه بلفظ "خبير" وهو يدل بصيغته على

(١) د. مصطفى محمود القرآن ٢٤٣ – ٢٤٤

المبالغة، ويدل بمادته على تمام العلم بحقائق الأشياء؛ لأنه مشتق من الخُبر **"وهو العلم بكنه المعلومات على حقائقها ففيه معنى زائد على العلم"**(٢)

وفى التعبير بكلمة "**يصنعون**" دقة متناهية فهى تدل بصيغتها على علمه تعالى بما يحدث منهم ويتجدد على امتداد الزمان، وتدل بمادتها على التفنن والحبك والتدبير، "لأن الصنع يقتضى خبرة سابقة على العمل، وبما يوصل إلى المراد منه"(٣) فعلم الله تعالى بكنه ما يصنعون يشير إلى شمول علمه تعالى بكل ما يعملون سرا، وجهرا، مع تفننهم فى إخفائه، وتخطيطهم للإتيان به.

وختمت الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ وهو أمر مباشر عام للمؤمنين جميعا رجالا ونساء بالمبادرة إلى التوبة لينالوا الفلاح، وتعليل التوبة بالفلاح المطلق عن التقييد بزمان أو مكان، يعلم المأمورين بفائدة الأمر، والأمر إذا قرن ببيان فائدته كان أدعى إلى سرعة الامتثال.

والذى نريد أن نؤكده وهو ما يتفق مع الذوق العربى أن هناك انسجاما وتاكفؤا بين مضمون الآية ومضمون التذييل فليس فى القرآن آية يدعو مضمونها إلى العقاب وتذييلها إلى المغفرة والرحمة، وليس فيه من آية تتضمن رضوانا من الله ينتهى تذييلها بالوعيد وشدة العقاب وهلمّ جرّا.

والذوق العربى خير شاهد على ذلك.

فمن الأخبار التى رويت عن الأعراب الفصحاء الذين فطنوا بسليقتهم إلى أخطاء بعض القارئين:

• – حكى الأصمعى قال: "كنت أقرأ: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا، نكالا من الله**﴾فختمتها بـ" والله غفور رحيم"

---

(٢) الفروق اللغوية لأبى هلال ص ٧٤.

(٣) السابق ص ١١٠

وكان بجانبى أعرابى، فقال: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله. قال: أعد. فأعدت، فقال: ما هذا كلام الله، فانتبهت، فقرأت: ﴿**والله عزيز حكيم**﴾ (المائدة ٤١) فقال :أصبت، هذا كلام الله.

فقلت أتقرأ القرآن؟ قال: لا، فقلت: من أين علمت؟ فقال: ياهذا، عز فحكم فقطع، ولو غفر فرحم ما قطع"(١)

• – حكى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ: ﴿**فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور حكيم**﴾ فأبدل القارىء (عزيز) بـ (غفور) ولم يكن الأعرابى يقرأ القرآن، ولكنه فطن إلى الخطأ بمجرد أن سمع القارىء، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول ذلك؛ لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه".(١)

ثانيا: فواصل الآى القصار:

ذكرنا فيما سبق بعض الشواهد للآيات الطويلة بيَّنَّا فيها علاقة التناسب بين الفاصلة وقرينتها سواء من الناحية الشكلية أو المعنوية، ووجدنا أن الفاصلة تأخذ سمة الاستقلال، فتأتى بعد تمام المعنى فتكون بمثابة تعقيب أو تذييل أو تأكيد أو تعليل، وغالبا ما تكون جملة مستوفية الأركان كما وضح لنا من الأمثلة السابقة.

أما الفاصلة فى الآيات القصيرة فتكون جزءاً من الآية، كأنْ تكونَ كلمة (معمولة) لعامل تقدم فى بناء الآية، أو تكون جملة قصيرة فعلية أضمر فيها فاعلها، وقد تتعلق بكلمة الفاصلة معمولات لها فتحذف تلك المعمولات

---

(١) الكشكول ١٤٢/٢ – مقدمتان فى علوم القرآن ٢٧٩ – المحرر الوجيز لابن عطية ٧٢/١ هامش ٢ والبحر المحيط ٤٩٥/٣ ط م دار الكتب العلمية ببيروت.

(١) والإتقان ٣٤٧/٣، والمعترك ٤٠/١، شرح المرشدى على عقود الجمان للسيوطى ٨٨/٢

وتبقى الفاصلة ملحوظا فيها ما أضمر، أو ما حذف متعلقا بها .. ومعظم فواصل سور "**المفصّل**" من هذا النوع.

وهذا العرض الإجمالى لابد له من توضيح بالأمثلة:

قال تعالى: ﴿**أفرأيتم ما تمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون. نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون. ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكّرون. أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. ولو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون. إنا لمغرمون. بل نحن محرومون. أفرأيتم الماء الذى تشربون. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون. أفرأيتم النار التى تورون. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشِئون. نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين. فسبح باسم ربك العظيم**﴾

والمتأمل يلحظ فى الآيات هذه الاستفهامات المتقابلة التى يجىء فيها بين الاستفهامين لفظ "أم" التى تدل على التعادل بالظاهر من اللفظ، ولكنها ليست متعادلة من درجة الحقيقة الثابتة فهى مقابلة بين حق وباطل للتنبيه على الحق بالدليل والتنبيه بالاستفهام بطريق التقابل، فإذا كان التقابل بين أن يكونوا هم الخالقين للأنفس فى ظهور الآباء وبطون الأمهات إذ أن الخالق هو الله سبحانه، فالفطرة والبداهة والحس تقرران الأول، فالحكم بلا ريب ينتهى بمقتضى التقابل هو أن الخالق هو الله سبحانه، وكذلك الأمر فى الزرع، وكذلك الأمر فى الماء، وكذلك الأمر فى النار، وإذا كان الشأن كذلك؛ فسبح باسم ربك العظيم.

ويلحظ فى فواصل هذه الآيات – كما هو الشأن فى الآى القصار – أن دلالة الفاصلة جاءت جزءا من المعنى الأصلى للآية ومكملة له، وكلمة الفاصلة خاضعة فى الحكم النحوى لعامل الآية عدا فى بعض الآيات بدت الفاصلة جملة مستقلة، وهى غالبا جملة صلة لا محل لها من الإعراب كالفواصل (**تمنون – تعلمون – تحرثون – تشربون – تورون**) وفيما عدا ذلك فإن

الفاصلة جزء من آيتها وركن من جملتها فهى **"خبر"** للضمير **"نحن"** فى ﴿**نحن الخالقون**﴾ - ﴿**نحن بمسبوقين**﴾ - ﴿**نحن الزارعون**﴾ - ﴿**نحن محرومون**﴾ - ﴿**نحن المنزلون**﴾ - ﴿**نحن المنشئون**﴾ وهى (خبر ظلّ) فى ﴿**فظلتم تفكوهن**﴾ و(خبر إن) فى ﴿**إنا لمغرمون**﴾ وهى شبه جملة متعلق بالفعل "جعل" فى ﴿**للمقوين**﴾ و"صفة" فى الآية الأخيرة ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾

ومن مثل هذه الفواصل فواصل سورة "الانشراح":
﴿**ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذى أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك. فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا. فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب**﴾
فالفاصلة فى الآيات الأولى والثانية والثالثة والرابعة (مفعول به)، وفى الخامسة والسادسة (اسم إن) وفى السابعة والثامنة فعل أضمر فاعله.

ولمزيد من الإيضاح نأخذ شاهدا آخر سورة التكاثر:
قال تعالى: ﴿**أَلهَاكُمُ التَّكَاثُر. حتَّى زرتمُ الْمقابِر. كلا سوف تعلمون. ثم كـلّا سوفَ تعلمون. كلا لَوْ تعلمون عِلْمَ اليقين. لترَوُنَّ الجحيم. ثم لترونها عينَ اليقين. ثم لَتُسْأَلُنَّ يومئذٍ عنِ النَّعِيم**﴾ (التكاثر ١ - ٨)
هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنما هى صوت نذير، يصيح بنُـوَّم غافلين، فهو يمد صوته إلى أعلى وأبعد ما يبلغ: ﴿**ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر**﴾ آيتان تصوران الحياة الدنيا كالومضة الخاطفة ... ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم هناك بعد زيارة المقابر فى إيقاع عميق رزين ﴿**كـلا سوف تعلمون**﴾ ويكرره ﴿**ثمّ كلّا سوف تعلمون**﴾ ثم يزيد التوكيد عمقا ورهبة وتلويحا بما وراءه من أمر ثقيل ﴿**كـلا لـو تعلمون عِلْـمَ اليَقِين**﴾ ثم يكشف عن هذه الحقيقة المطوية ﴿**لَتَرَوُنَّ الجحيمَ. ثم لترونَّها عينَ اليقين**﴾

ثم يلقى بالإيقاع الأخير لينبه الغافل ويفيق المخمور ﴿**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾ من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟(١)

وعندما نتأمل فواصلها نجد الفاصلة الأولى "فاعل" والثانية والسادسة "مفعول به" والثالثة والرابعة جملة فعلية "تعلمون" والخامسة والسابعة "مضاف إليه" والثامنة جار ومجرور (شبه جملة) متعلق بالفعل "تسأل" وهكذا الشأن فى جميع سور "المفصل"(٢) ومعظم السور متوسطة الطول.(٣) ولعل السر البيانى فى نظام الفواصل السابقة على النحو الذى بيناه أن السور القصيرة تشتمل على آيات قصيرة، والآية القصيرة تهدف إلى بيان معنى واحد أو عدة معان سريعة التصور والإدراك وهى بذلك ليست مجالا لذكر الأفكار الطويلة التى تحتاج إلى إطالة بناء الجملة أو الآية التى تصورها، ومن هنا فإن الفكرة الأساسية تتطلب انتظام جميع الألفاظ لتأدية تلك الفكرة الخاطفة الموجزة، أما فى الآيات الطوال، كما فى آية "التداين" من سورة **البقرة**، فإن الفكرة فيها ذات أصول وفروع، وهى أصل من أصول التشريع عالجت مشكلة كثيرا ما تحدث للناس فلم تترك فيها ثغرة أو تهمل جانبا. ومثل هذه المعانى المتشابكة حَرِىٌّ بأن يعقب بجملة أو أكثر تؤكد تلك المعانى، أو تحث عليها، أو توبخ المخالفين لها.(١)

يضاف إلى ذلك "أن الغالب فى الآيات القصار أن سورها مكية النزول، وللقرآن فى مكة مجال غير مجاله فى المدينة. فالقرآن المكى كان يهدف إلى محاربة الضلال فى العقيدة والسلوك فجاء بموضوعات تخدم هذا الغرض من التبشير والإنذار، والترغيب والترهيب؛ لذلك كانت آياته قصيرة العبارة سريعة الإيقاع، عنيفة الوقع. وفى المدينة كان مجاله التشريع وإرساء

(١) فى ظلال القرآن ٦/٣٩٦٢، ٣٩٦٣ (بتصرف).

(٢) سور المفصل: قصار السور كسور (جزء عم)

(٣) السور متوسطة الطول كالدخان والنجم والقمر والرحمن والواقعة

(١) خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية ص ٢٤٢

قواعد المجتمع الإنسانى من حيث العبادات والمعاملات والأخلاق الإنسانية فاتجهت سوره وآياته إلى الطول والاستقصاء، إلا أن يخاطب اليهود أو المنافقين فيكُر.

والدعوة إلى الإسلام فى بدء أمرها كانت لا تطلب من الناس وقوفا طويلا لتأملها فساقت لهم الإرشاد والتوجيه الإلهى فى سور وآيات قصار؛ لسهولة فهمها وسرعة استيعابها؛ لأنه كان بصدد تربية أمة خالية من أسس التربية القويمة فخاطبتهم بأوضح العبارات وأوجز المعانى، كما يُفْعَل الآن فى تربية النشء حيث يتدرج معهم المربى من تصور وإدراك الحرف الواحد. إلى الكلمة الواحدة السهلة التركيب، إلى الجملة القصيرة، وما يزال يرقى بهم من طور إلى طور، حتى يصل بهم إلى فهم الفقرات ودراسة النصوص.(٢)

والمتأمل فى قصار السور المكية يتبين هذه الحقيقة دون ما شك أو ريب. وسبحان الله إذ يقول: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ (القمر ١٧).

ثالثا: علاقة الفاصلة بالمقطع:(١)

علاقة الفاصلة بالمقطع علاقة مؤكدة وهى على أنواع:

النوع الأول:

علاقة ختامية أى كالقفل فى الموشحات. وقد رأينا لهذا النوع أمثلة كتكرار اللازمات ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ ﴿**فكيف كان عذابى ونذر**﴾ وغيرها.

---

(٢) السابق نفسه ص ٢٤٤

(١) المقصود بالمقطع هنا عدد من الآيات تتشابه فى بنائها وتركيبها كما هو موضح بآيات "المرسلات" فى هذه الصفحة.

ففى سورة "**المرسلات**" نمط خاص فريد فى تصوير أجمل مشاهد الدنيا وأعنف مشاهد الآخرة وأصدق حقائق الكون وأعمق أغوار النفس فى مقاطع شافية الفواصل، متعددة الأنغام مصحوبة بقوله تعالى: ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ يتكرر فيها عشر مرات كأنه لازمة الإيقاع، وتجىء هذه المقاطع بسماتها الحادة العنيفة متناسقة كل التناسق مع مطلع السورة الرهيب الذى أقسم الله فيه بالملائكة المرسلات على أن وعده بالآخرة واقع لا ريب فيه.

قال تعالى: ﴿**والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا. والناشرات نشرا. فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكرا. عذرا أو نذرا. إنما توعدون لواقع. فإذا النجوم طمست. وإذا السماء فرجت. وإذا الجبال نسفت. وإذا الرسل أقتت. لأى يوم أجلت. ليوم الفصل. وما أدراك ما يوم الفصل. ويل يومئذ للمكذبين...**﴾

وفى القسم بالمرسلات غموض ملحوظ يتناسق مع عالم الغيب المقسم عليه فكل ما فيه مغيب مجهول ... وبعد هذا القسم الغيبى المفعم بالأسرار تعرض السورة مشهدا جديدا من مشاهد القيامة، يخطف البصر بتعاقبه السريع ويحاصر القلب بكربه الشديد، لقد انفرط عقد هذا الكون المنظور، فكل شىء فيه ينشق وينفجر وكل شىء من حوله يضمحل ويذوب، فإذا بالنجوم قد طمست، والسماء فرجت، والجبال نسفت، وأجل موعد الرسل إلى يوم يقضى الله فيه بينهم وبين خصومه، فما أشدَّ ويل المكذبين المجرمين.

<u>النوع الثانى:علاقة إيقاع موسيقى:</u>

ومثل هذا نجده فى قصة مريم حيث لاءم القصُّ فيها التزام روى الياء المشددة "زكريا ... خفيا... شقيا... وليا..." إلى آخر القصة فإذا ما انتهت وانتقل إلى تقرير مغزى القصة وبيان العبرة من ذكرها فقرأ قوله تعالى: ﴿**ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون. وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾. فلاحظ تغير الروى وكأنما هذه الآيات الأخيرة تصدر حكما مستمدا منها، ولهجة الحكم تقتضى أسلوبا

موسيقيا غير أسلوب الاستعراض، وتقتضى إيقاعا رصينا قويا بدل إيقاع القصة الرخى المسترسل وكأنما لهذا السبب كان التغيير"(١)

ثم لما عاد القص فى المقطع التالى عاد الروى (يّا) "الياء المشددة" مرة أخرى ﴿**واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صِدِّيقًا نَّبيا .. شيئا.. سويا**" **وكذلك الشأن فى سورة سورة "آل عمران" حيث سارت السورة على الفاصلة الغالبة (ون) أو (ين) حتى قرب النهاية، فلما بدأ دعاء طائفة من المؤمنين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، تغيرت الفاصلة هكذا:** ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار. ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار... الخ.**

رابعا: علاقة الفاصلة بالسورة.

ونقصد بها علاقة الفاصلة الأخيرة من السورة بالسورة وهى ما أطلق عليها العلماء "خواتم السور" وهذه العلاقة على أنواع:

النوع الأول:

تعلق فاصلة آخر السورة بمضمون السورة أو بغرضها العام كخاتمة سورة "المرسلات" وخاتمة سورة "الكافرون". فسورة "المرسلات" اتجهت إلى إقناع المكذبين مقطعا بعد مقطع وحجة بعد حجة معقبة على كل مقطع أو حجة بآية ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ولما استكملت غرضها العام كانت الخاتمة ﴿**فبأى حديث بعده يؤمنون**﴾ أما سورة **الكافرون** التى اهتمت بإبراز المفارقة بين المؤمنين والكافرين ردا على العرض الذى تقدموا به إلى رسول الله ﷺ للاتفاق على عبادة الله تعالى الذى يدعو إليه الرسول يوما أو شهرا أو سنة ثم عبادة أصنامهم – والعياذ بالله – مثل ذلك فكانت الخاتمة الحاسمة ﴿**لكم دينكم ولى دين**﴾.

---

(١) التصوير الفنى ٩١ – ٩٢

النوع الثانى:

تعلق الفاصلة الأخيرة من السورة بفاتحتها ومن شواهد ذلك ما نلحظه بوضوح شديد فى فاتحة سورة **"ص"** يقول الله تعالى: ﴿**ص والقرآن ذى الذكر**﴾ وفى ختامها يقول سبحانه: ﴿**إن هو إلا ذكر للعالمين، ولتعلمن نبأه بعد حين**﴾.

وفى فاتحة سورة "الملك" يقول الله تعالى: ﴿**تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير**﴾ وفاصلة ختامها ﴿**فمن يأتيكم بماء معين؟**﴾ فإذا أردت أن تجيب على هذا الاستفهام كان الجواب "... الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير"

وفى فاتحة سورة "يوسف" ﴿**ألر تلك آيات الكتاب المبين**﴾ فى خاتمتها ﴿**ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾.

وفى فاتحة سورة "إبراهيم" ﴿**الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾ وفى خاتمتها ﴿**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب**﴾

فنحن نلحظ بوضوح مدى الارتباط بين بداية كل سورة وخاتمتها فيما ذكرنا من شواهد؛ لأن القرآن كله مبنى على الوصل، فهو كلٌّ مترابط، والمعانى فيه يأخذ بعضها بحُجُز بعض، فسبحان من هذا كلامه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء ٨٢).

النوع الثالث:

وهو يتفرع عن النوع الثانى وهو تعلق الفاصلة الأخيرة من السورة بفاتحة السورة التى بعدها، فمن شواهد ذلك:

تعلق فاصلة آخر سورة "**الرعد**" بفاتحة سورة "**إبراهيم**" ففاصلة الختام في الرعد ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ وأول سورة إبراهيم: ﴿**ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ...**﴾ الآية.

تعلق فاصلة آخر "الواقعة" وهو قوله تعالى: ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ بفاتحة "الحديد" وهو قوله تعالى: ﴿**سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾ وكأن الله يقول لنبيه ﷺ: فسبح باسم ربك العظيم، كما سبح لله ما في السموات والأرض، فبينهما تناسب جلي وارتباط شديد.

وتعلق آخر فاصلة في سورة الفيل وهي قوله تعالى: ﴿**فجعلهم كعصف مأكول**﴾ بأول سورة "قريش" قوله تعالى: ﴿**لإيلاف قريش**﴾

قال الزمخشري: "**لإيلاف قريش**" متعلق بما قبله أي: فجعلهم كعصف مأكول؛ لإيلاف قريش وهذا بمنزلة **التضمين** في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله لا يصح إلا به وهما في مصحف أُبي سورة واحدة بلا فصل..

والمعنى أنه أهلك أهل الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيُّب، حتى ينتظم لهم الأمن"(١)

وقال **القرطبي** : "قيل إن هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى، يقول :أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش.. أو لكي تأمن قريش فتؤلف رحلتيها"(٢)

---

(١) الكشاف ٢٨٧/٤

(٢) تفسير القرطبي ١٣٧/٣٠ ط. دار الكتب العلمية بيروت.

النوع الرابع:

تعلق الفاصلة موسيقيا بجو السورة وهذا ما يبدو واضحا في السور الإحدى عشرة ذات الروى الموحد "المتماثل" (القمر والمنافقون والأعلى والشمس والليل والقدر والعصر والفيل والكوثر والاخلاص والناس)
وقريب منها السور ذات الروى المتقارب لاسيما "الفاتحة" و"يونس" و"المؤمنون" و"الدخان" و"المطففين" و"الماعون" وقد مرّ بنا مثل ذلك فى أثناء حديثنا عن **الفاصلة والإيقاع** ولا بأس من الاستئناس هنا بالتمثيل لهذه العلاقة من سورة "القمر".﴿**كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر. فدعا ربه أني مغلوب فانتصر. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر. وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر. ولقد تركناها آية فهل من مدكر. فكيف كان عذابى ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر. إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر. تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر. فكيف كان عذابى ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذاً لفى ضلال وسعر. أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر. سيعلمون غدا من الكذاب الأشر**﴾

هذه السورة من مطلعها إلى ختامها حملة رعيبة مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالنذر بقدر ما هى طمأنينة عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة ... ومحتويات السورة الموضوعية واردة فى سور مكية شتى فهى مشهد من مشاهد القيامة فى المطلع ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ ومشهد من هذه المشاهد فى الختام ﴿**فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ وبينهما عرض سريع لمصارع قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وملئه وكلها موضوعات تزخر بها السور المكية فى صور شتى ... وأخص ما يميز هذه المشاهد فى سياق السورة، أن كلا منها يمثل حلقة عذاب رهيبة لاهثة

مكروبة يشهدها المكذبون وكأنهم يشهدون أنفسهم فيها، ويحسون إيقاعات سياطها .. وتنتهى الحلقة وتعقبها أخرى أشد هولا .. وهكذا حتى تنتهى الحلقات السبعة فى هذا الجو المفزع الخانق، فيطل المشهد الأخير فى السورة وإذا هو جو آخر له ظلال أخرى هى الطمأنينة والسكينة إنه مشهد المتقين ﴿فى جنات ونهر. فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾(١)

إنها مقابلة بين حال المكذبين بالنذر وحال المؤمنين المصدقين وهى من المقابلات الدقيقة التى تعد طريقة من طرق التصوير وطريق من طرق التلحين تجعل القارىء والمستمع يعيش جو الأحداث بحسه وبقلبه فيخشع ويعتبر.

(١) فى ظلال القرآن ٦/٣٤٢٤ - ٣٤٢٥

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الصحبة الشاقة الشائقة لنظم القرآن الكريم انتهينا إلى النتائج الآتية:

١ - **السجع**: معلم من معالم البلاغة العربية، وهو نسق أسلوبى يستهدف مخاطبة الشعور الإنسانى فاضت به السليقة العربية المطبوعة، ولحظه المنظّرون لوسائل التأثير فى الخطاب الأدبى، كما لحظوا غيره فيما أبدعته تلك السليقة.

٢ - كراهة السجع عند البعضَ ليست لذاته وإنما لما يلابسه أحيانا من التكلف، وقد وضع **الجرجانى** الصورة النهائية للفكرة "أن المتكلم لم يَقُد المعنى نحو التجنيس والسجع بل قاده المعنى إليهما، فهو يرى أن من معايير حسن السجع مجانبته التكلف والتعسف.

٣ - القول بنفى السجع من القرآن دون غيره من ألوان البديع ينطوى على رؤية غائمة تفصل بين المتناظرات على غير بيّنة، وإن ما ورد فى القرآن مسجوعا أو غير مسجوع يدخل فى إطار الإعجاز، بل إن دلالة غير المسجوع على الإعجاز أوضح من دلالة المسجوع، فلا ننكر على القائلين بالسجع قولهم ما داموا قد احترزوا من توهم الإطلاق والتعميم مقرين بأن السجع فى القرآن سجع معجز، فصيح غير متكلف، تأتى الألفاظ فيه تابعة للمعاني.

٤ - إن القول بالفاصلة تمييزاً لرءوس الآى رد الأمور إلى نصابها، ونظرة إلى ظاهرة قرآنية متميزة طردة فى القرآن كله اطرادا لا يحوج إلى برهان، وفى ذلك مجاراة لأصحاب الرأى الآخر فى تسمية ما فى القرآن فواصل، كما أن فيه انسجاما مع إشارات القرآن ، **"كتاب فصلت آياته"**.

... بعد عرضنا لتعريفات العلماء فى تعريف الفاصلة انتهينا إلى تعريف للفواصل بأنها الكلمات التى تقع فى نهاية الآيات، وقد تتماثل فى أواخر حروفها أو تتقارب، ويحسن الوقف عندها حيث يستدعيها السياق مبنى ومعني...

٥ – تمتاز الفاصلة من القافية بعدم خضوعها للضرورة، فلا يجرى عليها ما يجرى على القافية من عيوب كالإيطاء أو التضمين بل يحسنان فى الفاصلة القرآنية.

٦ – قد تأتى القافية دون أن يستدعيها السياق ضرورة أمّا الفاصلة فهى شديدة الارتباط بالمعنى لأنها تأتى محكمة فى موضعها ﴿**تنزيل من حكيم حميد**﴾

٧ – للفاصلة أبنية متعددة باعتبارات متعددة:

أ) **بحسب الروى** متماثلة ومتقاربة، ومنفردة.

ب) **بحسب الوزن** منها المطرف أو المعطوف والمتوازى والمرصع.

جـ) **بحسب طول القرينة** فقد تكون القرائن متساوية وقد تختلف طولا وقصرا فتزيد الثانية أو تطول الثالثة.

د) **بحسب مقدارها من الآية** فمنها ما هو آية ومنها ما هو بعض آية وهو الغالب.

وهناك الفواصل **الداخلية** ومنها المتماثلة والمتقاربة (وهو ما سمى **بالتشريع** أو **التوأم**) والفاصلة **المنفردة** والفاصلة **الموحدة** والفاصلة **اللازمة** (المتكررة) كقوله تعالى: ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾.

٨ – تتنوع الفواصل القرآنية فى السور المختلفة وفى السورة الواحدة كذلك، فقد يختلف روى الفاصلة بعد عدة آيات فى السورة الواحدة، ونلحظ هذا بصفة خاصة فى الأجزاء الأخيرة من القرآن كما فى سورة "المدثر" و"القيامة" و"عبس" و"المطففين" ... وغيرها من سورة **المفصل**.

٩ – يختلف تنوعها فى السور تبعا للطول والقصر، فتطول فى السور الطوال وتقصر فى السور القصار، ويشتد التماثل والتشابه بينها فى السور القصيرة ويقل غالبا فى السور الطويلة، على أن تنوع الفواصل شمل الأبجدية العربية ما عدا حرف **الخاء** لم يكن اعتسافا أو دفعا للرتابة كما يظن البعض بل **كان** تحقيقا لأغراض فنية ودينية، فالغالب مثلا على التنويع أن يكون على شكل فواصل متقاربة فى مخارج الروى أو حركات الفاصلة أو ما شاكل ذلك حتى إذا اقتضى السياق المعنوى والموسيقى

كسر التوقع جاءت الفاصلة **المنفردة** مركز ثقل بارز على ما شاهدنا فى سورتى "**الانفطار**" و"**الضحى**" فسبحان من هذا كلامه.

١٠ – قد تبنى معظم فواصل السورة الواحدة على روى واحد، قد يتكرر فى نهاية كل آية – وكأنه يشبه الروى فى القوافى – وإذا لم يتكرر هو نفسه تكرر ما يشبهه صوتيا **كالنون والميم** (من أحرف الغنة) **أو الباء والدال والجيم والطاء** (من أحرف القلقلة) ونلحظ هذا بوضوح فى [سور الفاتحة – الحواميم – ق – البروج – التين] وغيرها.

١١– إن فى القرآن الكريم إيقاعا موسيقيا من نوع فريد يتناسق مع الجو ويؤدى وظيفة أساسية فى البيان القرآنى، فهو يستخدم الخصائص الصوتية كوسيلة من وسائل التأثير وبخاصة فى فواصله؛ فالفاصلة قمة الإيقاع الموسيقى، ففيها منه أثر لأنها منه وجدت وبه تكون.

١٢ – من أظهر الأمور التى تبرز الإيقاع فى القرآن وبخاصة فى فواصله "**التوافق الصوتى**".

والتوافق الصوتى يتجلى فى عدة ضروب فنية منها:

أولا:الفواصل دراسة مقطعية حسب المقطع الأخير (مصدر الشجى والتطريب) ولاحظنا ما يأتى:

أ) أن المقطع القصير **(ص.ح)** لا وجود له كنهاية لأية فاصلة قرآنية حيث لا يوقف على متحرك لأن الأصل فى التلاوة الوقف على الفاصلة، وعند الوقف تنعدم الحركة ويتعين السكون.

ب) المقطع **(ص.م.ص)** أكثر المقاطع شيوعا فى الفواصل القرآنية حيث تجاوزت نسبته ٧٠٪ من جملة الفواصل والتى عددها ٦٢٣٦ فاصلة.

ج) والمقطع السادس وهو مقطع الوقف **(ص.م.ص.ص)** يوجد منه ثلاث فواصل فقط فى القرآن كله (كلمة "**جان**") المكررة ثلاث مرات فى سورة **الرحمن** (الآيات ٣٩، ٥٦، ٧٤).

ثانيا: **التوازى**: ومنه قوله تعالى: **﴿والصافات صفا. فالزاجرات زجرا﴾** وقوله: **﴿حدائق وأعنابا. وكواعب أترابا﴾**

ثالثا: **التوازن**: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وآتيناهما الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم**﴾، وقوله: ﴿**ونمارق مصفوفة. وزرابى مبثوثة**﴾

رابعا: **التلازم**: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا..**﴾، ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾، ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض**﴾، ﴿**إن فى ذلك لآيات للعالمين**﴾.

خامسا: **التكرار**: من أنواع التكرار (تكرار الحرف وتكرار الكلمة وتكرار الفاصلة وتكرار القالب الصوتى وتكرار اللازمة). فالقرآن يتخذ من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه والإيحاء بما يدل عليه معتمدا فى ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ – وبخاصة الفواصل – من خصائص صوتية وما تشيعه بجرسها الصوتى من نغم يهم فى إبراز المعنى المراد

ولا شك أن أى نوع من أنواع التكرار فى القرآن يضاعف من قيمة الإيقاع وجمال الفاصلة بما لا يخفى على أحد.

ومن أمثلة التكرار قوله تعالى: ﴿**كلا إذا دكت الأرض دكا دكا. وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾

ومن أمثلة تكرار القالب الصوتى قوله تعالى: ﴿**والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا**﴾

ولعل السر فى جمال الإيقاع فى التكرار أنه يوافق حسا طبيعيا فى الإنسان كما أن عودة النقر على الوتر تحدث التجاوب مع سابقتها فتأنس الأذن بازدواجهما وتآلفهما.

سادسا: المشاكلة والجناس والتعديد وتشابه الأطراف والإمالة، والغرض من هذه الأنواع والضروب الفنية قصد المناسبة والتوافق الصوتى. ولا يخفى ما فى ذلك التقارب من تناسب الجرس وتناسق الإيقاع.

سابعا: ختمت معظم فواصل القرآن بروى النون ثم الميم المردوفتين غالبا بمد الواو أو الياء مما يجعل الفواصل متفقة مع آياتها فى قرار الصوت اتفاقا

عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذى يساق عليه بما ليس وراءه فى العجب مذهب.

١٣- قضية العدول عن الأصل من القضايا الشائكة التى شغلت العلماء قديما وحديثا ولعل "الفراء" من أول من وجه عنايته إلى أهمية الإيقاع فى الفواصل وسماها "رءوس آيات" وأحيانا "آخر الآية" أو "أواخر الحرف" أو "فصول" ولكنه حين راعى مشكلة رءوس الآى لم تكن تلك المراعاة على حساب المعنى وقد وجدناه يتخذ من رعاية الفاصلة وسيلة ترجيح لبعض القراءات القرآنية وصولا يجعل سبب التعديل فى النظم القرآنى لأجل الفاصلة إلا إذا كان الوجه المعدول إليه جائزا وواردا عن العرب وعندما يستوى الوجهان فيؤثر ما له ميزة التوافق الصوتى.

١٤- ممن تابع الفراء بعض المفسرين كالنيسابورى والقرطبى والألوسى ومن الأدباء النقاد ابن أبى الإصبع ومن النحاة ابن هشام ومن رجال القرآن ابن الصائغ والسيوطى والزركشى.

١٥- لا شك أن وحدة النغم لها تأثير يبلغ مداه فى نفس القارىء والسامع ولا عجب أن يراعى القرآن حق الفاصلة ببعض الترخصات اللغوية كالحذف أ والزيادة أو التغيير فى بنية الكلمة وببعض صور العدول عن الأصل كتقديم كلمة أو تأخير أخرى أو إيثار صيغة على أخرى وكأن للحفاظ على التوافق الصوتى فى القرآن قيمة كبرى ما دام العدول أو الترخص فيها لا يشكل غموضا أو إخلالا بالمعنى أو الذهاب ببلاغته.

ونحن نعلم أن العرب تحب موافقة المقاطع ومراعاة التناسب وقد وقع ذلك كثيرا فى كلامهم والقرآن نزل بلغتهم وعلى ما يحبونه من موافقة المقاطع ومراعاة التناسب.

رغم أن رعاية الفاصلة غرض مهم حرص القرآن عليه إلا أن هذا الغرض لا ينفى وجود علة معنوية - بكل تأكيد - اقتضاها المقام والسياق فإذا لم نستطع الوصول إلى العلة المعنوية من وراء العدول أو من مخالفة الفاصلة للظاهر فإننا نقول برعاية الفاصلة مع الإشارة إلى أن هناك أغراضا أخرى مقدمة على هذه الرعاية لكننا لم نفطن إليها فلعل فى التنبيه دافعا إلى الجد

فى التنقيب والبحث عن النكت البلاغية والأغراض المعنوية وهذا ما أشار إليه ابن الصائغ ولكنه لم يفعل، وهذا ما جلعنا نفرد مبحثا خاصا لمناقشة الأوجه الأربعين التى قال فيها برعاية الفاصلة.

١٦- أن النص القرآنى لم يخرج عن مقتضى الظاهر فى التركيب اللغوى مراعاة للفاصلة فحسب ولكن المعنى فرض الخروج عن هذا المقتضى وكانت الفاصلة نتيجة من نتائج الوفاء بالمعنى فالأمر كله سياق عام يؤدى معنى معينا يتطلب تركيبا معينا والعلماء هنا يصفون مدى ارتباط الشكل بالمضمون وموسيقى الفاصلة جزء من الشكل وجزء من المضمون.

١٧- للفاصلة علاقات متعددة منها:

أولا: علاقتها بقرينتها ولا تخرج عن أربعة أشياء (**التمكين والتوشيح والتصدير والإيغال**) وقد تفرع عن هذه العلاقة علاقة أخرى - استنتجتها بطول الملاحظة - بين الفاصلة وقرينتها من حيث الطول والقصر وقد اصطلحنا على تسميتها "**علاقة تناسب**"

ثانيا: علاقة الفاصلة بالمقطع وهى نوعان:

١ - علاقة ختامية كالقفل فى الموشحات.

٢ - علاقة إيقاع موسيقى.

ثالثا: علاقة الفاصلة بالسورة وهى على أنواع منها:

١ - تعلق فاصلة آخر السورة بمضمون السورة أو بغرضها العام كخاتمة المرسلات والضحى.

٢ - تعلق الفاصلة الأخيرة من السورة بفاتحتها.

٣ - تعلق الفاصلة الأخيرة من السورة بفاتحة السورة التى بعدها.

٤ - تعلق الفاصلة موسيقيا بجو السورة وهذا ما يبدو واضحا فى السور ذات الروى الموحد.

وبعد فلعلنا استطعنا بعون الله أن نضع الفواصل القرآنية فى مكانها اللائق من بيان القرآن الكريم فهى جزء متضمن فى نظمه البديع ولعلنا أفدنا

من نظريات علم الأصوات ودراسة الفواصل دراسة مقطعية فى الكشف عن جمال الإيقاع فى القرآن فليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان، وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تحشد حشدا، وتلصق إلصاقا، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب بل الفاصلة طليقة من كل قيد، والنظم بنجوه من كل صنعة والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد: إن هو إلا أسلوب يؤدى غرضه كاملا غير منقوص، يلين أو يشتد، ويهدأ أو يهيج المهم فى النغمات القرآنية تناسبها مع الموضوع والفكرة شدة ولينا وسرعة وبطءاً.

ملحق جداول الإحصاء

- جدول إحصاء فواصل القرآن باعتبار الروي.
- جدول إحصاء الفواصل المنفردة.

- جدول إحصاء فواصل القرآن باعتبار الروي.(١)

السورة	رقمها	عدد الآيات	حروف الفواصل
الفاتحة	١	٧	م ن
البقرة	٢	٢٨٦	ق م ل ن د ب ر
آل عمران	٣	٢٠٠	ل ق د ء ط ن ب م ر
النساء	٤	١٧٦	ب ر و ى ف ض د م ن ل ظ ز ث ق ع ت ط غ
المائدة	٥	١٢٣	ل م ن د ب ر
الأنعام	٦	١٦٥	ل م ن ظ ر
الأعراف	٧	٢٠٦	م ن د ل
الأنفال	٨	٧٥	ن د م ق ط ر ب
التوبة	٩	١٢٩	ل ن ر ب م
يونس	١٠	١٠٩	م ل ن
هود	١١	١٢٣	ذ ق ص ن ظ م ل ط ب ر د ز
يوسف	١٢	١١١	ن م ر ل
الرعد	١٣	٤٣	ن د ق ب ر ء ل
إبراهيم	١٤	٥٢	آ د م ن ظ ر ص ب ذ ل
الحجر	١٥	٩٩	م ل ن
النحل	١٦	١٢٨	ن م ر
الإسراء	١٧	١١١	ر ل م ب هـ د ن ف ع ق س
الكهف	١٨	١١٠	ج ن و ب ف ل ز ط ق ع ر و ص ض
مريم	١٩	٩٨	م ن د ىّ ز

(١) لم نعتبر ألف التنوين المفتوح رويا وإنما الاعتبار للحرف الأخير دون الألف كذلك لم نعتبر الألف الملحقة بالهاء رويا وإنما الاعتبار للهاء.

طه	٢٠	١٣٥	هـ الألف اللينة ر ن ى ع و ف م ل ق ت س
الأنبياء	٢١	١١٢	م ن
الحج	٢٢	٧٨	م د ر ج ق ن ظ ء ب ط
المؤمنون	٢٣	١١٨	ن(١١٧)، م(فاصلة واحدة،آية ١١٦)
النور	٢٤	٦٤	ل م ن ر ب
الفرقان	٢٥	٧٧	ر ل م ن ب
الشعراء	٢٦	٢٢٧	م ل ن
النمل	٢٧	٩٣	م ن
القصص	٢٨	٨٨	ل م ن ر
العنكبوت	٢٩	٦٩	ن م ر
الروم	٣٠	٦٠	ن م ر
لقمان	٣١	٣٤	م د ن ظ ر
السجدة	٣٢	٣٠	م ل ن
الأحزاب	٣٣	٧٣	ك م ر ل د ز ق ف ب هـ
سبأ	٣٤	٥٤	ظ ن م ن د ب ر ل
فاطر	٣٥	٤٥	ر م ن د ز ب ل
يس	٣٦	٨٣	م ن
الصافات	٣٧	١٨٢	ف ر د ق ب ن م
ص	٣٨	٨٨	ص د ق ط ر ب من ل ج
الزمر	٣٩	٧٥	م ن ر ب ى د ل
غافر	٤٠	٨٥	م ر د ن ل ق ع
فصلت	٤١	٥٤	ر ز ص ض ط ظ م ن د ب
الشورى	٤٢	٥٣	ب ر ز ق د م ل ص
الزخرف	٤٣	٨٩	م ل ن
الدخان	٤٤	٥٩	م ن

الجاثية	٤٥	٣٠	م ن
الأحقاف	٤٦	٣٥	م ن
محمد	٤٧	٣٨	م هـ
الفتح	٤٨	٢٩	ن م ز ر ل ب د
الحجرات	٤٩	١٨	م ن ر
ق	٥٠	٤٥	ج د ب ط ظ ص ر
والذاريات	٥١	٦٠	و ر ق ع ك ف ن م
والطور	٥٢	٤٩	ر ع ن م
والنجم	٥٣	٦٢	الألف اللينة ء ى ة ن و
القمر	٥٤	٥٥	ر
الرحمن	٥٥	٧٨	ن م ر
الواقعة	٥٦	٩٦	ة ج س ث ن م د ب ء ر ل
الحديد	٥٧	٢٩	م ن ب ز ر د
المجادلة	٥٨	٢٢	م ن ز ر د
الحشر	٥٩	٢٤	من بر
الممتحنة	٦٠	١٣	ل م ن ر د
الصف	٦١	١٤	م ن ص
الجمعة	٦٢	١١	م ن
المنافقون	٦٣	١١	ن
التغابن	٦٤	١٨	م ن ر د
الطلاق	٦٥	١٢	ر ح ق م الألف اللينة
التحريم	٦٦	١٢	ن م ر
الملك	٦٧	٣٠	ن م ر
القلم	٦٨	٥٢	م ن
الحاقة	٦٩	٥٢	ن م ل ة هـ
المعارج	٧٠	٤٤	ج ع ل ن أ م ة د ب ن ه ألف لينة

نوح	٧١	٢٨	م ن ر ق ج ت ط
الجن	٧٢	٢٨	ب د ط ق
المزمل	٧٣	٢٠	ل م ب
المدثر	٧٤	٥٦	ن ة ر د
القيامة	٧٥	٤٠	ة ه ر ى ق ألف لينة
الإنسان	٧٦	٣١	ر ل م
المرسلات	٧٧	٥٠	ع ت م ب ر ل ن ف ق
النبأ	٧٨	٤٠	م ن د ج ت س ش ف ب ق
النازعات	٧٩	٤٦	ق ط ح ر هـ الف اللينة ة م
عبس	٨٠	٤٢	م ألف لينة ة ه ب ق
التكوير	٨١	٢٩	ت س ن م
الانفطار	٨٢	١٩	م ن ك ت ه
المطففين	٨٣	٣٦	م ن
الانشقاق	٨٤	٢٥	ت هـ ر ق ن م
البروج	٨٥	٢٢	ج د ق ر ط ظ ب
الطارق	٨٦	١٧	ق ب ظ ر ع ل د
الأعلى	٨٧	١٩	الألف اللينة
الغاشية	٨٨	٢٦	ع م ر ت ة
الفجر	٨٩	٣٠	ن د م هـ ر ك ف ى ألف لينة
البلد	٩٠	٢٠	د ن ة
الشمس	٩١	١٥	أ
الليل	٩٢	٢١	الألف اللينة
الضحى	٩٣	١١	ألف لينة ث ر
الشرح	٩٤	٨	ب ك ر
التين	٩٥	٨	م ن
العلق	٩٦	١٩	ق م هـ ب ألف لينة ة

القدر	٩٧	٥	ر
البينة	٩٨	٨	ة ه
الزلزلة	٩٩	٨	ه م
العاديات	١٠٠	١١	ح ع د ر
القارعة	١٠١	١١	ش ث ه ة
التكاثر	١٠٢	٨	ن م ر
العصر	١٠٣	٣	ر
الهمزة	١٠٤	٩	ة ه
الفيل	١٠٥	٥	ل
قريش	١٠٦	٤	ش ف ت
الماعون	١٠٧	٧	ن م
الكوثر	١٠٨	٣	ر
الكافرون	١٠٩	٦	ن د م
النصر	١١٠	٣	ح ج ب
المسد	١١١	٥	ب د
الإخلاص	١١٢	٤	د
الفلق	١١٣	٥	ق ب د
الناس	١١٤	٦	س

- عدد فواصل القرآن: ٦٢٣٦ فاصلة.
- الفاصلة الغالبة هى ذات روى **النون**: ٣١٥٢ فاصلة

منها ١٧٥٨ ساكنة مردوفة بالواو

و ١٢٩٢ ساكنة مردوفة بالياء.

و ٦٧ ساكنة مردوفة بالألف.

و ٣٥ ساكنة أو متحركة غير مردوفة.

والفاصلة التى تقارب "**النون**" هى ذات روى "**الميم**" وعددها ٧٤٢ فاصلة.

أما الفاصلة التى لم ترد إلا مرة واحدة ذات روى "غ" فى قوله تعالى ﴿**وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغ**﴾ (النساء ٦٣).

والفاصلة التى لم ترد نهائيا فى القرآن كله ذات روى "**الخاء**" وحاولت الوقوف على تعليل لذلك فلم أجد تعليلا سوى أن هذا الحرف قليل الاستعمال حتى فى قوافى الشعر العربى.

- جدول إحصاء الفواصل المنفردة.

الفواصل المنفردة فى فواتح السور	الفواصل المنفردة خلال فواصل السورة	الفواصل المنفردة فى خواتم السور
الآية الأولى من سور: (الأعراف - الرعد - ص - المزمل - النصر)	- الآيتان ٣، ٤٤ من سورة النساء. - الآية ٩٢ من سورة طه. - الآية ٦٦ من سورة الأنبياء. - الآية ١٥ من سورة الحج. - الآية ١٤ من سورة الزمر. - الآيتان ١٧، ٤٣ من الرحمن. - الآية ٥ من سورة التحريم. - الآية ٢٦ من سورة القيامة. - الآية ٣٣ من سورة النازعات. - الآية ٣٢ من سورة عبس. - الآية ٢٤ من سورة الانفطار. - الآية ٤ من سورة الكافرون	الآية الأخيرة من سورة (النجم - الانفطار - الضحى - المسد)

المصادر والمراجع

الإتقان فى علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤م.

أثر القرآن فى تطور النقد، د. محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر، ط٢ سنة ١٩٦١م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبى السعود)، دار إحياء التراث العربى - بيروت، ط٢ ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجانى - تصحيح محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط٦ سنة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

الإعجاز البلاغى فى تراث أهل العلم، د.محمد أبو موسى. مكتبة وهبة، ط١ سنة١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق، الدكتورة عائشة عبدالرحمن، طبع دار المعارف - ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الإعجاز الفنى فى القرآن، عمر السلامى، مؤسسة عبدالكريم عبدالله، تونس سنة ١٩٨٠م.

إعجاز القرآن، للباقلانى، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف بالقاهرة، ط٢ سنة ١٩٧٧

إعجاز القرآن، الإعجاز فى دراسات السابقين، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربى - القاهرة (جزآن) ط١ سنة ١٩٧٤م.

الإكسير فى علم التفسير، للطوفى سليمان بن عبدالكريم الصرصرى البغدادى، تحقيق الدكتور/ عبدالقادر حسين، دار الأوزاعى، بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير، مكتبة ومطبعة مصطفى البابىالحلبى بمصر، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

أنوار التنزيل، القاضى البيضاوى، المطبعة العثمانية، ط١ سنة ١٣٠٥هـ

البحوث والمحاضرات، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣ - ١٩٦٧م.

بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الفكر - بيروت.

البديع، لابن المعتز اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس، إغناطيوس كراتشقوفسكى، دار المسيرة - بيروت - ط٣ سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

البديع (تأصيل وتجديد)، د/ منير سلطان، منشأة المعارف بالاسكندرية ط ١ سنة ١٩٨٦م.

البديع فى نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحقيق د./أحمد بدوى وحامد عبدالمجيد، مطبعة مصطفى الحلبى، سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

بديع القرآن، لابن أبى الإصبع المصرى، تحقيق حفنى شرف، مكتبة نهضة مصر، ط٢ سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

البرهان فى علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى، تحقيق/ محمد أبو الفضل، دار المعرفة - بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٢م.

البرهان فى متشابه القرآن، الإمام محمد بن حمزة بن نصر الكرمانى، تحقيق د/عز الدين عبدالله خلف، دار الوفاء - المنصورة - ط١ سنة ١٩٩١م.

بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى، تحقيق أ. محمد على النجار، إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة - ط٢ سنة ١٩٨٦م.

بيان إعجاز القرآن - لأبى سليمان حمد بن محمد الخطابى. ضمن ثلاثة رسائل فى الإعجاز بتحقيق د.محمد زغلول سلام، أ. محمد خلف الله، دار المعارف بالقاهرة.

البيان فى روائع القرآن، د/تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، ط١ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

البيان القرآنى، د/محمد رجب البيومى، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ط١ سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق الأستاذ/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجى، ط٤ سنة ١٩٧٥م.

تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكاتب العربي – بيروت، ط٢ سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ثلاثة أجزاء.

تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية – بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٨م.

التبيان في إعراب القرآن – للعكبرى، المكتبة التوفيقية – القاهرة ط ١ سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

التصوير الفنى فى القرآن، سيد قطب، دار المعارف – القاهرة ط ٩ سنة ١٩٨٠م.

تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى، أنيس المقدسى، دار العلم للملايين – بيروت سنة ١٩٦٠م.

التعبير القرآنى، د/ فاضل صالح السامرائى، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل – ط١ سنة ١٩٨٩م.

التعبير الموسيقى، فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة، ط١ سنة ١٩٥٦م.

تفسير البحر المحيط، لأبى حيان التوحيدى، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ على محمد معوض، شاركهم د/زكريا عبدالمجيد النوتى، د/ أحمد النجومى الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ سنة١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

التفسير البيانى للقرآن، د/عائشة عبدالرحمن، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م/١٩٦٨م فى جزئين.

تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

تفسير المنار، للشيخ رشيد رضا، دار المنار بمصر، ط٣ سنة ١٣٨٢هـ

التكرير بين المثير والتأثر،د/عز الدين على السيد، عالم الكتب ط٢ سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

تلخيص البيان فى مجاز القرآن، الشريف الرضى، تحقيق د/على محمد مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٨٦م.

جامع البيان فى تفسير القرآن، لابن جرير الطبرى، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت ٦٧١هـ) دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٣م/١٩٥٠م.

الجمع الصوتى الأول للقرآن أو المصحف المرتل، دار المعارف - القاهرة، ط٢ سنة ١٩٧٨م.

خزانة الأدب وغاية الأرب، تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى - مطبعة بولاق - ط ١ سنة ١٢٧٣هـ

الخصائص، لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

خصائص التراكيب، د/محمد أبو موسى، مكتبة وهبه بالقاهرة - ط٢ سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

خصائص التعبير القرآن وسماته البلاغية، د/عبدالعظيم المطعنى، مكتبة وهبه بالقاهرة ط١ سنة ١٩٩٢م، جزآن.

درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافى، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - ط١ سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

دروس فى علم الأصوات العربية، لجان كانتينو، ترجمة/ صالح القرماوى، تونس سنة ١٩٦٦م.

دلائل الإعجاز، للإمام أبى بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجانى، **تعليق** محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٩٨٤م.

ديوان أبى تمام - بشرح الخطيب التبريزى، تحقيق محمد عبده عزام - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥١م.

ديوان حسان بن ثابت - دار صادر - بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م

ديوان شوقى - تحقيق وشرح الدكتور/ أحمد الحوفى - نهضة مصر بالقاهرة.

ديوان مجنون ليلى - جمع وتحقيق وشرح عبدالستار أحمد فراج - مكتبة مصر.

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثـانى. (تفسـير الألوسـى)، دار إحياء التراث العربى - بيروت ط، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

سر صناعة الإعراب، لابن جنى، تحقيق لجنة مـن الأسـاتذة: مصطفـى السـقا وإبراهيم مصطفى ومحمد الزفزاف وعبدالله أمـين، مطبعـة مصطفـى الحلبـى - ط١ سنة ١٩٥٤م.

سر الفصاحة، للأمير أبى محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفـاجى، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

سـنن أبـى داود، بتعليقـات لأحمـد سـعد علـى، طبعـة الحلبـى ط ١ سـنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

السيرة النبوية، لابن هشام (ت ٢١٨هـ) واختصـره ابـن هشـام فنسـب لـه، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة الحلبى ط٢ سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، مكتبة دار التراث بالقاهرة، ط٢٠ سـنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

شرح شافية ابن الحاجب، لرضى الدين الاستراباذى، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٥م.

شرح المرشدى على عقود الجمـان، للسـيوطى - مطبعـة الحلبـى، ط١ سـنة ١٣٧٤هـ

شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم)، تصحيـح/ مصطفـى السقا (القاهرة سنة ١٣٢٠هـ).

الشعر العربى المعاصر، قضاياه وظواهـره الفنيـة، د/عـز الديـن إسمـاعيل، دار الكاتب العربى بالقاهرة، سنة ١٩٦٧م.

الصاحبى، لابن فارس، تحقيق السيد أحمـد صقـر، مطبعـة الحلبـى بالقـاهرة - ط١ سنة ١٩٧٧م.

صحيح مسلم،دار الطباعة العامرة بالآستانة، سـنة ١٣٢٩هـ/١٣٣٣هـ فـى ثمانية أجزاء.

الصناعتين، لأبى هلال العسكرى، تحقيق د/مفيد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ سنة ١٩٨١م.

صور البديع - فن الأسجاع، د/ على الجندى - دار الفكر العربى القاهرة ط١ سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م. (جزآن)

الضرورة الشعرية فى النحو العربى، د/محمد حماسة عبداللطيف، مكتبة دار العلوم -ط١ سنة ١٩٧٩م.

طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكى، تحقيق محمود محمد الطناحى وعبدالفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٦٤م.

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوى - دار الكتب العلمية - بيروت.

عروس الأفراح، لبهاء الدين السبكى (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة الحلبى - ط١ سنة ١٣٣٧هـ

علم اللغة - مقدمة للقارىء العربى، د./محمود السعران، القاهرة سنة ١٩٦٢م.

العمدة فى محاسن الشعر وأدبه ونقده، أبى على الحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الجيل - بيروت - ط٥ سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

عيار الشعر، ابن طباطبا العلوى، تحقيق د/محمد زغلول سلام، وطه الحاجرى، القاهرة سنة ١٩٥٦م.

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق د/عبدالله درويش، مطبعة العانى ببغداد- ط١ سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

العيون الغامزة على خبايا الرامزة، للدمامينى، تحقيق الحسانى حسن عبدالله، مطبعة المدنى سنة ١٨٧٣م.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابورى)، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى، بهامش تفسير الطبرى، طبعة دار الريان للتراث، سنة ١٤٠٧هـ/٩٨٧م.

الفاصلة فى القرآن، محمد الحسناوى، المكتب الإسلامى – بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٦م.

الفتوحات الإلهية، سليمان بن عمر العجيل، المعروف بـالجمل، دار الفكـر – بيروت (أربعة أجزاء).

الفروق اللغوية، لأبى هلال، تحقيق حسام الدين القدسى، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

فصول فى فقه العربية، د./رمضان عبدالتواب، مكتبة الخـانجى – مصـر سـنة ١٩٧٩م.

فقه اللغة وخصائص العربية، د./محمد المبارك، دار الفكر سنة ١٩٦٨م.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، للإمام شمس الدين أبى عبدالله المعروف بابن القيم إمام الجوزية، مكتبة المتنبى – القاهرة. بدون تاريخ.

فى ظلال القرآن (تفسير سيد قطـب)، دار الشـروق – بـيروت ط٢١ سـنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

القافية تاج الإيقاع الشعرى،د/أحمد كشك، مكتبة دار العلوم بالقاهرة.

القرآن، د./مصطفى محمود، دار المعارف – بالقاهرة.

قضايـا الشـعر المعـاصر، نـازك الملائكـة، مكتبـة النهضـة ببغـداد، ط٣ سـنة ١٩٦٧م.

كتاب سيبويه، أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق/عبدالسلام هـارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة – ط٢ سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الكشـاف عـن حقـائق التنزيل وعيـون الأقـاويل فـى التـأويل (تفسـير الزمخشرى) المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط١ سنة ١٣٥٤هـ.

كشـف المعـانى فـى المتشـابه مـن المثـانى، بـدر الديـن بـن جماعـة، تحقيـق د/عبدالجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشـر، المنصـورة سلسـلة منشـورات جامعـة الدراسـات الإسـلامية كراتشـى، باكسـتان ط١ سـنة ١٤١٠هــ/ ١٩٩٠م.

الكشكول، لبهاء الديـن العـاملى، تحقيـق الطـاهر أحمـد الـزاوى، مطبعـة دار إحياء الكتب العربية (الحلبى). ط١ سنة ١٩٦١م.

لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار المعارف بالقاهرة.
اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢ سنة ١٩٧٩م.
لغة القرآن فى جزء عم، د./محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية - بيروت، ط١ سنة ١٩٨١م.
لغة الهمس، مصطفى أحمد شحاته، الهيئة العامة للكتاب ط١ سنة ١٩٧٢م.
مباحث فى علوم القرآن، أ.د/ صبح الصالح، دار العلم للملايين - بيروت، ط١٦ سنة ١٩٨٨م.
المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د/أحمد الحوفى ود/بدوى طبانة، دار نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٧٣م.
مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى، تحقيق د/محمد فؤاد سركيس، مكتبة الخانجى بالقاهرة - ط سنة ١٩٨٨م.
المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز،**(تفسير ابن عطية)**، لابن عطية الغرناطى، تحقيق أحمد صادق الملاح، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ط١ سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤م.
المحكم لابن سيدة، تحقيق مصطفى السقا، د/حسين نصار، مطبعة الحلبى ط١ ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
المزهر فى علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين السيوطى - تحقيق محمد جاد المولى وآخرين - دار إحياء الكتب العربية - مطبعة الحلبى بمصر.
معانى القرآن، لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق د/عبدالفتاح شلبى، مراجعةأ.د/ على النجدى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.
معترك الأقران فى إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطى، تحقيق/ على محمد البجاوى، دار الفكر العربى ط سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.
المعجزة الكبرى، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى بالقاهرة.
معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربى بالقاهرة - ط١ سنة ١٩٦٨م.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبدالباقى – مؤسسة جمال للنشر – بيروت – بدون تاريخ.

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصارى، تحقيق محيى الدين عبدالحميد، مطبعة الحلبى بالقاهرة (بدون تاريخ).

مفتاح السعادة ومصابيح السيادة، لطاش كبرى زاده، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).

المفردات فى غريب القرآن،للراغب الأصفهانى، تحقيق/ محمد سيد الكيلانى، مطبعة مصطفى البابى – الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

المفصل فى علم العربية، للزمخشرى، دار الجيل، بيروت، ط٢ (د.ت).

المقابسات، لأبى حيان التوحيدى، تحقيق حسن السندوبى، المطبعة الرحمانية بمصر، ط١ سنة ١٩٢٩م.

مقدمة ابن خلدون، طبعة دار الشعب بالقاهرة.

مقدمة للشعر العربى، أدونيس، دار العودة – بيروت، ط٤ سنة ١٩٨٣م.

من بلاغة القرآن، د/أحمد أحمد بدوى، مكتبة نهضة مصر، ط٣ سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجنى، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، تونس – ط١ سنة ١٩٦٦م.

مواد البيان، لعلى بن خلف الكاتب، تحقيق الدكتور/حسين عبداللطيف، منشورات جامعة الفاتح، سنة ١٩٨٢م.

موسيقى الشعر، د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ط٣ سنة ١٩٦٥م.

الموشح، لأبى عبدالله بن عمران بن موسى المرزبانى، تحقيق على محمد البجاوى، دار الفكر العربى، القاهرة.

ميزان الذهب فى صناعة شعراء العرب، السيد أحمد الهاشمى، دار الكتب العلمية – بيروت، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

النبأ العظيم، د/عبدالله دراز، دار القلم – ط٢ سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى، زكى مبارك، دار الكاتب العربى – بالقاهرة بدون تاريخ.

النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى، تحقيق محمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة - القاهرة.

النقد الجمالى وأثره فى النقد العربى، روز غريب، دار الفكر اللبنانى، ط٢ سنة ١٩٨٣م.

نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د/محمد عبدالمنعم خفاجى، مكتبة الكليات الأزهرية ط١

النكت فى إعجاز القرآن، للرمانى (ضمن ثلاث رسائل فى الإعجاز)، تحقيق د.محمد زغلول سلام والاستاذ محمد خلف الله، دار المعارف بالقاهرة.

يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، لأبى منصور الثعالبى، تحقيق محيى الدين عبدالحميد، مطبعة حجازى بالقاهرة بالقاهرة.

فهرس الموضوعات

الفصل الرابع
الفاصلة والتوافق الصوتى

الفصل الخامس
الفاصلة ومراعاة المناسبة

الفصل السادس
علاقات الفاصلة

رقم الإيداع ١٩٩٣/١٠٥٨٧
I.S.B.N ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٠٠١ - ٢ الترقيم الدولى